صحيح البخاري

نهاية أسطورة

معلومات المصنف
الكتاب: صحيح البخاري/نهاية أسطورة
الكاتب: رشيد أيلال
الصنف: دراسة
عدد الصفحات: 283
حجم/ مقاس: 17/24
الناشر: دار الوطن
الطبعة الأولى 2017
رقم الإيداع القانوني بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية: MO 0974 2017
الترقيم الدولي: 978-5499-486-27-8 ISBN
التصميم والخدمات الفنية:



7، رقم 1 زنقة الكوفة شارع مولاي يوسف الرباط10000 / المغرب
Daralwatan2012@gmail.com
+212537703936
+212673420256
تنفيذ الإخراج: جهاد الشراط

البريد الالكتروني للكاتب: aylalpress@gmail.com

رشيد أيلال

صحيح البخاري

نهاية أسطورة



إهداء

إلى كل من أعيته تناقضات وخرافات المرويات

وحار أمره بين تمحيصها أو تقديسها

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

تصدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله الذي وصفه الباري سبحانه وتعالى بقوله :"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

وبعد،

يعيش العالم الإسـلامي اليوم، حركة غير مسـبوقة في انتقـاد التراث الديني، تناولت جميع المرويات المنسوبة للرسول الكريم، بالمناقشة والتمحيص، على أوسع نطاق، لمـا حملته هاته المرويات من تناقضات، وخرافـات، ومعارضة لمقتضيات المنطـق والعقل، ومعارضتها أيضـا لصريح النصوص القرآنيـة، في الكثير من المضامـين، بـل إن النقاشـ انتقل من الوسـط الفكري، الذي يضـم العديد من المثقفين والباحثين، إلى الوسط الديني أيضا داخل بعض المؤسسات ذات الطابع الديني، حيث تخرج من هاته المؤسسات فقهاء ومحدثون -من الأزهر مثلا- بدأوا يناقشـون هاته المرويـات ويمحصونها، ويأخذون منها ويدعـون وينتقدون، فتم التعامـل مع هاته النصوص، على أساس انها نصوص تاريخية، لا قدسية لها، و شرع هؤلاء في تمحيصها بنفس الآليات العلمية والعقلانية التي يتم بها مناقشة وتمحيص النصوص التاريخية.

ومما ساعد على هاته الحركة الفكرية بخصوص انتقاد التراث الديني، ما يعيشه العالم اليوم من ثورة علمية غير مسبوقة أيضا، جعلت العقل البشري يتبوأ مكانة السيـادة والريادة في جميع المجالات، فاتحـا مستقبل البشرية جمعاء، على آفاق واسعة من التقدم المذهل في شتى ميادين الحياة، بل إن تقدم الوسائل والوسائط والتكنولوجيـا العلمية مكنت البشرية من التعرف علَى الماضي في كلياته، وحتى

السحيق منه، وكأنها تعيش تلك العصور البائدة، كما ساعدت تلك الوسائل على التحقق من مصداقية الروايات التاريخية، و الأعمال المنجزة في هذا الصدد قبل قرون.

ومن الكتب التراثية التي لقيت انتقادا كبيرا منذ تأليفها كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه» الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخاري، حيث أنجزت العديد من الدراسات والبحوث والتحقيقات التي تناولته بالانتقاد، لإبراز الأحاديث والآثار الواردة فيه، سيما الأحاديث المناقضة للعقل والعلم والقرآن، والأحاديث المنحولة والمأخوذة من الإسرائيليات، وغيرها من البحوث التي صار معها «صحيح البخاري» من أكثر الكتب إثارة للجدل على مرّ التاريخ الإسلامي.

ورغم الحملة القوية التي واجهها صحيح البخاري من حيث انتقاد مضامين الأحاديث الواردة فيه، ومن حيث انتقاد بعض رجاله الذين روى عنهم مؤلف الكتاب أحاديثه، ومن حيث الانتقادات التي وجهت لمحمد بن اسماعيل البخاري نفسه، إلا أن فئة الشيوخ والفقهاء والمحدثين ظلت في مجملها متمسكة بالجامع الصحيح على أساس أن كل ما فيه صحيح، وأنه أصح الكتب بعد كتاب الله، بل تم حمل سلاح التفسيق والتكفير والزندقة في وجه كل من ينكر أحاديث في هذا الكتاب أو يوجه إليها سهام انتقاداته، حتى لو عارضت متونها كتاب الله الموحى إلى نبيه، فصار لدينا كتاب فوق النقد، وفوق العلم، وفوق العقل، بل فوق القرآن نفسه لدى معظم الشيوخ مع كامل الأسف.

وأنا كغيري من الباحثين توجهت في بداياتي إلى التنقيب في هاته الأحاديث المروية في صحيح البخاري، فوجدت أن المئات منها تحبل بكوارث خطيرة، فمنها ما يسيء إلى مقام الألوهية، ومنها ما يسيء إلى مقام النبوة، منها ما يسيء إلى مقام الإنسان نفسه والمرأة على وجه الخصوص، إلى أن لمع في تفكيري سؤال بخصوص أصالة كتاب "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله

صلى اللــه عليه وسلّم وسننه وأيامه" الشهير بصحيــح البخاري، ليبرز السؤال حول من ألف صحيح البخاري؟!!

هــذا السؤال المحوري قد يبــدو في أول وهلة سؤالا بليــدا وعجيبا، لأن مؤلف صحيــح البخاري معروف وهو الشيــخ محمد بن إسماعيل البخــاري، لكن بعد قــراءة هذا البحث الذي أقدمه بــين يديكم أيتها القارئة، أيهــا القارئ، ستتضح لكمــا مشروعية السؤال الــذي طرحناه لإسقاط اسطــورة صحيح البخاري من برجها المبني على خرافة تقديس الرجال، ورفعهم إلى مكانة تفوق مكانة الأنبياء.

وقــد أفردت فصلين كاملين من هــذا الكتاب لمناقشة ما أطلقت عليه آفة تدوين الحديث وآفة علم الحديث، لنقف جميعا على عيوب هذا الذي يطلق عليه «علم» الحديــث، كمدخل أساس لمناقشــة العلاقة التي تربط الشيــخ البخاري بكتاب "الصحيــح" المنسوب إليه، كما أفردت فصلا آخر لإبراز الأساطير التي نسجت حــول كتاب الجامــع الصحيح للبخــاري، وحــول الشيخ محمد بــن إسماعيل البخــاري، وقد وقفنا عليهــا لتمحيصها، وإبراز تفاهتهــا وتهافتها لنخلص إلى باقي فصــول كتابنا، ونقوم بعرضــ وتشريح للمخطوطات الموجــودة بين أيدينا لصحيــح البخاري، وما قالــه أئمة الجرح والتعديل من الحفــاظ والمحدثين "أهل الاختصاصــ" بخصوص هاته النسخ المخطوطة، لنقــف على حقائق صادمة تم تغييبهــا أو إخفاؤها بشكل خطير من طرف هؤلاء الشيوخ، ونخلص في النهاية إلى أن هــذا الكتــاب بشكله الحالي مؤلفه مجهول، ولا تربطــه أي علاقة بالشيخ البخاري.

فــإلى فصول الكتاب، وأطلب مــن القارئة الكريمة والقــارئ الكريم، أن يصبر علينا إلى حين إنهاء فصوله، وبعد ذلك ليحكم بناء على ما قدمناه وما تحصل لديه من خلال الاحتكام إلى العقل والمنطق السليم، وبالله التوفيق.

في مراكش صبيحة يوم السبت 24 شتنبر من سنة 2016

رشيد بن حميد أيلال

مقدمة الناشر

كتاب العقل

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ (صدق الله العظيم)

لعل الكثير من المهتمين والمتتبعين لإصدارات «دار الوطن» للصحافة والطباعة والنشـر، يترقبون منها إبداعا فكريا جديدا – كما عوّدتهم دائما- يسلّط أنوار الحق على ظلمات الباطل، فتتلاشى خرافات الضلال وأساطيره، بأقلام جريئة لا تخاف في الحقّ لومة لائم. تحرّك البرك الآسنة، وترجّ الأدمغة المتكلّسة، بسلاح العلم، بالحجّة الدامغة والبراهين المنطقية القويّة المستمدّة من كتاب الله الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت 42) ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر 9)

وهاهي اليوم بعد كتاب العصر "نظرية آذان الأنعام دراسة قرآنية علمية لأبحاث داروين في الخلق والتطور" وكتاب القرن "أمي كاملة عقل ودين" للمرحوم الدكتور عماد حسن، وكتاب الموسم "وأنذر عشيرتك الأقربين" للباحث الأستاذ، ممدوح كوشباي، و"سراق الله، الإسلام السياسي في المغرب، تأملات في النشأة والخطاب والأداء" للأستاذ الباحث إدريس هاني.

تقدّم دار الوطن لقرائها الكرام صرخة حق من جبال الأطلس الكبير، تعبّر عن موقف جيل جديد من المفكّرين والباحثين الذين عقدوا العزم على نصرة دين الإسلام، دين الله، دين السلام، دين المحبة والإخاء، وعلى تبرئة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من كذب الأفّاكين وخفافيش فقه الظّلام، الذين يحرّفون الكلام عن مواضعه ليشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.

إنــه المؤلّف الجديــد كتاب العقل «صحيــح البخاري» نهايــة أسطورة للباحث الأستــاذ رشيد أيلال الذي يقدم فيه المؤلّــف الأدلة والوثائق التي لا تقبل الشّك علــى أن (محمد بن إسماعيل البخاري) لا علاقة له بجل إن لم نقل بكلّ ما نُسب له في ما يسمى «صحيح البخاري» .

الكثــير من الأساطــير والحكايات الخرافية نسجت حول هــذا "الصحيح" غير صحيحــة، خاصة وأنــه لا يوجد إجماع حتى بــين السلفيــين أنفسهم على هذا الكتــاب (الصحيح)، وإذا كان الباحث لم يأت بشــيء من عنده، فإنه بذل جهدا مضنيــا في البحــث والتنقيب، الذي أخــذ منه سنوات من الوقــت، واستطاع أن يجمــع ما توصل إليه من مصــادر أهل السلف ما لم يسبقه إليه أحد، فخرج بهذا الكتاب الجامع عن كتاب:

الجامــع المسند الصحيــح المختصر من أمور رسول الله صلــى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الذي اشتهر ب: «صحيح البخاري»، ويعتبره كثير من علماء الأمة مــع الأســف «أصح كتاب بعد كتاب اللــه تعالى» وهو ما يفنــده الكاتب بالدليل والحجة القاطعة حيث لا يوجد إجماع على صحة كل ما دون في هذا «الصحيح»

إننــا في حاجــة ماسة لمثل هذه الدراسات التي تجلي الغبار عما علق في أذهان أبنــاء الأمة الإسلامية عبر قــرون من الزمن خلت، وما وصــل إلينا عبر مؤلفات ومصنفــات مجهولة المصدر أحيانا، ومجهولة النسب أيضا، وبهذا الوصف تعتبر مثــل هــذه المصنفات لقيطة، وقد آن الأوان لإعادة النظــر في محتواها، خاصة ما ينسب في صفحاتها إلى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن هنــاك أحاديث وأقــوال يستحيل أن ينطق بها رســول الرحمة والهدى، أما شخصيــة الإمام البخاري – في حالة وجود شخصية بهذا الاسم – فقد أحيطت بهالــة من التعظيم والتقديســ لدرجة أنه يمنع عليك أن تفكــر حتى في نقدها أو الاقتراب منها، ولعل الكثيرين سوف يسارعون إلى ممارسة هواياتهم المفضلة في

السب والشتم واللعن، لكننا نطلب من هؤلاء أن يتحلوا بقليل من الصبر حتى إتمام قراءة هذا المؤلف ومن ثم الحكم عليه بما يستحق، إشادة أو ازدراء..

وأنا أدعو الباحثين المنقبين في بطون كتب التراث، إلى أن يقارنوا بين الديانة الزراديشتية التي كان مهدها بلاد فارس قبل مجيء الإسلام، وبين بعض ما ورد في كتاب "صحيح البخاري" سيما في مسألة «المعراج»، ليقفوا على تأثير الديانة بل الديانات والتقاليد الفارسية القديمة على هذا الكتاب وتشبعه أيضا ببعض العادات التي كانت معروفة لدى أهل فارس، سيما إيران التي أضحت في ما بعد شيعية صفوية.

ومن هنا أشك أن هذا البخاري وصحيحه إنما هو جزء من تشويه الفرس للإسلام وتراث المسلمين الديني، ومما نراه ضمن هذا التشويه المتعمد الذي انطلى على عامة المسلمين الشيعة، ما يمارس من طقوس غريبة عن الإسلام عموما ومذهب آل البيت خصوصا، مثل: التطبير خلال موسم عاشوراء، الذي يفضي إلى إحداث آلام خطيرة في جسد الانسان من ضرب بالسيوف على الرؤوس واللطم على الصدور، وكذلك وجوب الصلاة على التربة الحسينية إلخ.. ذلك من الخرافات والأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان. ولا هي من مذهب آل البيت الطاهر.

إنها دعوة صادقه وصادمة في نفس الوقت من أجل تطهير كتب التراث السنية والشيعية على السواء من الخرافات والترهات. والعودة إلى المنبع الإسلامي الصافي: القرآن الكريم، الذي حين عجزوا عن تحريفه راحوا يؤلفون ما أسموه بالأحاديث كذبا وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لنتأمل معا هذه الآيات:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(38) ﴾ (سورة الأنعام)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد 24)

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء 9)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت 42-41).

﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة 3)

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8)﴾ (سورة الجاثية).

عبد النبي الشراط

مدير دار الوطن

الرباط في يوم الجمعة 10 مارس 2017

الفصل الأول: آفة تدوين الحديث

» منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه

» أنصار الحديث يخالفون الحديث

» عذر أقبح من زلة

» السنة قاضية على الكتاب

» السنة ناسخة للقرآن

» حرب المرويات

منع الرسول للصحابة من تدوين كلامه:

لا يمكن أن نناقش كتاب الجامع الصحيح قبل أن نقف جميعا من خلال هذا الفصل على ظروف تدوين الحديث بشكل عام، ونشأة ما أطلق عليه من بعد «علم» الحديث، حيث يظن عوام الناس أن الحديث وحي كان مرادفا للقرآن من حيث النزول، وأن الرسول أمر بتدوينه إلى جانب القرآن، غير أن الحقيقة غير ذلك، فقد حكى العديد من رواة الحديث أنفسهم منع رسول الله صحابته الكرام من تدوين كلامه، ونحن بعجالة سنورد بعض الأحاديث التي يعتبرها المحدثون صحيحة، والتي تمنع تدوين الأحاديث، كما سنورد بعض الآثار عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين من بعده، تبرز كيف حافظوا على طاعة أمره صلى الله عليه وآله وسلم في منع كتابة الحديث.

فقد روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي "شيخ البخاري" من حديث عن ابي سعيد الخدري أن رسول الله قال: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه".

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: "جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتابة فأبى" (4/2298) كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

وأخرج الدارمي -وهو شيخ البخاري- عن أبي سعيد الخدري بأنهم استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فلم يأذن لهم. وقد سار الخلفاء الراشدون على نفس النهج في عدم كتابة الحديث، حيث ورد في تذكرة الحفاظ للذهبي "من مراسيل ابن أبي مليكة" أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا

بيننـــا وبينكم كتـــاب الله» (تذكرة الحفّاظ 1: 2 3، حجّيّــة السنّة: 394. وفي رواية عــن طريق مالك بــن أنس أن عمر قال عندما عدل عن كتابة السنة: "لا كتاب مع كتاب الله")

وأخرج الحافظ بن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم والحافظ الذهبي في تذكــرة الحفــاظ عن قرظة بن كعب أنه قال: "لما سيرنــا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا. قــال: إن مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهــم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككــم قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وورد في طبقــات بن سعــد: "أن الأحاديث كثرت على عهــد عمر بن الخطاب فأنشــد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بهــا أمر بتحريقها"، الطبقات الكبرى لابن سعد رقم الحديث 5987

وروى الحافظ بن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب الســنن فاستشار أصحاب النبي- كمــا عند البيهقي- فأشــاروا عليه أن يكتبها فطفــق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقــد عزم الله له، فقال إني كنت أريــد أن أكتــب السنن، وإني ذكرت قومــا كانوا قبلكم كتبوا كتبــا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا. وفي رواية البيهقي "لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا". المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي رقم الحديث 590.

وفعلا من هنا جاءت آفة الحديث وصدق تكهن عمر بن الخطاب، فكل الشيوخ والفقهــاء ومنذ أن بدأ عصر التدوين، إلى يــوم الناس هذا، انكبوا على الحديث وهجروا كتاب الله، لصالح مرويات ظنية الثبوت في غالبيتها.

وفي تاريــخ ابن عساكر ورد عن عثمان بن عفان أنه قال: "لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر" (تاريخ دمشق لابن عساكر

رقـم الحديث 40116، مشيا على ما نهجه الخليفتان من قبله في عدم تدوين كلام المصطفى.)

هذا غيض من فيض الأحاديث والآثار التي تدل دلالة قطعية على منع الرسول لأصحابـة من تدوين كلامه، بل إن المنع بلغ درجة التشديد، من خلال النصوص التـي أوردناها، وكعادة كل روايات تاريخية خاضعـة لأهواء البشر ومصالحهم، وأهدافهم الشخصية، تم إيجاد وصنع أحاديث أخرى تأذن بتدوين كلام الرسول، ورغـم أن الاضطراب واضـح والتناقض جلي بين النصوص الحديثية المشددة على منـع كتابة كلام الرسول، وبـين النصوص الحديثية المجيـزة للكتابة، ورغم أن الكثـير من المحدثين حاولوا جاهدين أن يبرروا هـذا التناقض حينا، وأحيانا أخرى يعمدون إلى تضعيف بعض هاته الأحاديث المشددة على المنع، أو يحاولون اللجوء إلى النسخ مهربا، غير أن أحاديث منع التدوين والكتابة، تبقى هي الأقوى والأكثر حضورا، وهذا ما يفسر إعراض الخلفاء الراشدين ومعهم جمع غفير من الصحابة عن تدوين الحديث.

وهنـا ارتأيت أن أنقل لكم مـا أورده المفكر المصري محمود أبو رية رحمه الله في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» نقلا عن الفقيه المحدث رشيد رضا رحمه الله صاحب المنار في الموازنة والمقارنة بين أحاديث منع كتابة الحديث، والأحاديث المجيـزة له، قال رشيد رضا: «إن أصح مـا ورد في المنع من كتابة الحديث ما رواه أحمـد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن عبد البر في كتاب العلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: "لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"».

وإن أصح ما ورد في الإذن، حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما مرفوعا: "اكتبـوا لأبي شاه" وهو لا يعارضـ حديث أبي سعيد وما في معناه على قاعدتنا التي مدارها على أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة حديثه مراد به ألا تتخذ دينـا عاما كالقرآن، وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاه هو خطبة خطبها صلى الله

عليـه وآله وسلم يوم فتح مكة، موضوعها تحريم مكة ولقطة الحرم، وهذا من بيانه صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن الذي صرح به يوم الفتح، وصرح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه، فهو خاص مستثنى من النهي العام. وقد صرح البخاري في بـاب اللقطة من صحيحه بأن أبا شاه اليمنـي طلب أن تكتب له الخطبة المذكورة، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإجابة طلبه»انتهى.

إذن فحسـب تحليل الفقيه المحدث رشيد رضا، فإن المنع ينصب بالأساس على تدويـن كلام الرسول على أساس أنه دين، إذ لا وحي إلا القرآن، ولا كتاب أنزل علـى الناس باعتبـاره وحيا إلا كتب الله المنزلة على أنبيائـه والتي منها القرآن، بالإضافـة إلى أن بيان الرسول الذي ألقـاه بخصوص فتح مكة، هو بيان سياسي لقائد دولة وليس لرسول، فلا وجود للرسالة في خطبته إلا من حيث البيان.

إذن فقـد تحـوّل تدوين الحديـث إلى آفة، جعلت المسلمـين يبتعدون عن كتاب اللـه، وأصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديـث بدل القرآن، فانشغل الناس بالحديـث وجمعه والاستنباط منه، في حين لم يعد للقرآن دور إلا في الاستشهاد للنصـ الحديثي، فغدت المرويـات البشرية الصرفة هي أسـاس التشريع، وهي الديـن، رغم أن هناك منع من طـرف الرسول واضح من تدويـن هاته المرويات، حيـث أن الله لم يتكفـل إلا بحفظ كتابه الموحى إلى عبـده ونبيه، فيسهل على ذوي النفوسـ الخبيثة أن تـزّور وتغير في الدين كيفما شاءت تحت مسمى السنة، أو الحديـث، وهذا سيحيلنا على أمر هام جـدا وهو: كيف يخالف أنصار الحديث، النصوص الحديثية التي أمامهم؟

أنصار الحديث يخالفون الحديث:

يصيبني العجب الممزوج بالحيرة، من العقلية التي يتمتع بها رواة الحديث ومدونوه ومحققــوه والذين يطلق عليهم «محدثون»، كيــف أنهم يجيزون لأنفسهم تدوين هاته الأحاديــث، وينبرون للدفاع عنها، ويمحصون رجالها، ويدرسون أسانيدها، ويقعدون القواعد لمصطلح الحديث، ويكفرون من ينكرها، أو يفسقونه ويزندقونه في أفضل الظروف، وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم أحاديث وآثار في منع كتابة وتدوين الأحاديث، في «سكيزوفرينيا» غريبة جدا، تحط من قدر هؤلاء عند ذوي العقل الراجح، والفكر المستنير.

لكن الأمر ليس بهاته البساطة، فالمحدث مع الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية مــن هاتــه الأحاديث، يحاول أن يبرر موقفه بعلل واهيــة، سنقف عليها بعد قليل عندما نناقشــ الأعذار والتبريرات التي يوردها هؤلاء في معرض ضحكهم على العقل الإنساني الرافض للتناقض.

والأخطر من ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يطرحوا على أنفسهم، ولو لحظة في خلوة مــع الذات، لمــاذا تأخر تدوين السنة لحوالي مائة سنــة على وفاة الرسول صلى اللــه عليه وسلم، وهي بهاتــه القيمة في التشريع؟ ليس باعتبارها مبينة ومفصلة لمــا في القرآن، بل باعتبارها قاضية وناسخة لما في كتاب الله عند التعارض، فهي في خطابهم الأصل الثاني من أصول التشريع بعد القرآن، لكن في الواقع العملي التطبيقي نجد أنها الأولى، وكتاب الله لديهم تابع لها خانع!.

ولم يكتف هؤلاء الشيوخ برواية وتدوين أحاديث منع الرسول كتابة الأحاديث، بل رووا أيضــا أحاديث في فضل القرآن تجعله الأصل، وتبرز مكانته من الدين، وسنورد هنا مجموعة من الأحاديث التي رواها المحدثون أنفسهم في هذا الشأن.

روى ابن ماجة (215) وأحمد (11870) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَال: قَال رســول الله صلى اللَّــه عَليه وسلم: (إن لِله أهلين من الناس) قالوا: يا رسول اللَّه،

مَنْ هُمْ؟ قَالَ:(هُمْ أَهْــلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجة".

حديــث أبي أمامة الباهلي قال سمعــت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). (صحيح مسلم:1343).

عــن عبــد الله بن عمــرو قال: قــال رسول الله صلــى الله عليه وسلــم: (يقال لصاحــب القرآن إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). (صحيح الجامع 8122).

حديــث جابــر رضي الله عنه كان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. (صحيح البخاري:1283).

حديــث أبــى هريرة عن النبــي صلى الله عليــه وسلم قال (مــا اجتمع قوم في بيــت من بيوت اللــه يتلون كتاب اللــه ويتدارسونه فيما بينهــم إلا نزلت عليهم السكينــة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). (صحيح مسلم:2699).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنــة بعشر أمثالها لا أقــول (الم) حرف ولكن: ألف حــرف ولام حرف، وميم حرف). (صحيح الجامع: 6469).

قــال رسول اللــه صلى الله عليه وسلــم (إن من إجلال الله إكــرام ذي الشيبة المسلــم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط). (حسن) (صحيح الجامع:2199).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يــا رب حله، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يــا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة).(حسن) (صحيح الجامع:8030).

قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). (صحيح مسلم: 817). (يرفع بهذا الكتاب): أي بقراءته والعمل به (ويضع به): أي بالإعراض عنه وترك العمل بمقتضاه.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). (صحيح البخاري: 4739)

قال طلحة بن مصرف: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قال: (أوصى بكتاب الله). (صحيح البخاري: 2548).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: قوله (كيف كتب على الناس الوصية) أو كيف (أمروا بالوصية) أي كيف يؤمر المسلمون بشيء ولا يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل قبراً ليلاً. فأسرج له سراج فأخذه من قبل القبلة وقال: (رحمك الله إن كنت لأواهاً تلاء للقرآن) وكبر عليه أربعاً. (قال الترمذي: حديث حسن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر). (البخاري ومسلم)

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران). (البخاري ومسلم)

حديث أبي هريرة كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن). (البخاري ومسلم)

عـن عقبة بن عامـر الجهني قال: خرج علينا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ونحـن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغـدو إلى بطحان والعقيق فيأخذ ناقتين كوماويـن زهراوين بغـير إثم بالله ولا قطع (قطيعة) رحـم؟) قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: (فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن من الإبل). (رواه مسلم: 803)

قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قـرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله) وفي رواية (يا ويلي) (أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار). (صحيح مسلم:81)

إن الرسـول صلـى الله عليـه وسلم خرج علـى حلقة من أصحابـه فقال: (ما يجلسكـم؟) فقالوا: جلسنا نذكر اللـه تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بـه. فقال: (أتاني جبريل عليـه السلام فأخبرني أن اللـه تعالى يباهي بكم الملائكة). (صحيح مسلم:2701)

الغريـب أن نفس رواة هـذه الأحاديث هم الذين لا يقيمـون وزنا لكتاب الله، ويرفعـون الأحاديـث فوق كلام اللـه الذي لا يأتيه الباطل مـن بين يديه ولا من خلفه.

الأحاديث التي تم الإختلاف فيها اختلافا كبيرا، وتسربت إليها خرافات وطوام، ما زالت أمتنا تدفع ثمنها غاليا إلى يومنا هذا، وما «داعش» التي نبتت بين ظهرانينا إلا نتـاج هاته المرويات المنسوبة لرسول الله زورا وبهتانا، حيث تم سحب القرآن مـن الساحـة لصالح هاته المرويات، ولم يكفهم كتاب اللـه، يقول الله تعالى في محكـم كتابه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت-أية:51)

عذر أقبح من زلة

حاولـت البحث عن الأسباب التي جعلت هؤلاء يدونون الأحاديث، ضدا على أمر الرسول الكريم، ويرفعونها إلى المكان العلي السني، فوق كل شيء، حتى فوق كلام الله، فوجدت لديهم أعذارا واهية أقل ما يقال عنها، أنها عذر أقبح من زلة، كما ستقفون معي خلال مناقشة أعذار هؤلاء.

أول عـذر يقدمه الشيوخ في مواجهة الأحاديث المانعة لكتابة الحديث، هي أنها منسوخة بالأحاديث المبيحة للكتابة، وهذا تفسير غريب من طرف هؤلاء الشيوخ، فهم يحاولون تفسير وإيجاد حلول لكل ورطة يقعون فيها، بتجزيئها عن السياق العام للأدلة الواردة في هذا الشأن، بحيت أنه لو كان هناك فعلا ناسخا ومنسوخا في هاتــه القضية، فــالأولى أن تنسخ أحاديث المنع أحاديــث الإباحة، باعتبار أن الخلفــاء الراشديــن ساروا على نهج منع كتابة الأحاديــث، فيكون الدليل هنا أن جمهــور الصحابة والخلفاء الراشدين لم ينته إلى علمهم أنه قبل وفاة الرسول تم نســخ حديث منع الكتابة، لصالح الإباحة، وإلا لجمعوا احاديث الرسول ودونوها في دواويــن وكتب، كما فعلوا بخصوص القرآن الكريم، لكنهم نهجوا عكس هذا وســاروا على نهج منــع تدوين الحديث، بل إن عمر بــن الخطاب قام بحرق نسخ الحديــث المكتوبة بعد جمعها، فكيف يكون حديث المنــع منسوخا بالاباحة، رغم استمرار هؤلاء الخلفاء في منع كتابة الحديث؟!!

وإذا كان جواب أحد شيوخهم أن بعض الصحابة قام فعلا بكتابة حديث رسول اللــه، فنقــول له أثبت ذلك من خــلال تدوينة واحدة لأحد الصحابــة، إذ لو كان الصحابــة يعتبرون كلام رسول الله دينا لدونــوه، وإذا كانوا فعلا كتبوا أحاديث رسول الله، فأرونا ماذا كتبوا، وما دونوا؟

ومــن الأعذار الغريبة جدا، والخطيرة جدا، والتي يستدل بها هؤلاء لتفسير منع الرســول لكتابــة كلامه هي قولهم: "إن منع الحديث جــاء في صدر نزول الوحي

حتـى لا يختلط علـى الناس كلام الرسول بكلام الله فـلا يميزون هذا عن ذاك"، وهذا كلام خطير جدا، يلغي ضمنيا الإعجاز البلاغي لكلام الله، بمعنى أن العرب آنـذاك وهم جهابذة اللغة وسادتها، وأبناء بجدتها، يمكن أن لا يميزوا بين كلام الله المعجـز لكل البشر، وبـين كلام البشر، وهم الذين سُحـروا ببلاغته وبيانه، حتى وصفـوا رسول الله بالساحر، وحتى قال فيـه أفصح فصحاء العرب في الجاهلية قولتـه المشهورة التي حكاهـا ابن هشام في سيرته «واللـه إن لقوله لحلاوة، وإن أصلـه لعذق، وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لغدق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل».

إن هـؤلاء الشيوخ الذين يبحثون عن أي دليـل كيفما كان، من أجل تبرير آفة تدويـن الحديـث، ليقعون في المحـذور والمحظور، فهم بذلك يتهمـون كتاب الله بمساواتـه لكلام البشر، وهذا انتقاص واضـح في حق كلام الله، رغم أننا هنا لا نطعـن في نياتهـم الحسنة، بل نعتبر تبريراتهم الواهيـة ضربا من العذر الذي هو أقبح من الزلة.

ومـن الأعذار التـي احتجوا بها أيضا: "أن المنع جـاء بخصوص كتابة الحديث مـع القرآن في نفس الصحيفة"، وهذا من العجيـب الغريب، لأن السؤال المتبادر إلى الذهـن فـور سماع هذا العذر، هو من أين جاء بـه قائلوه، في حين أن أبا بكر الصديـق وعمر بن الخطاب وغيرهم مـن الصحابة قد بينوا العلل الواضحة التي كانـت وراء منع كتابة الحديث، وهي أن يكـون كتاب آخر مع كتاب الله، أو حتى لا ينشغـل الناس عن كتاب الله، بكلام رسوله، في حين أن خُلق رسول الله كان هو القرآن كما في حديث أمنا عائشة، فكل شمائله وأخلاقه-صلى الله عليه وآله وسلم- كانت تطبيقـا عمليا للقرآن، بمعنى أنه كان بإمكان أي مطّلع على القرآن، أن يعرف شمائل المصطفى من خلال كلام الله.

السنة قاضية على القرآن:

مـن يقرأ هذا العنوان سيصـاب بالدهشة في أول وهلة، حيث أن المنطق يقول: إذا كان القـرآن هو أول أصل من أصول التشريـع بالاتفاق، وهو كلام الله الذي لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من مخلفه، فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنة قاضية على الكتاب؟!

وفي هذا روى الدارمي في سننه عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: «السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة».

قال الزركشي في كتابه البحـر المحيط: (مسألة [حاجة الكتاب إلى السنة] قال الأوزاعـي: الكتـاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتـاب. قال أبو عمر: يريد أنهـا تقضي عليه، وتبين المراد منه، وقال يحيى بـن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب).

إذن من خلال هذه النقـول نجد أن هؤلاء الشيوخ اعتبروا المرويات المأثورة عن النبـي، وهي في غالبها العام ظنية الثبوت، قاضيـة وحاكمة على القرآن القطعي الثبوت، وهـذا كلام فيه خبء معناه ليست لنا عقول، فمن يتجرأ على هذا القول بهذا الشكل، وبدون أن يرف له جفن، سأشك في عقله إن لم أشك في إيمانه، لذلك فقـد ورد في كتـاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد الـبر، أن الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن القول بأن السنة قاضية على الكتاب قال: «ما أجسر على هذا أن أقوله بل أقول أن السنة تفسر القرآن وتبينه».

ولا زال في عصرنـا هـذا من يرفع الحديث إلى مرتبة أعلى من القرآن، وإن كان يـردد كالببغاء مقولة أن القرآن هـو الأصل الأول للتشريع، لأنـه عمليا يكذبها بجعلـه السنة قاضية على القرآن، بمعنى أنه إذا وجدت نصا في الحديث يتعارض جملـة وتفصيلا مع القرآن فالحديث هنـا قاض على القرآن، وهذا ما يفسر اتباع العديـد من الشيوخ مـا ورد في الأحاديث، ضاربين بعُرضـ الحائط كل الآيات

والأحكام الواضحة الواردة في القرآن، ويمكن أن نضرب العديد من الأمثلة لذلك.

"عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى رواه البخاري ومسلم".

هذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة أية 256)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (سورة الكهف الآية 29). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

لكن هؤلاء يضربون بهاته الآيات عرض الحائط ويقولون لك بكل وقاحة وجرأة على الله، السنة قاضية على الكتاب، ويبقى حكم الحديث هو النافذ، ويتجلى في قتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.... الحديث، أما أنا فأقول وقلبي مطمئن بأن هذا الكلام لم يفه به رسول الله الذي كان خلقه القرآن، والذي قال عنه الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)

عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن: بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن». (صحيح مسلم: كتاب الرضاع؛ باب التحريم بخمس رضعات).

فهـذا الحديـث المنسـوب إلى أمنا عائشـة يتهم القـرآن بالتحريـف والتزوير رغـم أن اللـه تعالى يقـول في محكم كتابـه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:10)، فهـي تقول حسب نص هذا الحديث ان رسول الله مات وآيـة التحريم بخمس رضعات مما يتلى من القرآن، وأي دارس يمكنه التأكد أنه لا توجـد آية قرآنية واحدة في كتاب الله بهذا المعنى، وبهاته الدلالة، لكن المرويات الغريبـة كهاته والقادحـة في صدقية القرآن لا مجـال لمناقشتها من طرف هؤلاء مـع كامـل الأسف، ويمكننا أن نأتـي بعشرات بل مئات الأحاديـث التي تعارض القـرآن جملة وتفصيلا، و تسيء أيضا إلى مقـام الألوهية والرسالة معا، والماتحة مـن مستنقع الخرافة، والمصادمـة للعلم والعقل، من كتب الحديث بما فيها صحيح البخاري، لكن اكتفينا بهذين المثالين ليعرف القارئ ماذا نقصد.

السنة ناسخة للقرآن:

بعد أن حكموا بأن السنة قاضية على الكتاب، بمعنى أنها مبينة ومفسرة وحاكمة، لم يجـدوا مخرجا لإزاحة التناقضات الواضحة للحديث في مواجهة القرآن، إلا أن يحكموا بــأن السنة ناسخة للقرآن، وهم بذلك عملوا أيضا على تكريس مبدأ السيــادة المطلقــة للمرويات على كتاب الله، فلم يعد لــه أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين، أو يسترقى به لدفع الأمراض، أو للقضاء المبرم على العــين والحسد، أي أنهم ربطوه بالخرافــة، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق، في حين أن كتاب الله جاء ليشكل نبراس حياتنا، وهدى سبيلنا، ومنجاة لنا من الضلال، وجامعا لنا من الفرقة.

ومــن هذا القبيل بوب الخطيب البغــدادي رحمه الله في كتابه «الكفاية في علم الروايــة» (ص/23) بقولــه: «باب ما جاء في التسوية بين حكــم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف»

وأورد تحتــه حديث المقدام بن معد يكرب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال: "ألا إني أوتيت من القرآن ومثله معه.. الحديث". رواه الترمذي (2664) وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة "2870.

وفي مناقشــة هذا الحديــث والتعقيب عليه للكاتب الأريــب محمود أبو رية في كتابــه أضواء على السنة المحمديــة ما يريح النفس ويرتاح إليه العقل، أنقله عنه رحمه الله.

«ألا وإني أوتيــت الكتاب ومثله معه» وفي روايــة: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معــه". وهذا الحديث من أغرب مــا قذفته الرواية في سيلها! لأن النبي إذا كان قد أوتــى مثــل "الكتاب" أو "مثل القرآن" فمعنى ذلك أنه قــد أوتي ذلك ليكونِ تماما علــى القــرآن وإكمالا له لبيان دينه وشريعته – وإذا كان الأمر كذلك فلمَ لمْ يعن النبــي بكتابة هــذا المثل في حياته، كما عني بكتابة القرآن؟ ولم لم يجعلَ له كتّابا

يقيدونه عند نزولــه، كما جعل للقرآن كتابا؟ ولم اقتصر في النهي عن كتابة غير القــرآن وأغفل هذا المثل فقال: "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن" و لم يقل وغير ما أوتيته معه وهو "مثلَه!!".

و هنا يجوز لسائل أن يسأل:

هــل يصــح أن يدع النبي نصف ما أوحاه الله إليه يغــدو بين الأذهان بغير قيد، يمسكه هذا وينساه ذاك، ويتزيد فيه ذلك! مما يصيب غير المدوّن في كتاب محفوظ؟ وهل يكــون الرسول بعمله هذا قد بلغ الرسالة علــى وجهها وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها، وأين كان هذا الحديث عندما قال النبي في مرضه الأخير الذي انقلب بعده إلى ربه، و بعد أن نزلت الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة-آيــة:3). إني والله ما تمسكــوا علي بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القران[1]، ثــم أين كان هــذا الحديث عندما قــال أبو بكــر للناس: بيننا وبينكــم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!

ولم لم يشفــق عمر من ضيــاع هذا "المثل"، وهو بزعمهم نصــف ما أوحى الله بــه إلى النبي، فيذكره لأبي بكــر عندما فزع في أن يجمع القرآن ويكتبه بعد وقعة اليمامة؟!

ثــم أين كان هذا المثل عندمــا أجابت عائشة في خُلق النبــي، إذ كان عليها أن تقول كان خلقه القرآن ومثله معه؟ ولكنها اكتفت بقولها: كان خلقه القرآن!

وأيــن ذهبت عناية الصحابة بهذا "المثل" فلم يكتبوه كما كتبوا القرآن في زمن أبي بكر وعندما نسخ في عهد عثمان ووزعت نسخه على الأمصار؟

إلا إنهــم بإهمالهــم هــذا الأمر الخطير إنمــا يكونون قد تركــوا «نصف الوحي»

[1]- ص 322 ج 4 سيرةهشام.

بغــير تدوين، ويصبحون بذلك من الآثمين. انتهــى "من كتاب أضواء على السنة المحمدية".

ومهمــا بحثت عن حل لهذا الخبــل الذي يروونه وينسبونــه إلى الرسول، فلن يعتــدل لديك ميــزان، ولن يستقيــم لديك منطــق، سيما إذا علمــت أن الشيوخ المتقدمين اختلفوا اختلافا كبيرا في مسألة أن السنة تنسخ القرآن، لكن المتأخرين أو معظمهم يأخذون من هذا الاختلاف شماعة يهربون بها من كتاب الله، فيضعون فتــوى فقيه الذي يجب أن يكون في مكانــه النسبي في المكان المطلق، وهنا أنقل لكم ما جاء عن الشيخ محمد صالح المنجد المشرف العام على موقع إسلامكا على هذا الرابط https://islamqa.info/ar/138742

يقول: "وأما مسألة نسخ السنة لنصوص القرآن الكريم، فقد اختلف فيها العلماء على قولين:

القــول الأول: لا يجوز نسخ السنة الآحادية لنصوص القرآن الكريم: وهو قول جماهير الأصوليين.

بــل إن الشافعي في "الرسالة" (ص/109-106) وأحمد رحمهما الله اختارا عدم جواز نسخ السنة المتواترة للقرآن الكريم، واختاره أيضا ابن قدامة، وابن تيمية.

يمكــن مراجعة المسألة بتوسع في: "البحــر المحيط" للزركشي الشافعي (5/262-272)

القول الثاني: يجوز نســخ السنة الآحادية لنصوص القرآن الكريم، وإليه ذهب بعضــ الأصوليين من الحنفية كمــا في "(3/62)، وهو اختيــار السبكي في "جمع الجوامــع" (ص/57) حيث قــال: "والنسخ بالقرآن لقرآن وسنــة، وبالسنة للقرآن، وقيل يمتنع بالآحاد، والحق لم يقع إلا بالمتواترة" انتهى.

وهو اختيار العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، حيث يقول:

«الــذي يظهــر لنا أنه الصــواب: هو أن أخبــار الآحاد الصحيحــة يجوز نسخ المتواتر بها إذا ثبت تأخرها عنه، وأنه لا معارضة بينهما، لأن المتواتر حق، والسنة

الواردة بعده إنما بينت شيئا جديدا لم يكن موجودا قبل، فلا معارضة بينهما البتة لاختلاف زمنهما.

فقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الآية 145 سور الأنعام)

يدل بدلالة المطابقة دلالة صريحة على إباحة لحوم الحمر الأهلية، لصراحة الحصر بالنفي والإثبات في الآية بذلك.

فإذا صرح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يوم خيبر في حديث صحيح بأن لحوم الحمر الأهلية غير مباحة، فلا معارضة البتة بين ذلك الحديث الصحيح، وبين تلك الآية النازلة قبله بسنين، لأن الحديث دل على تحريم جديد، والآية ما نفت تجدد شيء في المستقبل كما هو واضح.

فالتحقيق - إن شاء الله - هو جواز نسخ المتواتر بالآحاد الصحيحة الثابت تأخرها عنه، وإن خالف فيه جمهور الأصوليين" انتهى. "أضواء البيان" (2/451.452)

هذا نموذج صارخ عن شيوخ اليوم الذين يميلون إلى إقصاء القرآن والتمكين للمرويات، وقولهم على الله ورسوله بهتانا عظيما، فحتى بعد سرده للاختلاف الكبير بين الفقهاء في هذا الشأن، إلا أنه أظهر ميوله للنسخ معتبرا إياه الرأي السديد بعد التحقيق طبعا، وأي تحقيق !!!

وهنا أتساءل والحرقة تعتصر قلبي وتغتصب عقلي اغتصابا، إذا كان كتاب الله الذي مصدره المطلق اللانهائي، صاحب العلم الكلي، يُنسخ وتُلغى أحكامه لصالح مرويات بشرية نسبية في كل شيء، حتى لو صحت نسبتها إلى الرسول الكريم، فما معنى نزول هذا الكتاب إلينا، وما الفائدة منه، وهو غير قائم بذاته ويحتاج إلى غيره، مما هو أقل منه منزلة بأشواط إن صحّ التعبير، وإلا فإن كلام الله لا يقارن بغيره، تعالى الله عما يصفون.

حرب المرويات:

بعد أن تمزقت أمة المسلمين مزعا متفرقة، شيعة وسنة، ومرجئة وخوارج، وقدرية وجبرية، وغيرها من الطوائف والمذاهب، حاولت كل طائفة أو مذهب، أن تجد لها موقعا في المرويات، يعضد بها كل متمذهب مذهبه أو طائفته، لما لم يجد ما يسعفه ويحقق أغراضه في كتاب الله، فكثرت الروايات والآثار المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم، التي ابتدعها واختلقها كل مذهب لتعزيز موقفه الديني أو السياسي، سيما مع بزوغ التعصب للعرقيات والأفكار والتوجهات السائدة آنذاك، لتشتعل بشكل خطير حرب المرويات المنسوبة زورا وبهتانا للرسول، وتنضاف إلى أطراف هاته الحرب ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية والمجوسية، وكل هاته الملل والنحل والمذاهب والطوائف والعرقيات استغلت تفشي المرويات التي بلغت مئات الألوف من الأحاديث المتضاربة المتناقضة، وكلها منسوبة إلى الرسول الكريم ليتم تغييب القرآن تغييبا نهائيا، وتحل محله آفة تدوين الحديث.

فقد ألف ابن حجر الهيتمي رسالة سماها مبلغ الأرب في فخر العرب، ذكر فيها الأحاديث الواردة في فضل العرب والنهي عن بغضهم مما قد يكون قريبا مما ذكرت، وإليك بعض هذه الأحاديث:

روى الحاكم والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وصحبه وسلم: لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة «سكت عنه الذهبي».

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار إلى

خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

قال الهيثمي: وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

وقال الهيتمي في مبلغ الأرب: حديث سنده لا بأس به، وإن تكلم الجمهور في غير واحد من رواته.

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل، فقسم الناس قسمين، فقسم العرب قسما، وقسم العجم قسما، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليمن قسما، وقسم مضر قسما، وقسم قريشا قسما، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير ما أنا منه. قال الهيتمي في مبلغ الأرب: سنده حسن

وروى مسلم وغيره عن واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

وأخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن سلمان قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان؛ لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله! قال: تبغض العرب فتبغضني قال: هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: قابوس بن أبي ظبيان تكلم فيه وأخرج الحاكم والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني.

فهاته الأحاديث تتعارض شكلا ومضمونا وبشكل واضح ومستفز مع قوله تعالى في سورة الحجرات:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (13)

لكــن مع من نتحدث ومن نحاور؟ أمع أناســ يعتبرون تلك الروايات التاريخية والتي لا يمكن أن تتجــاوز كونها تراثا، «يعتبرونها» قاضية على القرآن وناسخة له، لاغية لأحكامه وناقضة لها، ألا ساء ما يزرون.

ومن المرويات أيضا بشأن تقسيم المجتمع إلى فئات ورتب وتخصصات بشكل غريــب ما روته هاتــه الأحاديث الواضحــة الوضع، وأنها تخــدم مصلحة فريق ضد آخر، فقــد أخرج الإمام احمد بن حنبل في المسند والطبراني في الكبير عن عتبــة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة» (قال الهيتمي رجاله ثقاة).

وأخــرج الترمذي عن أبــي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الملك في قريش والقضاء في الأنصار والآذان في الحبشة».

وفي البخــاري عن عائشة رضــي الله عنها قالت: رأيت النبــي صل الله عليه وسلــم يسترني بثوبه وأنــا أنظر إلى الحبشــة وهم يلعبــون في المسجد فزجرهم عمــر فقال النبي صلى اللــه عليه وسلم «دعوهم أمناً بني أرفِدة»، يعني من الأمن (أخرجه البخاري كتاب العيدين).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صل الله عليه وسلم المدينــة لعبت الحبشة بحرابهــم فرحا بذلك (حديث صحيــح أخرجه أبو داوود).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن حبشيا دفن بالمدينة فقال رسول الله صل الله عليه وسلم «دفن في الطينة التي خلق منها»

وهــا أنتم هؤلاء قد لاحظتم كيف تمت صناعــة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بين العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك، لا ينطلي إلا على السذج، أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا.

أما عند الشيعة فنجد مرويات تبعث على الدهشة والعجب، حيث نجد في تاريخ مدينــة دمشق ج1 ص131 رقم 180 روى بن عساكر بإسناده عن يحيى بن عبدالله

بــن الحسن عن أبيه عن جعفر ابن محمّد عــن أبيهما عن جدهما قال رسول الله صلّــى الله عليه وآله وسلّم: «إن في الفردوس لعينــاً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله منها، وخلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّوجل عليه ولاية علي بن أبي طالب»

وروى الكنجــي بإسناده عن عبد الرحمن بن عــوف أنه قال: «ألا تسألوني قبل أن تشوب الأحاديث الأباطيل قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنا الشجــرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحســين ثمرها وشيعتنا ورقها، والشجرة أصلها في جنة عدن، والأصل والفرع واللقاح والورق في الجنة، أخرجه محدث دمشق في مناقبه بطرق شتى.

إن هاتــين الروايتــين هما نموذج بسيــط فقط من فيض الخرافــات لدى إخواننا الشيعــة، والــذي تقابله أحاديث أخــرى لدى السنة تجعل الدّيــن التمسك بسنة الرســول وسنة الخلفــاء، وتقدس الصحابة وتجعلهم فــوق كل انتقاص أو انتقاد، ومنــه ما جــاء في صحيح البخــاري عن العرباض بــن ساريــة ، قال: صلى لنا رســول اللــه صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثــم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلــت منها القلوب وذرفــت منها العيون، فقلنــا: يا رسول اللــه كأنها موعظة مودع فأوصنا، قــال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن أمّر عليكم عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشديــن المهديين عضوا عليهــا بالنواجذ، وإياكم ومحدثــات الأمور، فإن كل بدعــة ضلالة". هذا الحديث يدعــو إلى جانب أن هناك سنة لرســول الله واجبة الاتبــاع، بأن هناك أيضــا للخلفاء الراشدين سنة يجــب اتباعها والعض عليها بالنواجــذ، وبالتــالي فهنا يتم رفعهــم إلى مقام النبوة بشكل كبــير، تنطوي عليه طيات الحديث «سنتي وسنة الخلفاء الراشدين....» ثم يستخلص منه أيضا طاعة الحاكــم طاعة عمياء مطلقة، ورفض معارضته وعصيانــه لأي سبب» وفيه أيضا

التعريضـــ بالحبشة وذوي البشـــرة السمراء أو السوداء كمـــا في حديث آخر في صحيـــح البخاري» قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم اسمعـــوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

عـــن عبد الله بن مغفل المزني ـــرضي الله عنهـــ قـــال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) رواه أحمـــد 5/54 والترمذي (3862) والبيهقي في الشعـــب 2/191 وقال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) ا.هـ.

ويمكـــن أن نمضـــي في هذا بـــدون نهاية، فكل فئـــة من المجتمع المكـــون للدولة الإسلامية آنذاك حاولت أن تجد لها مكانا يبوئها ما تصبو إليه من خلال اختلاق روايـــات وأحاديث وآثار، ولم تقف عند هذا الحد بل حاولت كل فئة أن تجد للفئة المناوئة لها من الأحاديث والآثار ما تذمها به، وتكفرها به وتدخلها به إلى جهنم وبئس القرار.

الفصل الثاني: آفة علم الحديث

» الحديث في القرآن

» ليس علما

» أكذوبة «علم» الرجال

» رواية الحديث بالمعنى

» جناية الحديث

الحديث في القرآن:

يُعـرف «علماء» الحديث مصطلح حديث بأنه: "مـا أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي".

والحديث بهذا المعنى خاص بالمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على ما ذهب إليه كثير من المحدِّثين وجَروا عليه في كتبهم، غير أن البعض من هؤلاء المحدثين من يُدخِل في تعريف الحديث أقوالَ الصحابة والتابعين وأفعالهم!!!، ويشهد لهذا صنيعَ جمهور المحدِّثين؛ فقد جمعوا في كتبهم بين أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعالـه وتقريراته، وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ولك أن تتعجب من هذا، ويحق لك أن تطرح السؤال المجهري الذي بدون طرحه لن تتضح الـرؤى والتصـورات: إذا كان الحديث الذي يخرج من فـم الرسول وأفعاله التي يقـوم بها وتقريراته أيضا، دينا باعتبـاره الأسوة الحسنة لنا، فما علاقة الصحابة بذلك وما علاقة التابعين؟!!! سوى أن تكون معادلة تقديس هؤلاء واعتبار أقوالهم وأفعالهـم دينا يجب اتباعه، وسنّـة يستنّ بها، إلى جانب سنّة رسول الله، فنكون إزاء أنبيـاء آخرين غير نبينا محمد صلـى الله عليه وسلم، صنعوا الدّين بشكله الحالي، وهم فئـة الصحابة على مختلف طبقاتهم وأنواعهم وتصنيفاتهم وعلمهم وجهلهم ونفاقهم وصدقهم وفسقهم وإيمانهم وإلخ...

لكـن يبقى السؤال الذي يفرض نفسه وبإلحاح هو: ما هو تأصيل هاته الكلمة؟ سيمـا إذا علمنا أن معنى الحديـث في اللغة كما في لسان العرب لابن منظور هو: "الجديد من الأشياء، نقيض القديم، ويُطلَق على الكلام، قليله وكثيره لأنه يحدث ويتجدَّد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث".

أمـا إذا رجعنـا إلى كلمة «حديث» فنجدها بالمعنى اللّغـوي في القرآن، كهاته الآيات:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا

وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّم﴾ (النساء: الآية 140).

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء42).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الآنعام: 68)

لكـن في معظم آيات القرآن جاءت لفظة حديث بمعنى كلام الله، وجاءت وصفا أيضا لكتابه المنزل على نبيه، و من مثل هاته الآيات:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية:6)

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء:87)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:111)

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:6)

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (النجم 60)

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة 82)

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر23)

إلى غير ذلك من الآيات، التي لها دلالة واضحة على أن الحديث هو مطلق كلام الله المنزل على أنبيائه، وأنه كتاب الله الموحى أيضا إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكن علماء الحديث ومن سار على دربهم لا يعرفون للحديث معنى إلا كلام الرسول والصحابة والتابعين، وأحوالهم وأخبارهم وأيامهم وسننهم، حتى أنك إذا أطلقت كلمة حديث فإنه بالبداهة أصبح المقصود بها هو سنة الرسول والصحابة والتابعين، أي مختلف أفعال وأقوال وتقريرات الرسول والصحابة والتابعين، وأيضا ما يتعلق بأوصافه وسيرته، قبل أو بعد النبوة، في حين أن الله نعت كتابه القرآن بالحديث، فلم يتورع هؤلاء على توقير كلمة الحديث التي تم إعطاؤها معنى من لدن الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى معناها اللغوي، وهو كلام الله.

فيكون معنى الحديث في كتاب الله غير معناه عند المحدثين والفقهاء والشيوخ، في حين أن الأصل المتعارف عليه هو أن القرآن يعتبر الأصل الديني الأول عندنا، وأن معاني الاصطلاحات الدينية يجب أن تؤخذ عن القرآن، لكن واقع الحال ينبئ بغير ما يدعي هؤلاء الشيوخ، فكيف جاز لهم أن يصفوا كلام رسول الله بالحديث، كاصطلاح خاص به لا بغيره، في حين أن الله في كتابه يعطي المعنى الاصطلاحي الحقيقي لكلمة «الحديث» وهو كلام الله.

ومن هنا يبرز لكل ذي لبّ حكيم، أن فقه هؤلاء وفهمهم لا علاقة له بالقرآن الكريم، وأن دينهم لا يأخذونه إلا من روايات تاريخية لا قدسية لها، حتى صدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

قال ابن القيم في كتابه "الفوائد": "وهجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه

والإيمــان به والإصغاء إليه. والثاني: هجــر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقــاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلتــه لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه".

ليس علما:

لا يمكــن أن يتنــازل المشتغل بالحديث عن وصف «عــالم» لأنه يظن ظنا جازما، بــأن مــا يشتغل به يعتبر علمــا، كالفيزيــاء والكيمياء والفلك والطــب والزراعة والجيولوجيا، وغيرها من العلوم المعروفة.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عماد حسن رحمه الله، في مقالة له نشرها على صفحته الفيسبوكية بعنوان خرافة علم الرجال ما يلي: "في العصر الحديث حيث تراكمت المعرفــة الإنسانية بمقدار كاف لتصنيف العلوم المختلفة فإن اللفظ يطلق على مجــال من مجالات المعرفــة الإنًسانية الذي استوفــى شروطا محددة حتى يطلق عليه لفظ «عــلم»..... من أهم هذه الشروط:

أولا: وحــدة الموضــوع في العلم المعني مثــلا علم الكيمياء هــو العلم المختص بالتفاعــلات بين ذرات العناصر المختلفة، وعلم الإحياء هو العلم المختص بطبيعة المخلوقــات الحية، وعلــم الفلك يختص بطبيعة أجرام السمــاء، وعلم الجيولوجيا يختصــص بطبيعة الأرض وهكذا. وفي هذا السيــاق، فلا يمكن تسمية علم الإحياء بإسم علم الرياضيات المعني بالأرقام والحساب، لأنه هنا يحدث لبس في استبدال الأسمــاء التي تم التعارف عليها وأصبحت حكــر لكل علم، ولا يمكن وصف علم الجيولوجيــا بعلم الاجتماع، لأنه لا علاقــة له بالاجتماع، ولأنه فيه سرقة اسم له مدلــول متفق عليه سابقا وهكذا فالمجال المعرفي ليكون علما لابد أن يحمل اِسما يميزه ويخصه ويعكس خصوصياته" انتهى.

ولفظــة الحديث لها معاني متعددة، منهــا ما أسلفنا في الآيات السابقة أنها تدل علــى كلام اللــه، فهل المشتغلون بالحديث يشتغلون علــى كلام الله أم على كلام الرسول وأفعاله وأقواله، أم على أفعال وأقوال الصحابة والتابعين، أم ماذا؟ ناهيك عــن الاختلاف الكبير في قواعد هذا الذي يروق لشيوخه أن يطلقوا عليه «علما» مع العلم أنه حتى كلمة قواعد هاته تبدو بعيدة كل البعد عن شتم هذا واتهام ذاك

ومدح هـذا وذم ذاك، ووصف هذا بالمجهول والآخر بالمشهور والمعروف، وتكذيب هـذا وتصديـق ذاك، وهلمّ جرّا، فنحـن في النهاية نجد أنفسنـا في دوامة كبيرة عنوانها «التجريح والتعديل» تختلف فيها الآراء، وتتحكم فيها الأهواء.

ثم يضيف الدكتور عماد حسن في نفس المصدر بقوله: «ثانيا: لا بد للمنهج الذي يقوم عليه العلم المعني أن يكون قابلا للاختبار في مصداقيته: فعلم الكيمياء مثلا يقوم على إجراء تفاعلات بين عناصر مختلفة في ظروف محددة لتنتج ناتجا محددا أي تجربـة كيميائية لتكون علمية يجب أن تكون قابلة للاختبار في الهند والصين كمـا هي قابلة للاختبار في السودان وكينيا في أي زمن من الأزمان. مثلا: التحام ذرتـي هيدورجين مع ذرة أكسوجين ينتج عنه جزيء الماء. هذه العملية الكيميائية يجـب أن يكون متاحا للجميع إجراؤها حتى تكتسب المصداقية العلمية وإلا فإن أي ادعـاء بإنتاج منتوج نتيجة تفاعل كيمائي حدث مرة واحدة وفشل الناس في اختبار المنهج الذي قام عليه يعتبر خبطا عشوائيا ولا يستوفي الشرط العلمي.... وهنـا تندرج حركات السحرة والحواة البهلوانية التي تقوم على الخداع ولا يمكن اختبار منهجها، في هذا السياق فإن ظاهرة تناقل الأقوال بين مسلسل من الأفراد بينهـم عقود من الزمن تمتد في المسلسل الواحد (سنـد الحديث) إلى تسع أجيال في غالـب الروايات ليسـ إلا خرافة وأكذوبة، لأن علـم النفس وعلم الاجتماع الحديثـين أثبتا أن هذه الظاهرة ليست من طبيعة البشـر ولا يمكن حدوثها أبدا... يكفيـك فقط أن تهمس في أذن تلميذ في بداية الفصل بجملة طويلة وتطلب منه أن يهمسـ بهـا في أذن جاره وتنظر كيف تتغير الألفـاظ والمحتوى حينما تصل الجملة للتلميذ الأخير في الفصل...

فـإذا كان الأمر مستحيـلا في نفس الفصل تحت سقف واحـد وفي بيئة وزمن واحـد فمـن الخرافة تصديق أن فلانـا روى عن فلان وقـال أن فلانا قال له عن فـلان وووووووووو إلى نسبة القول للنبي عبر عدد مـن القرون... مع العلم أن ما يزعمـه كهنـة علم الرجال من حفظ روايات النبي قـد تم في ظروف كان التباعد

الجغــرافي والزماني والبيئة الاجتماعية والمتغـيرات السياسية من أعقد ما عرفته الإنسانيــة، ويستحيل معه حدوث هذه الظاهــرة، ولا ننسى أن نأخذ في الاعتبار الخاصيــة العربية سالفة الذكر من عشــق المدح والهجاء التي ميزت ذلك المجتمع والتــي قام عليها جرح أو تعديل الرواة حسب الأهواء... فظاهرة تناقل الروايات كما هي ليست إلا أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان في العالم بينما ادعاء مصداقية الجــرح والتعديل للرواة أصلا كان من خصائص العرب الذميمة في التهويل في مدح من يحبونه وذم من يختلفون معه، مما يجعل الأمر مستحيلا أن يكون الجرح والتعديل يعكس حقيقة الــرواة كما يتوهم أهل الحديث اليوم، وإنما يعكس فقط تقلب الأهواء في مدح وذم الناس لبعضها البعض سابقا وحاليا». انتهى

وهذا ما يفسر اختلاف المحدثين في الرجال، فهذا موثق من طرف فلان ومجروح في نظــر علاّن، وهكذا... وهذا ما يفسر أيضا الاختلاف الكبير للحديث من طرق عدة، حيثَ يختلف اللفظ من راو إلى آخر.

ثم يضيف الدكتور عماد حسن في نفس مقالته « ثالثا: يجب أن تكون التجربة قابلة لإعادة الإنتاج، هنا تكون المقصلة لأن الادعاء بأن هناك أجيال تناقلت أقوال النبي ظاهرة لم تحدث في أي مجتمع آخر بل ولم تتكرر حتى في المجتمع المسلم... يكفينــا أن نشــير إلى أن أحــداث رابعة الأخيرة التي وقعت علــى مسمع ومرأى العــالم، في زمن تقلصت فيه المسافات بين النــاس إلى الصِّفر بوسائل الاتصال الحديثــة وتقلّص فيــه البعد الزماني أيضــا إلى الصّفر نتيجــة حفظ السجلاَت المصورة والمسموعة، إلا أن الجميع اليوم لا يعرف بالضبط ماذا حدث في رابعة في تلك الأيام، لأن كل منبر إعلامي روى الحدث بالصوت والصورة من وجهة نظره، ومــا أكثر تضارب وجهات النظر تلك... لو كانت إمكانية التناقل الدقيق للأخبار حقيقــة لكنا قد علمنا حقيقة واحدة وشاهدنا حدثا واحدا، لكن الأهواء المختلفة سجلــت وصورت الحدث كيف تشاء فأصبــح لدينا من المتناقضات ما لا يصدق عــن حدث عاصرناه، فكيــف نصدق أن البيئة العربية التــي اقتتل فيها أصحاب

النبــي فورا بعــد موته وذابت فيها فجأة حضارات فارســ والروم ومصر واليمن في زمــن كان نقل الخبر فيه بين الكوفة والمدينة يستغرق أسابيع؟ كيف بنا نصدق أنه وفي ذلك الظرف وتلك البيئة تم تناقل أخبار النبي عبر مسلسل رجال اختلف الناس في تجريحهم وتعديلهــم وعبر عدد من القرون إلى زمن التدوين. الظاهرة كانت أكذوبة تم توريثها وتقديسها وترهيب الناس من نقدها لكنها لم تحدث ولا تحدث اليوم ولا يمكن حدوثها في المجتمع الإنساني.» انتهى.

لــكل ما سبق لا يمكننا بأي حــال من الأحوال اعتبار خرافــة «الحديث» علما، لأنها لا تملك مــن العلم شيئا، ومنهجها منهج أهــواء، وأسلوبها انتقائي مزاجي، يخضــع لأقوال الرجال، والتي بمقتضاهــا يتم الحكم على رجال آخرين بالصلاح أو بالطلاح.

أكذوبة «علم» الرجال:

لا يمكــن أن نتحدث عما يطلــق عليه اسم «علم» الحديــث، دون أن نتطرق إلى إسنــاد الحديــث، ولا يمكن أن نناقشــ الإسناد دون أن نقف علــى ما يطلق عليه أيضــا «علم الرجــال» أو «علم طبقــات الرجال» الذي يعتبر أحــد فروع «علم» الرجــال، وقد أحببت أن أصدّر مناقشتــي لهاته القضية بنقل عن الدكتور أحمد صبحــي منصور مــن مقال له نشر سنة 2005 على موقع الحــوار المتمدن أي قبل 11 سنــة، بعنوان «الإسناد في الحديث» يقــول أحمد صبحي منصور: "فى عصر الخليفة المأمون كان الشاعــر العتابى يسير فى شوارع بغداد، فدخل السوق وهو يــأكل الطعام، وكان ذلك يخالف المروءة أو "الإتيكيت" لدى أرباب الطبقة العليا، ولذلك احتــج عليه صديقه قائلا «أتأكل الطعام فى السوق ويراك الناس؟» فقال لــه العتابى ساخرا: "وهل أولئك ناس؟ إنهم بقر"، فاحتج صديق العتابى وزمجر، فقــال لــه العتابى: "سأريك إن كانوا ناسا أم بقرا" ثــم صعد إلى الربوة ونادى فى الناســ: "ياقوم هلمــوا أحدثكم عن رسول الله (صلى اللــه عليه وسلم)، فتدافع إليــه الناس واجتمعوا حوله، وأقبل يحدثهم يقول: روى فلان عن فلان عن فلان أن رســول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: وظل يخرج من حديث إلى آخر وقد تعلقــت به العقــول والقلوب والعيون، وسيطر على المستمعــين، إذا حرك يده يمينا تحركــت رؤوسهم يمينــا، وإذا أومأ برأسه يسارا التفتوا يســارا، إلى أن قال لهم... وروى غير واحد (أى أكثر من واحد) أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بلغ لسان أحدكــم أرنبة أنفه دخل الجنــة) وسكت... فإذا بكل واحد مــن المستمعين يخرج لسانــه يحاول أن يصل بــه إلى أنفه، وأصبح منظرهم جميعــا مضحكا، فالتفت العتابى إلى صديقه ساخرا وقال: ألم أقل لك إنهم بقر؟» انتهى.

إن نسبــة حديث للرسول صلــى الله عليه وسلم قائمــة بالأساس على الشك الكبير، لذلك فور أن يقول لك قائل حديثا ينسبه للرسول فانك ستسأله مباشرة

عــن إسناد الحديث «العنعنة» ومن هنــا تم اختراع الإسناد المتشكل من مجموعة من الــرواة يسمونهم رجال الحديث، لينشأ بعد ذلك مــا تم الاصطلاح عليه بعلم الرجــال الــذي هــو في تعريفهم «علــم يبحث فيه عــن جرح الــرواة وتعديلهم بألفــاظ مخصوصــة وعن مراتب تلــك الألفاظ، ويطلق عليــه أيضا "علم رجال الحديث" ويسمــى أيضا "علم الجرح والتعديل" هو أحد فــروع "علم الحديث"، يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث من حيث اتصافهم بشرائط قبول رواياتهم أو عدمه. وقيل في تعريفه أيضا: هو علم وضع لتشخيص رواة الحديث، ذاتا ووصفا، ومدحا وقدحا».

يقــول الدكتور أحمد صبحي منصور في نفس المصدر السابق: "ولذلك اختلف علمــاء الجرح والتعديــل فى مدح راو أو تجريحه، وفى إثبــات حديث ما أو نفيه، فالإمــام مسلم فــى صحيحه لم يكتف بما قالــه البخارى أستــاذه ولم يأخذ بكل أحاديثه ولم يترك ما تركه البخارى من أحاديث، فجاء صحيح مسلم مختلفا عن صحيــح البخارى، ثم جاء الحاكم فاستدرك على البخارى ومسلم، وقبلهم جميعا كان أحمــد بن حنبل مختلفا فى مسنده، ثم جــاء المتأخرون أكثر اختلافا. ولأنها قضيــة علمية عندهم تقوم على الاختلاف فى وجهات النظر، فإن أحدا لم يحكم بتكفير أحد... إذ هى أمور ظنية بحثية إنسانية وليست أمور العقيدة والدين».

فلنفرضــ جدلا أن مسلــم روى في صحيحه حديثا عن سلسلة من الرواة تبلغ ستــة أجيال مثلا، فسيكــون بالبداهة آخرهم هو من رآه الشيخ مسلم مباشرة، أما الخمســة الآخرين فلم يرهم ولم يلتق بهم، فكيف يمكن عقلا وعلما وبداهة إثبات أنهم فعلا رووا عن رسول الله هذا الحديث الذي ادعى مسلم أنه نقله عن شيخه، فحســن الظن بالشخص والرأي في الشخص بأنه صادق في نقله، لا يضمن أنه صــادق فعلا وأنه تقي حقا، لأن البشــر لا يمكنهم الشق على قلوب الناس لمعرفة حقائقها، فالتقوى والصلاح من البواطن التي لا يعلمها إلا الله، وحتى إذا أمكن للــراوي الحكم نسبيا على شيخه الذي عاشره وأخذ عنه فكيف يمكنه الحكم على

أشخاص لم يرهم ولم يلتق بهم، وبهذا أصبح فعلا «علم الرجال» أكذوبة وخرافة، لا علاقة لها بالمنطق والعقل، وبالمنهج العلمي الصائب الراجح.

ثم إن «علم» الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن -وهو الأهم- فبدأوا يجرحــون على هواهم، متأثرين بالعصبيــة المذهبية، وبالشائعات أحيانا، حتى أن الحافظ الذهبي اتهم الشيخ البخاري بالتدليس حيث قال في سير أعــلام النبلاء «ترجمة الذهلي» ج12 / 275 عند تعداد الرواة عن الذهلي ما نصه: (روى عنــه خلائق، منهم:... ومحمد بن إسماعيــل البخاري، ويُدلِّسُهُ كثيراً!!!، لا يقــول: محمــد بن يحيــى!! بل يقول محمد فقــط!! أو محمد بن خالــد!! أو محمد بن عبدالله، يَنسبــهُ إلى الجدّ، ويُعَمِّي اسمه، لمكانِ الواقع بينهما!!! غفر الله لهما) انتهى بعينه.

بل أن بعضهم اتهم البخاري في عقيدته ونسب إليه قولا يفيد أن القرآن مخلوق بلفظه، ونجد أنّ رجالا وثقهم البخاري ضعّفهم آخرون، ورجالا ضعفهم البخاري وثقهــم آخرون، وأيضــا تعديل وتجريح الرجال خضع للأهــواء المذهبية، فرجال السنة الموثقون لديهم يضعفهم الشيعة، ورواة الشيعة الموثقون لديهم يضعفهم السنة وهكذا، لنخلص في النهاية إلى أن علم الرجال أكذوبة تاريخية تم التهويل بشأنها من أجل نسبة أحاديث للرسول هو بريء من أغلبها.

إن علــم الرجــال يعني ببساطــة أن المحدثين يستدلون علــى الحقيقة بالرجال، ويهتمــون بمــن قال أكثر مما قال، وهنــا يحق لنا أن نســأل كل ذي عقل حصيف، هل كان الصحابة كلهم عدول، وكلهم أتقياء، وكلهم على مرتبة واحدة من العلم والإيمــان، أم هم في الحقيقة أصناف وأنــواع، يجب أخذ الحيطة والحذر عند الأخذ منهم وعنهم؟

مجرد طرح هذا السؤال يساوي حملة مسعرة، أسلحتها قنابل التكفير، وصواريخ التفسيــق، وقذائف الزندقة، لا يمنحك المقلــد فرصة لتشرح موقفك وتقدم أدلتك، لأنه لم يُــربَّ على النقاش والمحاججة والمحاورة، بــل بُرمج على القذف والسبّ

ويــرى في ذلك قربى يتقرب بهــا إلى الله، وعبادة يتعبد بها لله،... ومتى كان لعن الناس وإهانتهم وتلب أعراضهم من القربات؟ !!

ولمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة القرآن، سيما سورة التوبة التي يسميها البعض بالفاضحة، فقد ورد فيها كثيرا من الانتقاد لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم، بل يمكنك أيها المقدّس المقلّد أن ترجع إلى الأحاديث التي تُسميها صحيحة لتقــف على رأي الصحابــة في بعضهم البعض، لتصدم من حجــم السهام التي وجهها هؤلاء لبعضهم البعض.

وهنــا أنقل لكم ما أورده الكاتب زكريا أوزو في كتابه «جناية البخاري» ص20، نقلا من تاريخ الذهبي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، حول رأي الخليفة عمر بن الخطاب في الصحابي أبي هريرة، يقول: «وحين توفي النبى ولاه الخليفة عمر (عام 20 هـ) على البحرين بعد وفاة العلاء بن الحضرمى وسرعان ما عزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى، أما السبب فى ذلك فكان عندما أجاب الخليفة عمر بأنه-أبو هريرة- يملك عشرين ألفا من بيت مال البحرين حصل عليها من التجارة (بقولــه كنت أتجر) وكان رد الخليفة عمر: «عــدوا لله والإسلام، عدوا لله ولكتابه، سرقــت مــال الله، حين استعملتك علــى البحرين وأنت بلا نعلــين ما رجعت بك أميمة (أمه) إلا لرعاية الحمير» وضربه بالدرة حتى أدماه. وقد منعه تماما عن رواية الحديث النبوى بقوله: (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القرود أو بأرض دوس). ويؤكــد أبو هريرة ذلك فيقــول: «ما كنت أستطيع أن أقول قــال رسول الله حتى قبض عمر» أو: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته». انتهى.

ولك أن تعجب من رأي الصحابة «العدول كلهم» في بعضهم البعض، حيث نمنع نحــن من قول أبسط من هــذا وأقله عن بعضهم، لكن من يستعمل عقله ولو لمرة واحدة ليقف على هاته الأكذوبة المسماة «علم الرجال» ؟...من؟.

رواية الحديث بالمعنى

يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله، أنها واردة عنه باللفظ والمعنى كما قالها الرسول، في حين أن معظمها وارد بالمعنى، أي كمـا فهمه رواة الحديث، وليس بلفظه كما قاله الرسول، وفي هذا قال ابن رجب: «اختلاف ألفاظ الرواية يـدل على أنهم كانوا يروون الحديث بالمعنى ولا يراعون اللفظ إذ المعنى واحد». من كلام المازري في المعلم (2/145).

قـال المعلمي: (الخـلاف بالرواية مما لا يغـير المعنى، كالتقـديم والتأخير وإبدال كلمة بأخـرى مرادفة لها وجعل الضمائر التي للمخاطـب للمتكلم. وغيره فهذا مـن الرواية بالمعنى. وكانت شائعـة بينهم فلا تضر) عمارة القبور (175) بتصرف. وانظر تهذيب الآثار (-1/426عمر) للطبري.

وهـذا النص يفيد أن الرواية بالمعنى كانت سائـدة ومعروفة لدى رواة الحديث بشـكل عادي جدا ومألوف، ويرون أن الرواية بالمعنى لا تضر، وسنقف بعد قليل على هذا الأمر لنرى كيف تضر الرواية بالمعنى.

وقـد أورد أبو رّية في كتابه أضواء على السنة المحمدية مجموعة من الأحاديث التي اختلف الصحابة بشأن دلالتها وروايتها، انقلها لك أيها القرئ الكريم لتقف على بعض هاته الحقائق المغيبة من طرف العديد من الشيوخ.

«وأخـرج مسلم عنه»يقصد بن سيرين»: لقد أتـى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث، فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث.. وفي سنن الترمذي عنـه: كانـوا في الزمن الأول لا يسألـون عن الإسناد! فلما وقعـت الفتنة، سألوا عـن الإسناد، إن الرجل ليحدثني فما أتهمه ولكـن أتهم من هو فوقه. وقد روى التابعـون عن "تابعـي التابعين". ومن روايـة التابعين عن تابعـي التابعين.. رواية الزهـري، ويحيى بـن سعيد الأنصاري عـن مالك وهو تلميذهمـا ومن الطريف للفطن كما قال السيوطي في ألفيته - أن يروي الصحابي عن تابعي، عن صحابي

آخــر حديثا، ومن ذلك حديث السائب بن يزيــد الصحابي عن عبد الرحمن بن عبد القاري التابعي عن عمر بن الخطاب عن النبي (صلى الله عليه وسلم "من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه في الليل" رواه مسلم في كتابه، ومن ذلك حديث "لا يستوي القاعدون". وقد جمع الحافظ العراقي من ذلك عشرين حديثا.

نقد الصحابة بعضهم لبعض:

لم يقــف الأمــر بالصحابــة عند تشديدهــم في قبول الأخبار مــن إخوانهم في الصّحبــة كمــا أسلفنا، ولكنه تجــاوز ذلك إلى أن ينقد بعضهــم بعضا. ولقد كان عمــر وعلي وعثمان وعائشة وابــن عباس وغيرهم من الصحابة يتصفحون على إخوانهــم في الصحبة، ويشكّون في بعض مــا يروونه عن الرسول ويردّونه على أصحابــه. عن محمود بن الربيع - وكان ممن عقل عن رسول الله وهو صغير - أنه سمــع عتبان بن مالك الأنصاري وكان ممن شهد بدرا، أن رسول الله قال: إن الله حــرم النار على من قال: لا إله إلا الله يبغي بها وجه الله - وكان الرسول في دار عتبــان فحدثها قوما فيهم أبو أيوب صاحب رسول الله - فأنكرها على أبو أيوب وقال: والله ما أظن رسول الله قد قال ما قلت! وقد استدلت المرجئة بهذا الحديث ونحوه على مذهبهم. وردت عائشة حديث عمر وابن عمر: "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليــه"، فقالت: إنكم لتحدثون عن غير كاذبين ولكن السمع يخطئ والله ما حــدّث رسول الله أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه! وقالت: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الزمر: 7) وفي روايــة أنها لما سمعت أن ابن عمر يحدث بهذا الحديث قالت: وهل إنما قال: إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه "وفي روايــة ثالثة: إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ وقالت مثل قوله (ابن عمر) إن رســول الله قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال: إنهم ليسمعون

ما أقول. وقالت: إنما قال: إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقوله لهم حق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾(سورة النمل: أية 80)، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (22 فاطر) حين تبوءوا مقاعدهم من النار... والحديثان في البخاري ومسلم وغيرهما. وردت عائشة كذلك حديث رؤية النبي لربّه ليلة الإسراء الذي رواه الشيخان عن عامر بن مسروق، الذي قال لعائشة: يا أمتاه. هل رأى محمدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد قف شعـري مما قلت! أين أنـت من ثلاث من حدثكم فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربّـه فقد كذب، ثم قـرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(الأنعام الآية 103) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورىالآية 51) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾(لقمان الآيـة 34)، ومن حدثك أنه كتم شيئا فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(المائدة الآية 67)

ويضيف أبو ريّة في نفس المصدر "عد نهي النبي عن كتابته" "أي الحديث" يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم، ولا علم عندهم بالخبرة، أن أحاديث الرسول التي يقرؤونها في الكتب، أو يسمعونها ممن يتحدثون بها، قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق النبي بها، بلا تحريف فيها ولا تبديل. وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء من بعدهم، ممن حملوا عنهم أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى زمن التدوين، قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها، وأدوها على وجهها كما تلقوها، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل، ومما وقر في أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا بين بني آدم في جودة الحفظ، وكمال الضبط وقوة الذاكرة، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان البشر جميعا، فكل ما يسمعونه ينقش على ألواحها، فلا تفلت منه كلمة، ولا يشذ

عنه حرف. ولقد كان ولا جرم لهذا الفهم أثر بالغ في أفكار شيوخ الدين - إلا من عصم ربك - فاعتقدوا أن هذه الأحاديث في منزلة آيات الكتاب العزيز، من وجوب التسليم بها، وفرض الإذعان لأحكامها، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من يخالفها، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها. من أجل ذلك رأينا أن نشبع القول في هذا الأمر، ليعلم الناس وجه الحق فيه، ويدركوا أن الأحاديث التي جاءتهم عن رسول الله صلوات الله عليه قد رويت عنه بمعناها، لما لم يستطيعوا أن يأتوا بها على حقيقة مبناها، لنسيان أصلها أو لمضي الزمن عليها في أذهانهم عندما رووها، وأن كل راو قد روى ما بقي في ذهنه من هذا المعنى بعد أن عجزت ذاكرته عن ضبط ألفاظه. ولم يكونوا قد عنوا في أول الأمر بتدوينه، وعلى أن الأمر قد جرى على رواية الحديث بالمعنى، حتى لم يختلف في ذلك أحد من العارفين، فقد وقع الاختلاف بعد ذلك بين العلماء في أمر هذه الرواية، فمنهم من منعها ومنهم من أجازها، ولأن هذا الأمر مما يجب بيانه لأهميته رأينا أن نذكر هنا طرفا من أدلة هؤلاء وهؤلاء، ولم نجد أحدا عرض بتحقيق شامل لهذا الأمر مثل العلامة الشيخ طاهر الجزائري في كتابه النفيس "توجيه النظر" وهاك ما قاله: رواية الحديث بالمعنى واختلاف العلماء في ذلك "اختلف العلماء في رواية الحديث بالمعنى. فذهب قوم إلى عدم جواز ذلك مطلقا منهم ابن سيرين وثعلب وأبو بكر الرازي، ويروى ذلك عن ابن عمر. وذهب الأكثرون إلى جواز ذلك -إذا كان الراوي عارفا بدقائق الألفاظ بصيرا بمقدار التفاوت بينها، خبيرا بما يحيل معانيها فإذا أبدل اللفظ الذي بلغه بلفظ آخر مقامه بحيث يكون معناه مطابقا لمعنى اللفظ الذي بلغه جاز ذلك. وقد تعرض لهذه المسألة علماء الأصول -ولما كانت من المسائل المهمة جدا فقد أحببت أن أروي من عباراتهم هنا ما يكون فيه الكفاية: قال أبو إسحاق الشيرازي في اللمع: والاختيار في الرواية أن يروى الخبر بلفظه، لقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع"

«وقال وكيع عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: إذا أصبت المعنى أجزأك،

وقـال: إن لم يكن المعنى واسعا فقد هلـك الناس، وإنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقـان والتثبت عند السماع - مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمـة. وقال سفيان الثـوري إن قلت إني أحدثكم كمـا سمعت فلا تصدقوني فإنما هـو المعنى، وقيل له: يا أبـا عبد الله، حدثنا كما سمعت. قـال: والله ما إليه سبيـل، وما هو إلا المعاني. ومن قوله: لو أردنـا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه مـا حدثناكم بحديث واحـد! وقد قال الثقات مـن العلمـاء: إن الأولى هو إيراد الحديـث بألفاظـه دون التصرف فيـه. ولكن أنى ذلك وقد جـرى الأمر على غير الأولى! قال القاضي عياضـ: «ينبغي سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن، كما وقع لكثير من الرواية قديما وحديثا والله الموفق! وممـا ذكره المحققون، أن الرواية بالمعنـى لا تكون فيما يتعبد فيه باللفظ كالتكبير والتشهـدات. على أن التشهدات قد وردت بألفـاظ مختلفة وإليك أكثرها. صيغ التشهدات تشهد بن مسعود: في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رسـول اللـه التشهد وكفي بكفه كمـا يعلمني السورة من القـرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - وكذلـك رواه أصحاب السـنن-. وفي رواية: "ولقنيه كلمة كلمة" وفي رواية: إذا قلـت هذا، أو قضيت هـذا فقد قضيت صلاتك - وقد اختـاره أبو حنيفة وأحمد وأصحـاب الحديث وأكثر العلماء تشهد ابن عباس: روى مسلم وأصحاب السنن عـن ابن عباسـ وكذلك روى الشافعي في الأم قـال: كان رسول الله يعلمنا كما يعلمنـا السورة من القرآن فيقول، قولوا: التحيـات المباركات الصلوات الطيبات للـه، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاتـه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحـين. أشهـد أن لا إله إلا الله وأشهـد أن محمدا رسول اللـه. تشهد عمر بـن الخطـاب: روى مالك في الموطأ عن ابن شهاب عـن عروة ابن الزبير عن عبد الرحمـن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطـاب وهو على المنبر يقول، قولوا:

التحيات الزاكيــات لله، الطيبات الصلوات لله. ورواية السرخسي في المبسوط: التحيــات الناميات الزاكيات المباركات الطيبات لله. قــال مالك: أفضل التشهد تشهد عمر بن الخطاب، لأن عمر قاله على المنبر بمحضر من الصحابة فلم ينكروه عليــه إجماعــا، ورواه أبو داود وابــن مردويه مرفوعا. تشهد أبــي سعيد الخدري: التحيات الصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينــا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قال أبو سعيــد: وكنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد! تشهد جابر: وفي حديث جابــر المرفوع عند النسائي وابــن ماجة والترمذي في العلــل بلفظ: كان رسول اللــه يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن «باسم الله وبالله التحيات إلخ وصححــه الحاكم. تشهد عائشة: روى مالك في الموطأ عن عائشة زوج النبي أنها كانــت تقول إذا تشهدت: التحيــات الطيبات الزاكيات للــه. فتسقط (لله) عقب التحيات والصلوات».

ومــن الأمثلة التي أوردها أبو ريّة في نفســ المصدر «روى مسلم عن طلحة بن عبيــد الله: جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول اللــه: خمس صلــوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليّ غيرهــن؟ فقال: لا، إلا أن تطــوع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علــي غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوع. وذكر لــه رســول الله الزكاة. فقال، هل عليّ غيرها؟ فقــال: لا، إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله أفلح إن صدق وفي رواية أخرى أفلح وأبيه إن صدق، وفي رواية ثالثة دخل الجنة وأبيه إن صــدق. وعن أبي هريرة في حديــث جبريل. قال رسول الله: سلوني فهابوه فجاء رجــل فجلس عند ركبتيــه وقال: يا رسول الله ما الإســلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئــا. وتقيم الصلاة، وتؤتــي الزكاة، وتصوم رمضان. قــال: صدقت، ثم قال: يا رســول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن

بالغيــب، وتؤمن بالقدر كله قال: صدقت، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال أن تخشــى الله كأنك تراه، فإنــك إن لم تكن تراه فإنه يراك إلخ. وقد تكلمنا عن هذا الحديــث في كتابنا "شيخ المضيرة" فيرجع إليــه ويقرأ ما قاله الدكتور طه حسين فيه. وعن أبي أيوب قال: جاء رجل إلى النبي فقال: دُلَّني على عمل أعمله يدنيني مــن الجنــة ويباعدني من النار. قال: تعبــد الله لا تشرك به شيئــا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك. قال رسول الله: إن تمسّك بما أمر به دخل الجنة.

وعن الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان عن جابر قال: قال النعمان بن توقل: يا رسول الله بمثله، وزادا فيه، ولم أزد على ذلك شيئا. حديث زوجتكها بما معك.

جــاءت إمرأة إلى النبي وأرادت أن تهب نفسها له، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله: أنكحنيها؟ ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن، فقال له النبي: أنكحتكها بما معك من القرآن، وفي رواية: " قد زوجتكها بما معك من القرآن" وفي رواية ثالثة: "زوجتكهــا على ما معك" وفي رواية رابعــة: "قد ملكتكها بما معك"، وفي رواية خامسة: "قد ملكتكهــا بما معك من القرآن" وفي رواية سادسة: "أنكحتكها على أن تقرئهــا وتعلمها"، وفي رواية سابعة: "أمكناكها". وفي رواية ثامنة: "خذها بما معــك" فهذه اختلافات ثمانية -في لفظة واحدة. قال ابــن دقيق العيد: هذه لفظة واحــدة في قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث! وقال العلائي: من المعلــوم أن النبي لم يقل هذه الألفاظ كلها تلك الساعة فلم يبق إلا أن يكون قال لفظة منها، وعبر عنه بقية الرواة بالمعنى، فمن قال بأن النكاح ينعقد بلفظ التملك ثم احتج بمجيئه في هذا الحديث، إذا عورض ببقية الألفاظ لم ينتهض احتجاجه! فــإن جزم بأنه هو الذي تلفظ به النبــي -ومن قال غيره ذكره بالمعنى! - قلبه عليه مخالفه وادعى ضد دعواه، فلم يبق إلا الترجيح بأمر خارجي. وهذا الحديث ومثله كان مما دعا سيبويه وغيره إلى عدم جعلهم الحديث من شواهدهم في إثبات اللغة والنحو كما ستراه في محله من هذا الكتاب"انتهى.

إن روايــة الحديــث بالمعنى لتفيد بمــا لا يدع مجالا للشــك أن الصحابي يروي

فهمــه لكلام الرسول وينسبه للرسول، والتابعي يــروي فهمه لما فهمه الصحابي مــن كلام الرسول ومن روى عــن التابعي فهو يروي فهمه أيضا عن فهم التابعي لفهــم الصحابي عن رسول اللــه، وهكذا تتسع حلقات فهم مــن فهم عمّن فهم عمّــن فهم عمّن فهم عمّن فهم عن رســول الله، حسب اتساع سلسلة الرواة في سنــد الحديث، ليبرز السؤال مرة أخرى هل نحن أمــام كلام للرسول مباشرة، أم نحن أمام فهم الرواة عن بعضهم البعض إلى رسول الله؟ مع التنبيه على اختلاف القدرات العقلية والفكريــة والاستيعابية لدى كل واحد من الرواة، فليسوا على قــدم المساواة في هــذا إن قمنا بغض الطرف عن مستوى الــورع لدى كل واحد منهــم، ليكون الجــواب الذي يفرض نفسه، أننا إزاء فهــم لمعنى كلام رسول الله، ولهــذا وجدنا الاضطــراب في رواية العديد من الأحاديــث، إذن نحن لسنا أمام حديث لرســول الله بل في مواجهة أحاديث منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

جناية الحديث

إن أعظم جناية جناها الحديث، هي التسبب في هجر كتاب الله ليحل محلّه، على مستوى التشريع، وعلى مستوى العقيدة، وعلى مستوى العبادات، حتى أصبح لدينا دين آخر مأخوذ من الحديث لا علاقة له بالقرآن، بل إن الحديث اتهم القرآن بالنقص والزيادة والتحريف غير ما مرة في مرويات تعج بها كتب الحديث، فكانت الجناية العظمى التي أورثنا إياها الحديث، هو تغييب كتاب الله من المشهد الديني تغييبا يكاد يكون تاما، إلا من بعض المظاهر والطقوس الشكلية، والمرتبطة أساسا بالخرافات.

وهنا ارتأيت أن أقدم إليك -أختي القارئة أخي القارئ-نماذج مما جناه الحديث على القرآن وعلى أمة الإسلام، وعلى البشرية جمعاء.

ففي صحيح مسلم نجد باب التحريم بخمس رضعات 1452، حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن.

وهنا يبرز السؤال المحوري، إذا كان هذا صحيحا فأين هي هاته الآية التي ينسب إلى أمنا عائشة أنها قالت بها، وإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم مات وهي تقرأ من القرآن، أليس هذا اتهام صريح ولا لبس فيه لكتاب الله ووصمه بالتحريف والنقصان، لكننا لازلنا في عصرنا هذا نجد من لا يملك الجرأة للقول بجراءة وشجاعة أن هذا افتراء بين على أمنا عائشة وافتراء على رسول الله، وكذب وبهتان على كتاب الله الذي تكفل الله بحفظه من كل تحريف أو زيادة أو نقصان.

وفي صحيح مسلم أيضا الجزء 2 الصفحة 726 حديث 1740 رقم الحديث نجد: حدثني سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن داود عن أبي حرب بن أبي

الأســود عن أبيه قال بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرأوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابــن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنــا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحــات فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنــوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

وقريب من هذا نجده في صحيح البخاري أيضا كتاب الرقاق حديث رقم 5957، حدثني محمد أخبرنا مخلد أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباســ يقول سمعت رسول الله صلــى الله عليه وسلم يقول لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تــاب قال ابن عباس فلا أدري من القــرآن هو أم لا قال وسمعت ابن الزبير يقول ذلك على المنبر.

وأعجــب! كيف لابــن عباس حبر هاته الأمة أن لا يميز بــين كلام الله المنزل من لدنه وبين كلام البشر؟، بل إن في رواية مسلم أن هناك سورة طويلة عريضة لكن الصحابــي نسيها، وتضاهي في طولها سورة بــراءة، أليس هذا ادعاء صريح من الصحيحين بأن القرآن نقصت منه سورة، تعالى الله عما يصفون وجل كتابه عما يفترون.

أخــرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس، قال: خطب عمر بن الخطاب خطبتــه بعــد مرجعه من آخر حجة حجهــا، قال فيها: إن اللــه بعث محمداً (ص) بالحــق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليــه الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناهــا فلذا رجم رســول الله (ص) ورجمنــا بعده. فأخشــى إن طال بالناس الزمــان أن يقول قائل: والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة

أنزلهـا اللـه. (البخاري ج8 ص208 بـاب رجم الحبلى حديث رقـم 6328 ومسلم ج4صـ167 وج5ص116) كذلك نسب إلى عمر: إنا كنا نقـرأ فيما نقرأ من كتاب اللـه أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم. أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عـن آبائكم. البخاري ج8ص208 حديث رقم 6328 عن عمر قال: (لولا أن يقـول الناس أن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي) (البخاري ج4 ص152و135 باب الشهادة عنـد الحاكم في ولآية القضاء) ولعل القارئ سيصدم مـن هذا الذي سردنـاه الآن نقلا من الصحيحين وسيصـدم أيضا من الأسلوب الركيـك لما يوصف بأنها كانت آية من كتاب الله، آيـة رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا، وسيشبعنا بعض المقلدة بكلام كبير متعرج عن نسخ التلاوة الذي جاءت به مخيلتهم لتمرير وتبرير هذا الهراء.

وفي نفس السياق نجد:

حدثنـا موسـى عن أبي عوانة عن مغيرة عن إبراهيم عـن علقمة: دخلت الشام فصليـت ركعتين فقلت اللهم يسر لي جليسا فرأيـت شيخا مقبلا فلما دنا قلت: أرجـو أن يكـون استجاب قال من أين أنت قلت من أهـل الكوفة قال أفلم يكن فيكـم صاحب النعلين والوساد والمطهرة أولم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان أولم يكـن فيكم صاحب السر الـذي لا يعلمه غيره، كيف قرأ ابن أم عبد والليل، فقـرأت والليل إذا يغشى والنهـار إذا تجلى والذكر والأنثى، قـال: أقرأنيهاالنبي صلـى الله عليه وسلـم فاهُ إلى في فما زال هؤلاء حتـى كادوا يردونني. البخاري حديث رقم 3477 وانظر نحوه رقم 4562.

أين ذهبت "وما خلق" فشتان بين والذكر والأنثى وبين وما خلق الذكر والأنثى تعالى الله عما يفترون.

وقريـب من هذا مـا نسـب لأم المؤمنين عائشـة "في فتح البـاري لابن حجر العسقـلاني أنـه روى مسلم عن عائشـة أنها أملت في مصحفهـا (حافظوا على الصلـوات والصـلاة الوسطى-وصـلاة العصر-قالت: سمعتها مـن رسول الله

(ص)). (فتح الباري في شرح البخاري ج 8 ص 158) وعند البخاري أيضا "في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا وأخرج مسلم في كتاب صلاة المسافرين وَقصَرِها، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا.. عن عائشة قالت: سمع رسول الله (ص) رجلاً يقرأ في سورة بالليل، فقال: يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا.

ولعل القارئ الحصيف والعاقل الأريب من خلال هذا الأسلوب المبهم من كذا وكذا إلى كذا وكذا، ليصل إلى أن هذا مجرد افتراء على نبي الرحمة، الذي كلف بتبليغ الوحي للناس كل الناس، فكيف لهذا الرسول الكريم أن ينسى آية من كتاب ربه، فيتذكرها من شخص آخر من أفراد أمته، غريب أمر هؤلاء الذين يقبلون مثل هذا الكلام على نبيهم، مخافة أن يكذبوا كتابا لا نعرف من ألفه أصلا، ولم تثبت نسبته إلى البخاري أصلا كما سنقف بعد قليل من خلال الفصول القادمة من هذا الكتاب.

إننا نجد أنفسنا مضطرين لرفض هذا الغثاء، كما نجد أنفسنا مضطرين أيضا للصبر على ما ينعتنا به هؤلاء الذين لم ينقص إيمانهم، بقدر ما نقص علمهم وعقلهم عن العقل عن الله والفهم عن رسوله الكريم الأكرم، فكل التأويلات التي تمسحت بالنسخ مهربا لتبرير ما جاء في الصحاح باءت بالفشل أمام الحقيقة الصلبة التي لا تقبل الجدل، وهي أن الأحاديث لا تقبل هذا التأويل، ما نسب لأم المؤمنين عائشة في آية الرضعات المحرمات بصريح القول تفيد بأن الرسول مات وهي مما يتلى من كتاب الله حتى أكلتها الداجن وهي تحت سريرها، وما نسب لعمر بن الخطاب أيضا من آية الشيخ والشيخة حتى أنه كاد أن يضيفها إلى القرآن لكن خوفه من الناس حال دون ذلك، إننا بقبولنا لهذا الذي نتحدث عنه لنشجع الملحدين على تحدينا، وننفر الناس أيضا من ديننا فهلموا يا أحباب الرسول الأكرم إلى هبة إيمانية إحسانية، مبناها ومعناها ينطلق من القرآن الذي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحكمتها العقل الطاهر النقي المتشبع ببهاء القرآن ومنطقه الجلي الذي قال عنه العباقرة والفلاسفة والباحثون بأن عقلانيته صلدة كالصخر، هلموا إذن، فلا مجال للرجوع، هلموا إذن فلا مجال للتراخي، هلموا إذن لننبذ عنا أساطير الماضي إلى عقلانية الحاضر.

ومما جناه الحديث على أمتنا هو أنه جعلها أمة متخلفة تؤمن بالخرافة وتناهض العلم، وتنبذ العقل، ومن النماذج الحديثية التي نمثل بها على مصائب كتب الحديث وما تزخر بها من تفاهات وخرافات وأساطيرما يلي:

من الغرائب المضحكة في صحيح البخاري هذا الحديث الذي ينسب فيه إلى نبي الرحمة أنه أمر بقتل الوزغ «أبو بريص» عند المشارقة أو «تقليت» عند المغاربة، وهو نوع من السحالي تعيش في سقوف المنازل القديمة أو المهجورة، لأنها حسب صحيح البخاري كانت تنفخ النار على سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليم، هل يمكن تصديق هذا الهراء؟ 3359 - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّه بْنُ مُوسَى، أو ابْنُ سَلاَمٍ عَنْهُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْد الحَميد بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعيد بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أُمِّ شَرِيك رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، «أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلاَمُ».

وورد في صحيح البخاري باب: ما يتقى من شؤم المرأة، 5093 عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالفَرَسِ» فهل يعقل أن يقول رسولنا الكريم ذلك وهو يتلو قوله تعالى «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ إلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (النحل الآية 59) وهل يشبّه رسولنا المرأة بالفرس والدار، أي بالحيوان وبالجماد ألا ساء ما يحكم به صحيح البخاري في هذا، ألا ساء وحاشا رسولنا أن يقول ذلك وهو الذي يقول: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» فهل يكون الرسول لئيما وهو الكريم؟!!!

في صحيــح البخــاري يؤكد المؤلف أن الله كتب علــى جميع البشر حظهم من الزنــا، أي أن البشــر مسير لا مخــير، وبالتالي فمبدأ الاختيــار الواضح في قوله تعــالى: ﴿وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة﴾ (البلد الآيــات 11-10) أصبح لا معنى له، والأخطر أيضا هنا أنه لم يعد أي معنى لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، كيــف ينهانا الله عن شــيء قد كتبه علينا!!! بل نستنتج من خلال هذا الحديث أن جميــع الرسل لديهم حظهم مــن الزنا باعتبارهم من بنــي آدم، بمن فيهم رسولنا الكــريم، وأيضا الصحابة الكرام والسلف الصالح، الكل له حظه من الزنا، فنحن زناة من نسل زناة، هذا هو الحديث في أصح الكتب كما يتبجحون:روى البخاري (6243) عــن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّـمَ قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفرْجُ يُصَدِّقُ ذَلكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ).

وكُتــبٌ لم تقف عند هذا الحدّ بل عمدتَ إلى الإساءة لنبينا في غير ما مرة كمثل هــذا الحديــث في صحيح البخاري يتهــم الرسول فيه أنه يدخــل على أم حرام زوج عبــادة بــن الصامت في غيبة مــن زوجها طبعا ويأكل عندهــا وينام عندها وتفلــي رأسه، إذن فالرسول يختلي بامــرأة في غيبة زوجها، وينام عندها ويأكل، وتفلــي رأسه من القمل، أطهــر الناس وأكمل الناس فيه قمــل –حاشاه-، لكن كالعــادة سينبري عباد البشر إلى الدفاع عن هــذا التلفيق للرسول وسيشبعوننا سبــا وشتما، نقول لهم سبابكم وشتمكم يعود عليكم ونحن بالمرصاد للدفاع عن رسولنا الأعظم ضد روايات تسيء إليه وتنتقص من نبوته وأخلاقه وإليكم نص الحديــث كما عند البخــاري:(6600) حدثنا عبد الله بن يوســف أخبرنا مالك عن إسحــاق بن عبد الله بن أبــي طلحة أنه سمع أنس بن مالــك يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامــت فدخل عليها يوما فأطعمته وجعلــت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله

قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة، شك إسحاق، قالت: فقلت يا رسول الله أدع اللــه أن يجعلني منهم فدعا لها رسول اللــه صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأســه ثــم استيقظ وهو يضحك فقلت ما يضحكك يا رســول الله قال ناس من أمتــي عرضــوا علي غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت".

ومن الغرائب المضحكة والأساطير الغريبة المغرقة في الخرافة والمؤسسة للجهل المطبق ما ورد في صحيح البخاري منسوبًا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه اعتبر الفأر أمة فقدت من بني إسرائيل!!! خرافة من خرافات صحيح البخاري المضحكــة سيدافع عنها الجهلاء بشكل غريب فقط لأنها وردت في هذا الكتاب الذي يعج بالخرافات والإساءات لمقام النبوة ومقام الألوهية بشكل غريب وإليكم نصــ الحديث: (3129) حدثنا موســى بن إسماعيل حدثنــا وهيب عن خالد عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فقدت أمــة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت فحدثت كعبا فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله قلت نعم قال لي مرارا فقلت أفأقرأ التوراة».

ومــن المضحكات ما ورد في صحيــح البخاري من أن قردة قــد زنت فرجمها قــردة ورجمها التابعي عمرو بن ميمــون «وهناك من يعتقد أنه صحابي» معهم. ما هــذا الذي يوجد في أصح كتاب بعد كتاب الله، فقد ورد في الحديث رقم (3849) عــن عمرو بن ميمون قال: (رَأيتُ في الْجَاهليَّة قرْدَةً اجْتَمَــعَ عَلَيْهَا قرَدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَــا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ). مع الإشــارةَ إلَىَ أَن هذا الحديث في البَخاري ضعفه الألباني وغيره، لمن يعتقدون أن كل ما في صحيح البخاري صحيح.

حديــث آخر حديــث غريب في صحيح البخاري يفنــده العلم الحديث بطريقة

جليــة وقاطعة وواضحة، وهو حديــث غروب الشمس الــوارد في كتاب تفسير القــرآن من صحيح البخاري (4524)، جاء فيه: «حدثنــا أبو نعيم حدثنا الأعمش عــن إبراهيم التيمي عن أبيه عــن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى اللــه عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس. قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾(يس الآية 38) هــذا الحديث يــبرز أن الشمس عندما تغرب فإنها تذهب لتسجد تحت عرش الرحمــن، وهذا واضح من خلال الحديث وهو يتناقض مــع العلم الذي يثبت أن غــروب الشمس على بعضــ المناطق، يعني إشراقها علــى مناطق أخرى، حيث أن الغــروب والشــروق ناتج عــن دوران الأرض حول نفسهــا وليس عن حركة الشمســ، لكن مــا زالت بعض الأفهام تقدس البخــاري وتفضل أن تنسب هذه الخرافة للرسول على أن تنسب الخطأ لمؤلف الصحيح.

ومــن الأحاديث المنتقصة من قدر النبــي في صحيح البخاري حديث يقول إن رسول الله كان يمارس الجنس مع نسائه الإحدى عشر خلال ساعة زمنية، سبحان اللــه، هل كان الراوي متتبعا متجسسا علــى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصــة؟، وهل كان رسول الله آلة جنسية وحاشاه؟، اقرأوا نص الحديث كما في صحيح البخاري كتاب الغسل (265). حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا معاذ بن هشــام قال حدثني أبي عن قتــادة قال حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبي صلى اللــه عليــه وسلم يدور على نسائــه في الساعة الواحدة مــن الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال قلت لأنس أوكان يطيقه؟ قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنسا حدثهم تسع نسوة»

مــن بلاغات صحيح البخاري في أول كتاب منه يتهم الرسول بمحاولة الانتحار -حاشــاه صلى الله عليــه وسلم-وإليكم نص ما ورد بصحيــح البخاري بكتاب التعبــير باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحــي الرؤيا الصالحة بالحديث رقم

(6581) حتـى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال. لكن ما زال البعض يعتقد أن كل ما في صحيح البخاري صحيح، أفلا تعقلون؟!!!!

حديـث في صحيـح البخاري أتحـدى أن يفهمـه أيـا كان، أو يستطيع شرحه اعتمادا على نصه فقط، حتى أبلغ الناس وأفقه الناس لن يستطيع فهمه، وهو كما أوضحـت في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ورقم الحديث (4693). حدثنا علـي بن عبد الله، حدثنـا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لبابـة عن زر بن حبيش، وحدثنـا عاصـم عن زر قال: سألت أبي بن كعب، قلت يـا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعـود يقول كذا وكذا، فقال إني سألـت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي. قيل لي فقلت: قال فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم !!!

كمـا لا يجب أن ننسـى أيضا أن كتب الحديث تخبرنا كمـا ورد في سير أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم لابن الجوزي أن الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه: «كانوا مشغولين بشيء أهم وهو الحصول على كرسي الحكم»

بـل إن الفقهاء والمحدثـين خالفوا القرآن وخالفوا العلـم وقالوا بأن مدة الحمل يمكن أن تصل إلى خمس سنوات، !!!! هذا طبعا استنادا إلى المرويات.

النقـول الأخيرة التي أوردتها نقلا من صحيـح البخاري، تجعلنا نطرح السؤال حـول من ألف هذا الكتاب؟ وما علاقـة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري بهذا الكتاب؟ هذا ما سنكتشفه جميعا من خلال باقي فصول كتابنا هذا.

الفصل الثالث: أسطورة البخاري

» لماذا البخاري؟
» سيرة الأحلام
» الأسطورة
» أسطورة الحفظ الأسطوري
» أسطورة صحيح البخاري

لماذا البخاري؟

بعـد أن بينـا في عجالـة خلال الفصلـين السابقـين المشاكل المتعلقـة بتدوين الأحاديـث، وكيف كان الصحابـة يتورّعون عن كتابتها ويمتنعـون عن تدوينها، وكيف سار الخلفاء الراشدون على نفس النهج المأمور به من طرف الرسول صلى اللـه عليه وآله وسلم، وكيـف اضطربت الروايات بخصوصـص تدوين الأحاديث مـن عدم تدوينها، وما هو الرأي الراجح والمرجـوح في الموضوع، ثم تطرقنا إلى الظروف التي واكبت تدوين الحديث وشجعت عليه، ونبهنا إلى الآفة التي تسبب فيهـا تدوين الحديث، لنخلص بعد ذلـك إلى مناقشة ما يسمى بعلم الحديث، وما جنـاه على الإسلام وأمة الإسلام، وكيف تم سحب القرآن من معترك الحياة لتحل محله المرويات، لنشرع في هذا الفصل الذي سنتطرق فيه إلى أسطورة البخاري، حيـث سنقف على مجموعة من الخرافـات المتعلقة بشخصية محمد بن إسماعيل البخـاري، وسيقف القارئ من أول وهلة عليها ليكتشف بدون عناء، أنها أساطير ألصقـت بهاته الشخصيـة، فكانت بمثابة سياج كهربائـي وضع حولها، حتى لا يتجرأ أحـد على انتقادها، أو حتى على التفكير مـن الاقتراب منها بالتمحيص العقلي، الذي يميز الخبيث من الطيب.

ولعل أول سؤال سنجابه به ونحن نناقش شخصية البخاري والكتاب المنسوب إليـه الشهير بالجامع الصحيح أو صحيح البخـاري، هو لماذا البخاري؟ لتنتصب محاكم التفتيش لتفتش وتحاكم النوايا، كما جرت العادة بذلك، وهي الطريقة التي يجابـه بها دعاة تقديس الشيوخ، كل من يحاول استعمال فكره، وعقله، ويسائل النصوص الموروثة محاولا تمحيصها.

لكـن رغم ذلك سنحاول إشفاء غليل هـؤلاء بمجاراتهم، للجواب على سؤالهم المشـكك المعاند، لنقول لهم: «إن بحثنا في شخصيـة البخاري الموروثة والكتاب المنسـوب إليـه، لمن باب اهتمامنا بنقـد الموروث الديني، الـذي ورثناه عن آبائنا

وأجدادنا من غير مشــورة منّا، نحاول جهدنا أن نتعرف عليه، لنقف على شذراته اللماعة الصالحة لعصرنا ومصرنا للانتفاع بها، وتمييز غثه من سمينه، ومعقولاته من خرافاته، وحقائقه من أساطيره.

ولعــل الشخصية الدينيــة الأكثر تأثيرا في التاريــخ الإسلامي هي شخصية «محمــد بن إسماعيل البخاري» لما حملته مــن ملامح جعلت البعض يغالي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء أو أكثر، وكذا الكتاب المنسوب إليه «صحيح البخاري» الــذي تم رفعه إلى مستوى أن يقارن بكتاب الله لذلك ٍولهاته الاعتبارات أرى أن هاتــه الشخصية لم تعد ملك نفسها، بــل أصبحت ملكًا لكل الباحثين والمهتمين، لينبشوا فيها، ويقفوا حولَ حقيقة ما يثار حولها، وما مدى صدقية ومصداقية ما أثــر عنها من آثار، وما روي عنها من أخبار، لذلك نرى أنه من حقنا أن نستدعي هاته الشخصية إلى عصرنا ليس لأننا نريد ذلك، بل لأنها تم فرضها علينا فرضا من الشيــوخ عبر العصور، حتى حملــت لقب «أمير المؤمنــين في الحديث»، وأنا أتعجــب من هاتــه الألقاب لأتساءل: ومتــى كانت للحديث إمــارة ليكون عليها أمير، لكن كعادة كل مــن يعمد إلى صناعة الأبطال الورقيين على طريقة الإعلام المعاصــر، فيمكنــه أن يسبغ على من يريد ما يريد، مــا دام الأمر مجرد كلام، وما دام الإغــراق في المديح صفة عربية بامتياز، حتــى أن الخلفاء من الدول المتعاقبة على مدار التاريخ، كانوا يفتحون بلاطهم للمدّاحين من الشعراء يتفنّنون في بديع القــول، وجميل الوصف، وبهي المديــح، لينالوا حظوة لدى الخليفــة، أو ينفحهم بأكياس الذهب والفضة، ويتبارون في ذلك ويتنافسون حتى رفعوا ممدوحيهم إلى مقــام أعلى من مقام النبوة، فقط من أجــل الحصول على رضى الممدوح، أو على دراهمه!

ومــن ذلك ما جاء في كتاب العمــدة، الجزء الثاني صفحة (139) من حبّ الخلفاء للمديــح ومبالغة الشعراء في رفع الممدوحين إلى مكانــة الألوهية أحيانا «اجتمع الشعــراء ببــاب المعتصم، فبعث إليهم: مَن كان منكــم يُحسن أن يقول مثل قول

«النُميري» في أميرالمؤمنين الرشيد:

إنّ المكارمَ والمَــــعروفَ أوديَـــة أحلّك الله منهــــا حيث تَجتَمعُ
إذا رفعتَ أمراً فــالله رافــعُــه ومَن وَضَعت منَ الأقوام مُتَّضعُ
مَن لم يكن بأمين الله مُعتـصـماً فلَيسَ بالصَّلواَت الخَمس يَنتَفعُ
إن أخلَفَ الغَيثُ لَم تُخلف أنـامُله أوضـــاقٍ أمـرٌ ذَكَرناه فَيـتَّسَعُ

فَليَدخُل. فقال «محمد بن وهب»: فينا مَن يقول خيراً منه، وأنشدَ:

ثَلاثَةٌ تُشرقُ الدُّ نيا ببَهجتهم شَمسُ الضُّحى وأبو إسحاق والقَمَرُ
تحكي أفاعَيلَه في كلِّ نائـــلة الغَيــثُ واللَّيثُ والصَّمصامة الذَكَر

فأمر بإدخاله وأحسنَ صَلته».

وإذا اطلعنــا عما كتب فَي الشيــخ البخاري نجده في الغالب العام قريب من هذا المديــح المغالي الــذي اشتهر به العرب على مر العصــور، فإما أن يمدح المرء حتى يصل إلى عنان السماء، أو يهجى فينزل به الهجاء إلى الدركات السلفى، وهذا ما تأسس عليه «علم الرجال» المتأرجح بين ذم ومدح لا ثالث لهما.

لذلك يكون من حقنا أن لا تحجبنا نغمات المديح عن معرفة الحقيقة البعيدة عن كل تزويق وتنميق، ومحاباة ومغالاة، في شخص هو في النهاية بشر وليس ملاكا معصوما عن الخطأ.

إنّ من الطوام الكبرى التي جعلت أمة بكاملها تقع في المحظور هو قلبها الحقائق، وتقديسها للماضي ورجاله، حتى سارت الركبان بمقولة ردّدت على الألسن بدون وعــي من قائليهــا، ولا تمحيص «الخير في اتباع من سلــف والشر في ابتداع من خلــف»، وبذلك أصبحت أمة المليار تسير إلى الوراء، بدل أن تسير إلى الأمام، فلا فهم إلا فهم السلف، ولا علم إلا علمهم، حتى غدا سؤال «هل لك سلف في هذا؟» من الأسئلة الملجمة لحرية الرأي، وحرية الفكر، التي هي أساس كل تقدم.

فيكفــي أن تقــرأ لابن كثير في كتــاب البداية والنهاية هــذا النص في الشيخ البخاري، الذي سننقله في هذا الكتاب لتعرف كيف تنطلق الألسنة بالمديح المغالي

في الأشخاص لترفعهم من منزلة البشر إلى منزلة الأسطورة والخرافة: «هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم أبو عبدالله البخاري الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانـه وكتابه الصحيـح يستسقى بقراءتـه الغمام وأجمع العلمـاء على قبوله وصحـة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام» "كتـاب البداية والنهاية"(11/28-31) للإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله).

ولهذا أفردنـا هذا الفصل للوقوف على حقيقة الشيـخ البخاري لنرى كيف تم تسييـج حياته بسياج الأوهام والخرافات غلوا في شخصه وفي الكتاب المنسوب إليـه، بدون تـرك مجال لإعمال العقل والمنطق، وجاء مـن بعد هؤلاء خلف اتبعوا مـا قاله السلـف بدون النظر فيـه بميزان العقـل أيضا فشاعـت الخرافة وتمكنت واستحكمـت في العقول، حتى بـات لديهم أهون ألف مـرة أن ينسب الخطأ إلى الحبيب المصطفى من أن ينسب إلى البخاري، وسنرى ذلك جليا في الكم الهائل مـن الشتائـم التي يواجه بها مـن ينتقد صحيح البخاري دفاعـا عن سول الله، ليثبتـوا أن الإسـاءات في حق نبينا داخـل هذا الكتاب صحيحـة وفعلا قام بها الرسول، والبخاري لا يخطئ «جل من لا يخطئ».

لهاته الأسباب كان البخاري.

سيرة الأحلام:

إن الدارس لسيرة البخاري كما تناقلتها كتب التاريخ وتراجم الرجال، سيجدها تركّز على مجموعة من الأحلام لإبراز فضله واستثنائيته بشكل غريب، والأغرب منه أن من يورد هاته الأخبار التي لا تتجاوز كونها أضغاث أحلام، يوردها على أنها الحقيقة التي لا حقيقة بعدها.

ولعل القارئ سيصاب بالدهشة لما سنقف عليه من تقديس للشيخ البخاري، المعتمد على أحلام، والتي من المفروض إلا يبنى عليها شيء أبدا، لكن الشيوخ بنوا معتقدهم في البخاري وكتاب الجامع الصحيح على هاته الخرافات كما سنرى.

تبدأ أول الخرافات والأوهام الملتصقة بسيرة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، عندما كان طفلا صغيرا، وفقد بصره وروى المؤرخون أن بصره فقد وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك» فأصبح وقد رد الله عليه بصره! طبقات الحنابلة -ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (طبعة دار المعرفة: ج1 ص274) وكنوز الذهب في تاريخ حلب -سبط ابن العجمي، أبو ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (طبعة دار القلم: ج2 ص81).

إن أول ما يلاحظ في هاته القصة هو أن الإمام البخاري بلغت أهميته الكبرى، أن أوحى الله إلى أمه عبر نبي الله إبراهيم في المنام، بأن ابنها قد رُدَّ إليه بصره، في رواية بسبب بكائها وفي رواية أخرى بسبب دعائها، وكأن أم البخاري كانت نبية يوحى إليها!!

ثم لماذا أوحى الله إلى أم البخاري أن ابنها رجع إليه بصره عن طريق هذا الحلم؟ ألم يكن بإمكانها معرفة أن ابنها محمد رجع إليه بصره بمجرد أن يفتح هو عينيه فيلاحظ ذلك ويخبر أمه؟!! لماذا هاته المسرحية برمتها؟ فالمعروف أن أي شخص رجع إليه بصره يمكن أن يعرف الأمر بسهولة ويخبر من كانوا حوله، ثم لماذا

إبراهيم عليه السلام بالضبط هو من حمل رسالة الإخبار لأم البخاري؟ أَلأَنّه أبو الأنبياء؟ ليتم إيهام الناس بأن البخاري كان له اتصال بالنبوة؟ فقد كان بإمكان الراوي أن يقول إنها رأت النبي، ثم من أخبرها أن من رأته في المنام-إذا كانت فعلا قد رأت-هو سيدنا إبراهيم الخليل؟

ثم ما هذا الاضطراب في الروايات؟ مرة يقول لها من رأته في المنام على أساس أنه نبي الله إبراهيم عليه السلام أن ابنها قد رد إليه بصره بسبب بكائها، ومرة بسبب دعائها، وشتان بين السببين، لكن الخرافة واضحة من خلال الروايتين اللتين تم اختلاقهما فقط لإظهار أن هناك رعاية غيبية، كانت ترعى الطفل البخاري لتجعل منه أسطورة فيما بعد، وليس هناك من وسيلة لإضفاء ذلك البعد الأسطوري على البخاري إلا الرؤى والأحلام، التي تمحورت عليها سيرة هذا الرجل، فالمعلوم المقطوع به أن شواهد التاريخ يجب أن تكون مبنية على حقائق لا خرافات، فكيف يمكن التحقق من صدق هاته الرواية تاريخيا؟ ما من سبيل، لأنه لا يمكن أن تفتش في أحلام الناس، لذلك يكون أمر تصديق هاته الخرافة أيضا مبني على انعدام الدليل، وبالتالي يكون قبولها وتصديقها مجرد وهم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستشهاد بنص كهذا على أساس أنه حقيقة تاريخية.

والغريب أن سيرة الإمام البخاري كان حضور الأحلام فيها بشكل كبير ومطّرد، وكل هاته الأحلام تصب في إطار إبراز البخاري على أنه شخص أسطوري وخرافي وله اتصال بالغيب يؤيده، وتقدم هاته الأحلام للناس على أساس أنها حقائق تاريخية مع كامل الأسف، بل تجد من يصدقها ويطبل لها، ويستشهد بها في مواطن الدفاع عن شخص البخاري.

وفي نفس سياق صناعة الأسطورة أورد جلال الدين السيوطي في كتابه تدريب الراوي الجزء الأول الصفحة رقم 92 في معرض حديثه عن أسباب تدوين البخاري للجامع الصحيح ما نصه: «(الثانية) (من مسائل الصحيح (أول

مصنــف في الصحيح المجرد صحيــح) الإمام محمد بــن إسماعيل (البخاري) ، والسبــب في ذلك ما رواه عنــه إبراهيم بن معقل النسفي قــال: كنا عند إسحاق بــن راهويه فقــال: لو جمعتــم كتابا مختصــرا لصحيــح سنة النبــي صلى الله عليــه وآلــه وسلم قال: فوقع ذلــك في قلبي، فأخذت في جمــع الجامع الصحيح. وعنــه أيضا قال: رأيت رسول الله صلى اللــه عليه وسلم وكأنني واقف بين يديه وبيــدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح. قال: وألفته في بضع عشرة سنة».

إذن لازالــت حلقات الأحلام تتواصل فبعد أن رأت أم البخاري إبراهيم الخليل يخبرهــا بأن ابنها رد إليه بصــره، لتستيقظ صباحا فتجد ابنهــا فعلا قد رد إليه بصره، بسبب بكائها حسب رواية وبسبب دعائها حسب رواية أخرى، نجد هاته المرة البخاري نفسه ينسب إليه المؤرخون أنه رأى حلما، مفاده أنه يذب عن وجه الرسول بواسطة مروحة، فيخبره معبر الرؤى أنه يذب عن النبي الكذب!! فكانت هاته القصة المتعلقة بحلم أيضا هي السبب في تأليف البخاري للجامع الصحيح، فلو لم يحلم البخــاري بنفسه يذب «الذباب»-لأنه لا يذب عن الوجه إلا الذباب والحشــرات الطائرة مثل البعوض- عن وجه الرســول –حسب هاته الرواية- لما كنا الآن «ننعم» بالإسلام، ولضاع الإسلام، لأنه في نظرهم لا إسلام بدون صحيح البخاري، في حين أن الرواية الأخرى تخبرنا أن سبب تأليف البخاري لهذا الكتاب هو ما دار في مجلس إسحاق بن راهويه، الذي طلب من رواد مجلسه أن يجمعوا كتابا مختصرا لصحيــح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك السبب في أن البخاري ألف الجامع الصحيح.

ولا نعلــم نحن أي الروايتين نصدق، وكلتاهما منسوبــة للشيخ البخاري، لكن العديد من شيوخنا اليوم يميلون إلى رواية الأحلام، لأنها تتفق كثيرا مع شخصية العديــد منهم والتــي تميل إلى الأحلام والرؤى والخرافــات بشكل غريب، ولأنها أيضــا تتفق مــع الشخصية الأسطوريــة للشيخ البخاري، فلن تتــم حلقة «أمير

المؤمنــين في الحديــث» إن لم تبدأ بحلم له علاقة بالبخــاري وأمه، برسالة من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، لها عنه عندما كان هو صبيا، ويتوسط عقد الأحلام حلــم ذب الذباب عن وجه النبي، والطريف في القصة، أن الذباب هو رمز الكذب على رسول الله، وقد نسي "علماء" الجرح والتعديل، أن يضيفوا اسم الذباب إلى مصطلح الحديــث ومصطلح تجريح الرجال، فبدل أن يقال هذا رجل كذاب، كان عليهــم أن يقولوا هذا رجل ذبــاب، تطبيقا لحلم البخاري، وتعبير معبر الرؤى بأنه يذب عن رسول الله الكذب «الذباب».

الأحــلام المؤسسة لأسطورة البخاري لم تقــف عند هذا الحد، بل تعدته إلى من يــدورون في فلــك الشيخ البخاري، ومــن كيس هاته الخرافات مــا أورده الشيخ محمد صادق النجمي -أضواء على الصحيحين -رقم الصفحة: (78) نقلا عن أبي زيــد المروزي أنه قال: كنت نائماً بين الركن والمقــام فرأيت النبي (ص) في المنام، فقــال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رســول الله (صــ) وما كتابك؟، قال: جامع محمد بــن إسماعيل البخاري»، راجع أيضا مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقلاني الفصل الأول.

إذن مسلسل الأحلام هذا كل حلقاته تدور حول أساطير تتجه لتعطي مصداقية أيضــا للبخــاري وللصحيح المنسوب إليــه، وهاته المرة من شخصــ لم يشاهد البخاري ولم يعاصره بل هو تلميذ تلميذه «المروزي»، الذي تقول الرواية أنه رأى رســول الله في النــوم يسأله منكرا عليه دراسة كتــاب الشافعي، ويطلب منه أن يعمد إلى دراسة كتاب الرسول الكريم الذي ليس إلا كتاب البخاري، وفي الوقت الذي كان الكل ينتظر أن يتحدث الرسول في الحلم عن القرآن لأنه الكتاب الذي جاء به الرسول من لدن الله وحيا منزلا عليه من العلي القدير، لكننا نجد الرسول -في الحلم طبعــا- يخبرنا عن المفاجأة الكبرى وهي أن كتاب الرسول هو الجامع الصحيح لمحمد بن اسماعيل البخاري، وتنتهي حلقتنا هذه من مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري أو لسيرة البخاري.

إن وقاحة الراوي وصلت به إلى أن ينسب عبر خرافة حلم، لكتاب مجهول المؤلف أصلا -كما سنقف على ذلك من خلال الفصلين القادمين- بأنه كتاب لرسول الله، وبالتالي يكتمل السياج الكهربائي حول البخاري والصحيح المنسوب إليه، فكل تكذيب لصحيح البخاري أو لبعض مروياته، سيُعدّ تكذيبا مباشرا للرسول الكريم، أو ليس الكتاب هو كتاب الرسول حقا؟!، بنص الشهادة المأخوذة من رسول الله نفسه في حلم رآه شخص لم يولد إلا بعد وفاة الرسول بحوالي ثلاثمائة سنة، لكنها الخرافة تفعل فعلها عندما تجد من يصدقها، وكتب التاريخ تعج بمثل هاته الخرافات المأخوذة عن ادعاء بحلم، ومع ذلك يتبجح متبجح ليعتبر هذا علما!! ويحمل أسلحة التكفير ليوجهها لكل من أراد إعمال العقل واستعماله، ولمن أراد أن يمارس إنسانيته التي لا قيمة لها بدون استعمال العقل، النعمة الربانية التي حباها الله لنا، والتي هي مناط التكليف في الإنسان، والتي حث الله على استعمالها في محكم كتابه مرات ومرات وذم الذين لا يستعملون عقولهم وشبههم بالأنعام بل أضل.

«إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» (سورة الآنفال، الآية 22)

حلقات مسلسل الأحلام المؤسسة لأسطورة البخاري نجدها أيضا في كتاب مقدمة فتح الباري والتي عنونها صاحب الكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني ب «هدي الساري» حيث يروي هذا الأثر في الفصل الأول من المقدمة: «قال سمعت الفربري يقول سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كأنه يمشي ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع».

حلم آخر يزيد «الفولتات» الكهربائية في هذا السياج الذي يحيط بالبخاري وبالكتاب المنسوب إليه وكلها أحلام تبرز أن البخاري كان على خطى الرسول، لتؤكد أن كل ما تم تدوينه في كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور

رســول الله صلى الله عليه وسلّم وسننــه وأيامه» -وهو الإسم الحقيقي لصحيح البخاري-صحيح ولا يتسرب إليه الشك، بشهادة ماذا أو من؟ هل بشهادة الأحلام التي رآها هؤلاء الأشخاص، أو التي ادعى هؤلاء أنهم رأوها، أو التي نسب لهؤلاء الأشخاص أنهم رأوها في نومهم؟، أم بشهادة رسول الله، الذي رأى أنه لم يكمل الرسالــة ولم يؤد الأمانة –حاشاه-فأرسل رسائله عــبر الأحلام إلى أمته، ليؤكد على أن صحيح البخاري يذب عن رسول الله الكذب، وأنه على خطاه يسير حذو القــدة بالقدة، وأن صحيح البخاري هو الكتــاب الوحيد للرسول صلى الله عليه وسلم؟. هذا الكلام على غرابته، وعلى حماقته، فإنه الكلام المستخلص من رواية هاته الروايات الخرافية في كتب الحديث عن البخاري مع كامل الأسف.

إن مــن يقف على هاته الخرافات لأول مرة سيندهش من هول المفاجأة، فالكثير مــن الناس الذين يسمعون عن شخصية البخاري، يظنون أن الأدلة المقدمة على علمــه وصلاحه ونبوغه، هي أدلة علمية، وحقائق مؤيدة بالشواهد التاريخية، ولم يكونــوا يعلمون أنها مجــرد أضغاث أحلام تم تضخيمها أو تم اختلاقها. فإذا كان المقــرر لدى الفقهاء أن الــرؤى لا يبتنى عليها تشريع، فــإن المحدثين بنوا عليها معتقدات، واعتبروها من حقائق التاريخ رغم أنفه، واعتبروها من العلم رغم أنفه أيضا.

حلــم اتباع البخاري لخطــوات الرسول بعد خروجه من قــبره، لم تكن «رؤيا» خاصــة بمحمد بن أبي حــاتم البخاري الوراق، بل هي «رؤيــا» رآها أيضا نجم بن فضيــل حسب ما رواه الفربــري أيضا، ونقله ابن حجــر العسقلاني في الفصل الأول مــن مقدمــة كتاب فتــح الباري، فنفس الــراوي يروي نفــس القصة عن شخصين مختلفين، محورها أنهما رأيا البخاري في المنام يتبع خطوات الرسول.

فمحاولة الاستدلال على أن البخاري كان شخصا ملتزما باتباع الرسول اتباعا تامــا، وما رواه عن الرسول صحيح تماما، بدأت بخرافة الأحلام والرؤى، ووجدت من يصدق هذا العبث، المستهزئ بالعقول مع كامل أسفنا الشديد.

وقــد أسهم في تقبل هاته الرؤى والأحلام أحاديث رويت في صحيح البخاري أيضــا لاستكمال حلقــات الاستحــكام والتحكم في العقول، لتتقبــل مثل هاته الخرافــات ومنها حديث جاء فيه "إذا اقتربَ الزمــانُ لم تَكَدْ رُؤيا المؤمن تكذبُ، ورؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ" متفق عليه (البخاري / 2263) من حديث أبى هريرة.

بل إن الرؤيا دليل على صدق رائيها، وبالتالي فقد تم صنع أحاديث في صحيح البخاري أيضا تسير على نفســ المنوال، وعلى خطى التحكم والاستحكام التي أشرنا إليها، مثل حديث جاء فيه: «أَصْدَقُكُمْ رُؤيا: أَصْدَقُكُمْ حديثاً» (متفق عليه) (البخاري / 2263) من حديث أبى هريرة.

بــل في صحيح البخــاري أن النبوة لم تنته تماما كما يقول القــرآن، بل بقي من النبــوة شيء آخر وهو الــرؤى، وللاستدلال على ذلك تم وضع حديث كهذا الذي ينسب للرسول فيه أنه قال: «لَم يبقَ منَ النُّبُوَّةِ إلا المُبَشِّراتُ» قالوا: وما المبشراتُ؟ قال: «الرؤيا الصالحةُ» « أخرجه الإمام البخاري» (6990) من حديث أبى هريرة.

فرغــم بعض الأصوات التي حاولــت تنبيه الناس إلى أن الــرؤى والأحلام لا يحتــج بها ولا تصلح للمحاججة، كمثل قول العلّامة المُعلِّمي اليماني -رحمه الله تعــالى: «اتفق أهل العلم على أنّ الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حُجّــة شرعية صحيحة» «التنكيل» (2/242).
رغــم كل ذلك إلا أن عبّاد الأشخاص، يقدمون هاته الأحلام التي أوردناها ضمن شخصية محمد بــن اسماعيل البخاري، وكأنها حقيقــة تاريخية لا غبار عليها، لكن من يتعظ؟!

الأسطورة

كانــت بداية الأسطورة مع سلسلة من الأحلام والــرؤى والمنامات التي طبعت سيرة البخاري، ممــا جعل هاته السيرة تعتمد على الخرافة وتصبح بذلك أسطورة مــن الأساطير التي تكون اليــق بحكايات الجدات للأطفال، بــدل أن تدرس في المعاهــد والجامعات، على أساس أنها جزء مــن تاريخ أعلامنا وشيوخنا، وبالتالي تاريخنا.

إن النسيــج الذي نسجت منه ســيرة الإمام البخاري كان عبــارة عن أساطير، شجعها الغلو في شخصية البخاري وفي الصحيح المنسوب إليه، وسنعطي أمثلة كثــيرة في هذا الباب على تحويل شخصية الشيــخ البخاري من شخصية عادية إلى شخصيــة أسطورية، لا يمكــن أن يصدق العقل بوجودهــا، إلا في الأفلام أو الأحلام.

ومن مظاهر تقديس الشيخ البخاري تقديسا غريبا مؤسسا على هاته الأساطير مــا سأنقله لكم خلال هذا الفصل، وستتعجب أيها القارئ من كلام هؤلاء الذين يقدمون على أنهم شيوخ وفقهاء ومحدثون وعلماء، وكيف غالوا في شخصية هذا الرجل إلى درجة التقديس وجعله فوق قياس البشر.

من هؤلاء الدكتور أحمد عمر هاشم، وهو رئيس سابق لجامعة الأزهر بالقاهرة، وجــدت له تصريحا علــى قناة أزهــري الفضائيــة، ببرنامج «اسألــوا» جعلني أستغــرب من المنطق الذي يحكم هؤلاء، فوجــدت أن لا منطق يحكمهم، إنما هي الخرافة التــي عششت في الأنفس وسيطرت على العقــول فانظروا إلى قول هذا الدكتــور المتخصص في «علم» الحديث فقــد قال: «لا يصح لمن يحاول النيل من الإمــام البخاري أن يقيسه بالمقياس البشري، لأن لله أنبياء لهم معجزات وأولياء لهم كرامات وصفوة لله، ألا ترى أن البخاري لما كف بصره وهو طفل وظلت أمه تبكــي وتدعو الله حتى رأت في المنــام إبراهيم خليل الله عليه السلام في الرؤية

يقول يا أمة الله لقد رد الله نور عين ابنك إليه، فرأت أن الله قد أعاد عليه بصره. حفظه لآلاف الأحاديث وهو طفل، وحفظه لآلاف الأحاديث وامتحان أهل بغداد له، هذا الحفظ لا يكون أمرا طبيعيا بل هو هبة من الله ليصون حديث رسوله» انتهى كلام الدكتور أحمد عمر هاشم.

إن الدكتور من خلال كلامه يدعونا إلى إيقاف عقولنا البشرية طبعا، بدعوته أن لا نستعمل القياس البشري، إذا أردنا الحديث عن البخاري ومناقشته، لأن البخاري هو من أولياء الله وصفوة الله، بمعنى أن الأولياء والصفوة لا يخضعون في سيرتهم للمنطق البشري كالأنبياء، وهنا يحق لنا أن نسأل الدكتور: إذن لأي منطق يخضعون؟ وبماذا يمكن أن نمحص سيرتهم؟ لنستخلص الجواب من هذا النص الذي نقلناه عنه من تصريح له على قناة أزهري الفضائية، بقوله: «ألا ترى أن البخاري لما كف بصره وهو طفل وظلت أمه تبكي وتدعو الله حتى رأت في المنام إبراهيم خليل الله عليه السلام في الرؤية يقول يا أمة الله لقد رد الله نور عين ابنك إليه، فرأت أن الله قد أعاد عليه بصره».

إذن المنطق الذي يدعونا إليه الدكتور الرئيس السابق لجامعة الأزهر، هو منطق الرؤى والأحلام، يعني أن نأخذ سيرته من هاته الأحلام التي اتفق أهل العلم كما روى لنا ذلك المعلمي بأنها غير صالحة للاحتجاج بها، لكن الدكتور ينافح ويدافع عن تقديسه للبخاري باعتباره فوق قياس البشر، بما يطلق عليه رؤيا.

والأخطر من هذا كله أن هذا الشيخ الأزهري المتخصص في علم الحديث، يحكم بطريقة جازمة بأن البخاري ولي الله ومن صفوة خلق الله، وكأن الأمر يقيني لا يقبل الشك، مع العلم أنه لا يمكن الحكم على شخص بأنه من أولياء الله وأصفيائه، لأننا لا نعلم الغيب ولا نستطيع الشق عن قلوب الناس، رغم حسن ظننا بهم، لكن الدكتور لا يتحرج من الأمر مادام الحديث عن شخصية الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، عجيبة أخرى من عجائب هذا التصريح. وهو ما يناقض كلام الله في مثل هاتين الآيتين على الأقل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم

﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ (سورة النجم الآية 32)، ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ (سورة البقرة الآية 220).

ويستدل الدكتور على أن البخاري لا يمكن إخضاعه للقياس البشري أيضا بحديثه عن الحفظ الأسطوري الذي تميز به البخاري حيث كان يحفظ آلاف الأحاديث وهو طفل صغير، وامتحان أهل بغداد له، معللا هاته الهبة الإلهية التي وهبها الله للبخاري بقوله «ليصون الله حديث رسوله».

إن الكلام بهاته الوثوقية عن الله، فيها من المجازفة الشيء الكثير، لأتساءل ومعي عديد من الناس عمَّن أخبر الدكتور أن الله وهب هاته الهبات غير المعقولة للبخاري ليصون كلام رسوله؟ من أخبر الدكتور بذلك ليكون مقتنعا بهذا الأمر كي يقنعنا معه؟ غير أن الحقيقة التي لا ريب فيها أن لا دليل على هذا الكلام سوى التقديس الأسطوري للأشخاص، وتحويلهم إلى أصنام بشرية، حيث أنه من المحرمات التي حرمها الله في كتابه، أن نقول عنه ما لا نعلم حينما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 33)

لكن هؤلاء الشيوخ لا يتورّعون عن أن ينسبوا لله ما لم يقله، ويقولون على الله ما لا يعلمون مادام الهدف رفع الشيخ البخاري إلى أعلى عليين.

أما في كتاب أضواء على الصحيحين للشيخ محمد صادق النجمي فقد جاء ما يلي: "المغالاة في الصحيحين: قال علماء (العامة) في الصحيحين وفي تصحيحهم وتوثيقهم لجميع أحاديثهما وتعديل مؤلفيهما من المدائح والإطراء كثيرا، وأطنبوا في ذلك حتى بلغ بهم مبلغ الغلو والإفراط فيهما، وكان نصيب البخاري من هذه المدائح والإطراءات أكثر من مسلم. فتارة تراهم يبعثون سلام وتحية النبي (صلى الله عليه وآله) إلى البخاري وتارة

أخـرى يقصّـون الرؤى والأحلام في شـأن صحيحه وينسبون إليـه وإلى مسلم وصحيحيهما شتى الكرامات الفاضلة حتى بلغ الأمر بهم أن قالوا: إن رسول الله أيد صحة كتابيهما وأمضاهما" انتهى.

والشيـخ مُحقّ في هـذا ولتأكيد كلامه أورد مجموعة مـن الأقوال المأخوذة من كتـب التراث الدينـي الإسلامي والتي جعلـت من البخاري أسطـورة ما بعدها أسطورة، ومـن النقول التي جاء بها الشيخ محمد صادق النجمي نقلا عن كتاب الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين: الحديث الثالث والثلاثون. استقصاء الأفهام 2: 868. «إن الشيـخ التنوسي لمـا زار قبر النبي (صلى الله عليه وآله) سأل رسول اللـه (صلى الله عليه وآله): هل مـا ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم من الحديث صحيح ويجوز لي أن أحدث ذلك عنك؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم، إنهما جميعا صحيحان وحدث عني ما ورد فيهما»

وفي نفس المصدر القصة ذاتها بشيء من التفصيل "وينقل عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن شارح مختصر الخليل أنه قال: كنت مع شيخي الشيخ عبد المعطي التنوسي (التونسـي) في زيارة لمرقد رسول الله (صلى اللـه عليه وآله) إذ شاهدت شيخي خلافـا لما اعتاده يمشي خطوة إلى الأمام ثم يتوقف هنيئة، ويكرر ذلك حتى وصل إلى قـبر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ووقف أمام القبر وتكلم بكلام لم أفهم ما قالـه. وعندما رجعنا سألته عن قضيـة المشي والمكث والمحادثة غير المعتادة قال: كنـت أستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدخول والزيارة حتى أذن، فلما دنوت منه قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهل كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح؟ قال: نعم. قلت: أحدث عنك كل ما ورد فيه من الأحاديث؟ قال: نعم، حدث عني". انتهى.

إن الخرافة واضحة في هاته النقول بشكل يستفز عقل القارئ ووجدانه وإيمانه، لكـن منطق لا تناقش الأمـور بقياسٍ بشري، يجعل النـاس يقبلون هذا الهراء، ويعتبرونـه حجة ما بعدها حجة، ودَلِيلًا يُفحِم المعارض لأوهامهم، حيث يعتبرون

أن الرسول قدّم شهادته في صحيح البخاري من قبره، وأتعجب كيف أمكن لهؤلاء الشيوخ أن يرووا هاته الأساطير للناس ويستخفوا بعقول الناس، أتعجب!!

وقد قال محمد فريد وجدي في كتاب دائرة معارف القرن العشرين: وغلا بعضهم فرأى أن يستأجر رجالا يقرأون الأحاديث النبوية في كتاب الإمام البخاري استجلابا للبركات السماوية -تماما كالقرآن -دائرة معارف القرن العشرين 482:3.

أما في كتاب قواعد التحديث للقاسمي أيضا قوله: "صحيح البخاري عدل القرآن، إذ لو قرئ هذا الكتاب بدار في زمن شاع فيه الوباء والطاعون لكان أهله في مأمن من المرض، ولو اختتم أحد هذا الكتاب لنال ما نواه، ومن قرأه في واقعة أو مصيبة لم يخرج حتى ينجو منها، ولو حمله أحد معه في سفر البحر لنجا هو والمركب من الغرق".

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى مقارنة كتاب صحيح البخاري البشري المصدر بكتاب الله الإلهي المصدر، حيث ورد في كتاب الصواعق المحرقة قول ابن حجر المكي: «الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به» وجاء في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق: 20 ذكر البخاري فقط.

وقال القسطلاني في كتابه إرشاد الساري: قال الذهبي: وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله عز وجل "29:2"

إن تقديس البخاري والجامع الصحيح المنسوب إليه، بلغ بالشيوخ إلى حد أن أفتوا فتاوى غريبة، لا تعتمد على أساس عقلي ولا شرعي، ومن ذلك ما نقله الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» (ص/86) بسنده إلى إمام الحرمين الجويني أنه قال: "لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق، ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما"

إذن فكتاب صحيح البخاري كامل لا خطأ فيه ولو بالظن أو الوهم أو النسيان أو السهو، والكامل لا يصدر إلا عن الكامل، وبالتالي فالشيخ البخاري هو

إنســان كامل، ولا يجري عليه الخطأ الذي جرى على آدم وعلى أنبياء الله ومنهم نبينا محمد صلــى الله عليه وسلم، فالبخاري أكمل من الجميع وينازع الله صفة الكمال، حتى قورن الجامع الصحيح المنسوب إليه بكتاب الله القرآن!

هاتــه هي الحقيقة المرة التي تنطوي عليها بطــون كتب التراث الديني مع كامل الأســف، ويمنع النــاس من مناقشة هاتــه الخرافات والأوهام، تحــت تهديد سيف الإجماع تــارة، وسيف الأحلام تارة أخرى، لتستحكــم الحلقات المسيجة لذلكم السياج الأسطوري الذي يلف شخصية البخاري.

إن الهيبــة التي تلف القارئ المتعطش للحقيقة عندما يرى حكاية الإجماع من شيــوخ أعلام من مثل ما جاء في «تهذيب الأسماء واللغات» (1/73) قول النووي: «أجمعــت الأمة على صحة هذين الكتابــين ووجوب العمل بأحاديثهما" فهو كما تــرى أيهــا القارئ لم يكتف بروايــة الإجماع على صحــة الصحيحين، بل روى الإجماع على وجوب العمــل بهما، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السبب الكامن وراء كل هذا؟ ولماذا أصبح من الواجب العمل بهما؟ ما الذي يؤيد طرح النووي؟ أهي الأساطير المؤسسة لهذا والتي تعج بها سيرة الشيخ البخاري؟ أم ماذا؟!

أمــا ابن حجر في مقدمة الفتح فيقــول معللا سبب كون صحيح البخاري أصح الكتب ما يلي:

«لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفــة الصحيح والمعلل، فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك، حتى كان يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني. ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول: دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه. وكان محمد بن يحيى الذهلــي أعلم أهل عصــره بعلل حديث الزهري وقد استفــاد منه ذلك الشيخان جميعــا، وروى الفربري عن البخاري قال: ما أدخلت في الصحيح حديثا إلا بعد أن استخــرت الله تعــالى وتيقنت صحته. وقال مكي بن عبــد الله سمعت مسلم

بـــن الحجاج يقول: عرضت كتابي هــذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علــة تركته. فإذا عرف وتقــرر أنهما لا يخرجان من الحديــث إلا ما لا علة له، أو لــه علة إلا أنها غير مؤثرة عندهمــا، فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهمــا، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما، فيندفع الاعتراض من حيث الجملة» هدي الساري ص345.

وبلمحة سريعة على هذا النص نجد أن ابن حجر ينافح ويدافع ضد الاعتراض علــى صحيح البخاري بالظن وباستنتاجات ظنية غير قطعية، يرى هو أنها دليل، حتى أنه استشهد بالقول المنسوب للشيخ البخاري بأنه كان يستخير الله ويصلي قبل أن يكتب حديثا في الصحيح، وأيضا يستشهد بقول المديني شيخ البخاري "دعــوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه" وهذا القــول وإن كان ورد من ابن حجر في سيــاق المــدح إلا أن المتمعن فيه يجده ذما صريحا للبخــاري، واتهاما من شيخه بأنه كان لا يرى إلا نفسه، لكن العقول تطمس في مثل هاته المناسبات لترى الذم مدحا، على رغم أنــف اللغة، وعلى رغم أنف العقل، لتبرز مرة أخرى المقولة التي تقول: «لا يجب أن يجابــه البخاري بالقياس البشري»، فقد تم رفعه فوق البشر، بــل فوق حتى الأنبيــاء والرسل، إذ نحن إزاء أسطــورة متشابكة لا منطق لها أو فيها، أو حتى يجاورها، أو ينتسب إليها.

وسأورد هنا حزمة من الشهادات التي رفعت البخاري والصحيح المنسوب إليه إلى عنان السماء وجعلته وكتابه طودا لا يقاوم، ولا يطاول، سأوردها دفعة واحدة كمــا جاءت في مقدمة الفتح عند ابن حجــر العسقلاني، ولا أريد الإقتطاع منها، وإن كان فيهــا ما تم إدراجه سابقا في هذا الكتاب لأختم بها هذا الباب يقول ابن حجــر: «فأولهم مشايخه قال سليمان بن حرب ونظر إليه يوما فقال هذا يكون له صيــت وكذا قال أحمــد بن حفص نحوه وقــال البخاري كنــت إذا دخلت على سليمــان بــن حرب يقول بــين لنا غلط شعبــة وقال محمد بن أبــي حاتم سمعت البخــاري يقــول كان إسماعيل بن أبــي أويس إذا انتخبت مــن كتابه نسخ تلك

الأحاديــث لنفسه وقال هذه الأحاديث انتخبها محمــد بن إسماعيل من حديثي قــال وسمعته يقول اجتمع أصحاب الحديث فسألــوني أن أكلم لهم إسماعيل بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة ففعلت فدعا الجارية فأمرها أن تخرج صرة دنانير وقال يا أبا عبد الله فرقها عليهم قلت إنما أرادوا الحديث قال أجبتك إلى ما طلبوا مــن الزيــادة غير أني أحب أن يضم هذا إلى ذاك قال وقال لي بن أبي أويس أنظر في كتبــي وجميــع ما أملك لك وأنــا شاكر لك أبدا ما دمت حيــا وقال حاشد بن إسماعيــل قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري محمد بن إسماعيل أفقه عندنــا وأبصــر بالحديث من أحمد بن حنبل فقال له رجــل من جلسائه جاوزت الحــد فقــال له أبو مصعب لــو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهــه ووجه محمد بن إسماعيــل لقلت كلاهما واحــد في الحديث والفقه قلت عــبر بقوله ونظرت إلى وجهــه عن التأمل في معارفه وقال عبدان بن عثمان المروزي ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا وأشار إلى محمد بن إسماعيل وقال محمد بن قتيبة البخاري كنت عنــد أبي عاصم النبيــل فرأيت عنده غلاما فقلت له من أين قال من بخارى قلت بن من قال ابن إسماعيل فقلت أنت من قرابتي فقال لي رجل بحضرة أبي عاصم هــذا الغلام يناطح الكباش يعنــي يقاوم الشيوخ وقال قتيبة بــن سعيد جالست الفقهــاء والزهــاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمــد بن إسماعيل وهو في زمانــه كعمر في الصحابــة وعن قتيبة أيضا قال لو كان محمــد بن إسماعيل في الصحابــة لكان آية وقــال محمد بن يوسف الهمداني كنا عنــد قتيبة فجاء رجل شعــراني يقال له أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل فقال يا هؤلاء نظرت في الحديــث ونظرت في الرأي وجالست الفقهاء والزهــاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل قال وسئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيــل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بــن المديني قد ساقهم الله إليــك وأشار إلى البخاري وقــال أبو عمرو الكرماني حكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال لقد رحل إلي من شرق الأرض

ومــن غربها فما رحــل إلي مثل محمد بن إسماعيل فقال مهيــار صدق قتيبة أنا رأيتــه مع يحيى بن معين وهمــا جميعا يختلفان إلى محمد بــن إسماعيل فرأيت يحيــى منقادا لــه في المعرفة وقــال إبراهيم بن محمد بن ســلام كان الرتوت من أصحــاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم وحجاج بــن منهال وإسماعيل بن أبي أويــس والحميــدي ونعيم بن حمــاد والعدني يعني محمد بن يحيــى بن أبي عمر والخلال يعني الحسين بن علي الحلواني ومحمد بن ميمون هو الخياط وإبراهيم بن المنذر وأبي كريب محمد بن العلاء وأبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشج وإبراهيم بن موسى هو الفراء وأمثالهم يقضون لمحمد بن إسماعيل على أنفسهم في النظر والمعرفــة قلت الرتوت بالراء المهملة والتاء المثناة من فوق وبعد الواو مثناة أخرى هــم الرؤساء قاله بن الأعرابي وغيره وقــال أحمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثــل محمد بن إسماعيل رواهــا الخطيب بسند صحيح عن عبد الله بن أحمد بن حنبــل عن أبيه ولما سأله ابنه عبــد الله عن الحفاظ فقال شبان من خراسان فعده فيهم فبدأ به وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزاعي محمد بن إسماعيــل البخاري فقيــه هذه الأمة وقال بندار محمد بن بشار هو أفقه خلق الله في زماننــا وقال الفربــري سمعت محمد بــن أبي حاتم يقول سمعــت حاشد بن إسماعيــل يقول كنت بالبصــرة فسمعت بقدوم محمد بن إسماعيل فلما قدم قال محمد بن بشار قدم اليوم سيد الفقهاء وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي سمعت بندارا سنة ثمان وعشرين يقول ما قدم علينا مثل محمد بن إسماعيل وقال بندار أنــا أفتخر به منذ سنين وقال موسى بن قريش قــال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري يا أبا عبد الله أنظر في كتبي وأخبرني بما فيها من السقط فقال نعم وقال البخــاري دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينــه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي قال جاء من يفصل بيننا فعرضا علي الخصومة فقضيت للحميدي وكان الحق معه وقال البخاري قال لي محمد بن ســلام البيكندي أنظر في كتبي فما وجــدت فيها من خطأ فاضرب عليه فقال له

بعض أصحابه من هذا الفتى فقال هذا الذي ليس مثله وكان محمد بن سلام المذكور يقول كلما دخل علي محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفا منه يعني يخشى أن يخطئ بحضرته وقال سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام فقال لي لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث وقال حاشد بن إسماعيل رأيت إسحاق بن راهويه جالسا على المنبر والبخاري جالس معه وإسحاق يحدث فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق إلى قوله وقال يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه وقال البخاري أخذ إسحاق بن راهويه كتاب التاريخ الذي صنفته فأدخله على عبد الله بن طاهر الأمير فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا وقال أبو بكر المديني كنا يوما عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر فمر إسحاق بحديث ودون صحابيه عطاء الكنجاراني فقال له إسحاق يا أبا عبد الله أيش هي كنجاران قال قرية باليمن كان معاوية بعث هذا الرجل الصحابي إلى اليمن فسمع منه عطاء هذا حديثين فقال له إسحاق يا أبا عبد الله كأنك شهدت القوم وقال البخاري كنت عند إسحاق بن راهويه فسئل عمن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا فقلت أنا قال النبي صلى الله عليه و سلم إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتقد بقلبه فقال لي إسحاق قوني قواك الله وأفتي به وقال أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري حدثني فتح بن نوح النيسابوري قال أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له وقال البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه قال حامد بن أحمد فذكر هذا الكلام لعلي بن المديني فقال لي دع قوله هو ما رأى مثل نفسه وقال البخاري أيضا كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال لي يوما يا أبا عبد الله كل

من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى وقال البخاري ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث فقلت لا أعرفه فسروا بذلك وصاروا إلى عمرو بن علي فقالوا له ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه فقال عمرو بن علي حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث وقال أبو عمرو الكرماني سمعت عمرو بن علي الفلاس يقول صديقي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ليس بخراسان مثله وقال رجاء بن رجاء الحافظ فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء وقال أيضا هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض وقال الحسين بن حريث لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل كأنه لم يخلق إلا للحديث وقال أحمد بن الضوء سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير يقولان ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل وكان أبو بكر بن أبي شيبة يسميه البازل يعني الكامل وقال أبو عيسى الترمذي كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فقال له لما قام يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة قال أبو عيسى فاستجاب الله تعالى فيه وقال أبو عبد الله الفربري رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري وسمعته يقول أنا من تلامذته قلت عبد الله بن منير من شيوخ البخاري قد حدث عنه في الجامع الصحيح وقال لم أر مثله وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم وقال أيضا سمعته يقول له لولا أنت ما استطبت العيش ببخارى وقال عبد الله بن محمد المسندي محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فاتهمه وقال أيضا حفاظ زماننا ثلاثة فبدأ بالبخاري وقال علي بن حجر أخرجت خراسان ثلاثة البخاري فبدأ به قال وهو أبصرهم وأعلمهم بالحديث وأفقههم قال ولا أعلم أحدا مثله وقال أحمد بن إسحاق السرماري من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل وقال حاشد رأيت عمرو بن زرارة ومحمد

بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضـر المجلس لا تخدعوا عن أبي عبد الله فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر قال وكنا يومـا عند إسحاق بـن راهويه وعمرو بن زرارة وهو يستملـي على أبي عبد الله وأصحاب الحديث يكتبون عنه وإسحاق يقول هو أبصر مني وكان أبو عبد الله إذ ذاك شابا وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي أخبرني عبد الله بن محمد الفرهياني قـال حضرت مجلس بن أشكاب فجاءه رجـل ذكر اسمه من الحفاظ فقال ما لنا بمحمد بن إسماعيل من طاقة فقام بن أشكاب وترك المجلس غضبا من التكلم في حق محمد بن إسماعيل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر لما مات أحمد بـن حرب النيسابوري ركب إسحـاق بن راهويه ومحمد بـن إسماعيل يشيعان جنازتـه وكنت أسمع أهل المعرفة ينظرون ويقولـون محمد أفقه من إسحاق ذكر (طـرف من ثناء أقرانه وطائفة من أتباعه عليه تنبيها بالبعض على الكل) قال أبو حاتم الـرازي لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل ولا قدم منها إلى العـراق أعلم منه وقال محمد بن حريـث سألت أبا زرعة عن أبي لهيعة فقال لي تركـه أبو عبد الله يعنـي البخاري وقال الحسين بن محمـد بن عبيد المعروف بالعجلـي مـا رأيت مثل محمد بـن إسماعيل ومسلم حافظ ولكنـه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل قال العجلي ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعان إليه وكان أمة من الأمم دينا فاضلا يحسن كل شيء وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكـذا وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشـام والعراق فما رأيت فيهـم أجمع من محمد بن إسماعيـل وقال أيضا هو أعلمنـا وأفقهنا وأكثرنا طلبـا وسئل الدارمي عن حديث وقيـل له إن البخاري صححه فقال محمد بن إسماعيل أبصر مني وهو أكيس خلق الله عقل عن الله. مـا أمر به ونهى عنـه من كتابه وعلى لسان نبيه إذا قـرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه وقال أبوالطيب حاتم بن منصور كان محمد بن إسماعيل آية من آيات الله في بصره ونفاذه في العلم وقال

أبو سهل محمود بن النضر الفقيه دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم وقال أبو سهل أيضا سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا في الدنيا النظر إلى محمد بن إسماعيل وقال صالح بن محمد جزرة ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن إسماعيل وقال أيضا كان أحفظهم للحديث قال وكنت أستملي له ببغداد فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفا وسئل الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس المعروف بفضلك الرازي أيما أحفظ محمد بن إسماعيل أو أبو زرعة فقال لم أكن التقيت مع محمد بن إسماعيل فاستقبلني ما بين حلوان وبغداد قال فرجعت معه مرحلة وجهدت كل الجهد على أن آتي بحديث لا يعرفه فما أمكنني وها أنا ذا أغرب على أبي زرعة عدد شعر رأسه وقال محمد بن عبد الرحمن الدغولي كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري كتابا فيه المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل وقال أبو عيسى الترمذي لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري وقال له مسلم أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك وقال أحمد بن سيار في تاريخ مر ومحمد بن إسماعيل البخاري طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر وكان حسن المعرفة حسن الحفظ وكان يتفقه وقال أبو أحمد بن عدي كان يحيى بن محمد بن صاعد إذا ذكر البخاري قال ذاك الكبش النطاح وقال أبو عمرو الخفاف حدثنا التقي النقي العالم الذي لم أر مثله محمد بن إسماعيل قال وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة ومن قال فيه شيئا فعليه مني ألف لعنة وقال أيضا لو دخل من هذا الباب وأنا أحدث لملئت منه رعبا وقال عبد الله بن حماد الابلي لوددت أني كنت شعرة في جسد محمد بن إسماعيل وقال سليم بن مجاهد ما رأيت منذ ستين سنة أحدا أفقه ولا أورع من محمد بن إسماعيل وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ

البغــدادي عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن إسماعيــل لما قــدروا عليه وقال عبــد الله بن محمد بن سعيد بــن جعفر سمعت العلمــاء بمصر يقولون مــا في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح ثــم قال عبد الله وأنا أقــول قولهم وقال الحافظ أبو العباســ أحمد بن محمد بن سعيــد بن عقدة لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد بــن إسماعيل وقال الحاكم أبو أحمد في الكنى كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه ولو قلت أني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت ولــو فتحت باب ثناء الأئمــة عليه ممن تأخر عن عصره لفنــى القرطاس ونفدت الأنفاســ فذاك بحر لا ساحل لــه وإنما ذكرت كلام بن عقــدة وأبي أحمد عنوانا لذلك وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر لأن أولئــك إنمــا أثنوا بما شاهــدوا ووصفوا ما علمــوا بخلاف من بعدهم فــإن ثناءهم ووصفهــم مبني على الاعتماد على ما نقل إليهــم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيــان كالخبر» انتهى بنصه من مقدمة الفتح عن الموسوعة الشاملة من الصفحة 482 إلى ص 485 الجزء1.

اعتــذر للقارئ الكريم عن هــذا النقل المطول من مقدمة كتاب الفتح لابن حجر العسقــلاني، كان الهدف من ورائــه أن يقف القارئ على حجــم التقديس الذي لقيه البخاري من الشيوخ المسلمين، حتى لا نتهم بأننا نلقي الكلام على عواهنه، ليقــف كل من يقرأ هــذا الغلو على من يلقي حقا الكلام علــى عواهنه، وللأسف الشديــد هذا ما يدرس الآن في الجامعــات الاسلامية على طول العالم الاسلامي علــى أساس أنه جــزء من تاريخ أعلامنا وشيوخنا، حتــى أني أجزم أنه لو عاش البخاري إلى عصرنا وقرأ هذا الكم الهائل من النقول الموغلة في الغلو والتقديس لشخصه لتبرأ منها إلى الله.

وليســ كتاب فتح الباري وحده مــن يمتلئ بمثل هذا التقديســ، بل هناك كتب كثــيرة سارت على نفس المنهج والنهــج في تقديس هذا الرجل، ورفع الصحيح

المنســوب إليه إلى مستوى التقديس، وسأختم لكــم هذه الفقرة بنقل من البداية والنهاية لابن كثير يسير في ذات الاتجاه ويعززه.

وشرطــه في "صحيحه" هــذا أعز من شرط كل كتاب صنف في "الصحيح"، لا يوازيه فيه غيره، لا "صحيح مسلم" ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء:

صحيح البخاري لو أنصــفوه	لما خــط إلا بمـــــاء الذهب
هو الفرق بين الــهدى والعمى	هو السد بين الفتى والــعطب
أسانيد مثل نجـــــوم السماء	أمام متون كمثل الشــــــهب
بها قام ميزان دين الـــرسول	ودان به العجـــــم بعد العرب
حجــاب من النار لا شـك فيه	تميز بين الرضـــــا والغضب
وستر رقيـــق إلى المـصطفى	ونص مبين لكـــــشف الريب
فيا عالما أجمــع الــــعالمون	على فضل رتبــته في الرتب
سبقت الأئمـــة في ما جمعت	وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعـــيف من الناقلين	ومن كان متهمــــا بالكذب
وأبــــرزت في حــسن ترتيبه	وتبويبه عجبــــا للعجـــب
فأعطاك مولاك ما تــشتــهيه	وأجزل حـظك فـــيما وهب»

فانظروا بعد هذا الكلام ماذا بقي لكتاب الله من التقديس؟ !

أسطورة الحفظ الأسطوري

في نفس سباق وسياق ولحاق سيرة الإمام البخاري المحفوفة بالأساطير، نجد أن الرواة كي يكملوا تلك الحلقات الخرافية أضافوا إليها أيضا أسطورة الحفظ، أو الحفظ الأسطوري، حتى أن أحدهم كتب مقالة في مجلة العربي الجزائرية عنونها ب: «البخاري بطل العالم في الذاكرة» مؤكدا تفوقه على أهم الشخصيات العالمية في عصرنا وفي كل العصور، على صعيد الحفظ والتذكر، حيث اعتبر أن ذاكرته أسرع من ذاكرة الكمبيوترات العملاقة، وسنورد هنا مظاهر لأسطورة الحفظ الأسطوري للبخاري، كما نقلتها إلينا كتب التراث.

فقد جاء عن حفظه الأسطوري في البداية والنهاية لابن كثير ما نصه: «ولد البخاري - رحمه الله- في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل: إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا. وحج وعمره ثماني عشرة سنة، فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وروى عنه خلائق وأمم».

ولك أن تتصور الكم الهائل من الأحاديث «السبعون ألفا» التي كان يحفظها البخاري بتراجمها وأسانيدها وما قيل في رجال هاته الأحاديث فردا فردا، من جرح أو تعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة أوالضعف، إلى غير ذلك مما يرتبط بها وهو ما زال صبيا في سن اللعب، فعلى هذا يجب أن يكون البخاري قد بدأ حفظ الأحاديث قبل أن يولد، حتى لو لم نأخذ بعين الاعتبار سنوات تعلمه اللغة و"علومها"، والفقه و"علومه"، والحديث و"علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تعلمه الحبو فالمشي فالهرولة، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام،

ثــم سنوات لعبه مع الأطفال، فبالرغم من عدم أخذنا في الاعتبار بكل هذا، فإنه رغم ذلك، ستبقى مسألة حفظ البخاري خرافة كخرافات أخرى نقلت إلينا بدون تمحيصــ من ناقليها عبر كتب التراث المليئة بهذا الخبل «التاريخي» والذي يرمي بالأساس إلى خلــق شخصية أسطورية عصية على النقد، أو الطعن، لهذا نسب إليها ما لا يقبله عقل ولا منطق.

وورد عنــه في كتاب معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بــن عبد الرحمن (طبعة دار الكتب العلمية: ج1 صــ37) أنه "كان يحفظ مئة ألف حديث صحيــح، ومئتي ألف حديث غير صحيح"، وفي كتــاب "الإمام البخاري وكتابــه الجامع الصحيــح" لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العبــاد البدر (طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنــورة: ج1 ص33) أنه كان يأخــذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة.

إذن مــن الطبيعي أن تكون هاته النتيجــة هي المحصلة الطبيعية لصبي في سن اللعب كان يحفظ سبعين ألف حديث، فمن الطبيعي أن يغدو حافظا لثلاثمائة ألف حديــث وهو شاب منتصب العود قويــه، وكي يتم إخفاء الحقيقة أكثر، لأن العقل سيتســاءل عن الزمن الذي استغرقه هــذا الرجل في حفظ ثلاثمائة ألف حديث، تم إحــداث الرواية الثانية التي تقول أن محمــد البخاري كان يحفظ الكتاب من قراءتــه الأولى، فيكفيــه أن يمر مر الكــرام على الصفحة مــن الكتاب لتنطبع في ذاكرة البخاري الحديدية بل الأسطوريــة، لينهي الكتاب وكل مقتضياته العامة، مطبوعة ومحفوظة على القرص الصلب لدماغ البخاري، حتى أن الرواة رووا عنه أنــه كان يصحح لشيوخه أخطاءهم في الحديث، لنتســاءل نحن بدورنا عما كان هؤلاء الشيوخ يعلمونه للبخاري، وهو كان يصحح أخطاءهم ويحتكمون إليه عند اختلافهــم، ويرضون بحكمه؟ إن هذا لأمر عجــاب! ومنه ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (طبعة دار

الغرب الإسلامي: ج2 ص322) أنه شهد له شيوخه بذلك من صغره وكانوا يأخذون منه ويستفيدون، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه، كي لا أرويه، ففعلت ذلك».

وقد جاء بنفس السياق في كتاب البداية والنهاية لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (طبعة دار هجر: ج14 ص531) أن «محمد بن يحيى الذهلي أحد أبرز شيوخه يسأله عن الأسامي والكنى والعلل، والبخاري يمر فيه كالسهم، كأنه يقرأ قل هو الله أحد».

وقد جاء في كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (طبعة المطبعة الكبرى الأميرية، مصر:ج1 ص34) أنه «قد رُزق قوة الحفظ من صغره فكان وهو صبي لا يزال في مقتبل العمر يحفظ سبعين ألف حديث ويعرف تاريخ رواته وأخبارهم، قال سليمان بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًا يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه فلقيته، فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظًا عن كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.»

بل إن الرواة تفننوا أيما تفنن في احتقار الشيوخ والحفاظ أمامه، وتفننوا في إبراز تفوقه عليهم كما جاء في كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (طبعة دار الغرب الإسلامي: ج6 ص140) أنه «كان معروفاً بذلك "أي بالحفظ" بين أقرانه من طلبة العلم حتى كانوا يجلسون إليه ويسألونه عن الحديث، قال محمد بن أبي حاتم: سمعت إبراهيم الخواص مستملي صدقة يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي

جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث.»

وورد أيضا في كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، قال أبو بكر المديني: كنا يومـا بنيسابور عند إسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبـي صلى الله عليـه وسلم عطاء الكيخاراني فقال له إسحـاق: يا أبا عبد الله أيشـ كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، كأنك قد شهدت القوم!»

قصصـ قـوة الحفظ عند البخـاري تناسلت كتناسل الفطـر بشكل غريب لم يكلـف المحدثين على غير عادتهـم، تمحيصها والنظـر في أسانيدها لأن أنفسهم وقلوبهم تميل إلى جعل البخاري أسطورة حقيقية ومن ذلك أيضا ما ورواه الخطيب البغـدادي في نفس المرجع السابق بسنده عن حاشد بن إسماعيل قال: «كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا، نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنـع؟ فقال لنا بعد ستة عشرة يوما: إنكما قـد أكثرتما علي وألحتما، فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلهـا عـن ظهر القلب حتى جعلنـا نحكم كتبنا على حفظه، ثم قـال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد».

ومـن الروايات الشهيرة التي تؤكد الأسطورة وترفعها إلى عنان السماء وتعزز السيـاج الكهربائي الذي يجعل منهـا شخصية فوق كل انتقـاد، أو مناقشة، أو حتـى محط تسـاؤل، ما جاء في شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلـي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (طبعة دار ابن كثـير:ج1 ص24): "روى أبـو أحمد بن عدي الجرجاني قـال: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمـد بن إسماعيل البخاري قدم بغـداد فسمع به أصحاب الحديث

فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأل عن آخر فقال البخاري لا أعرفه ثم سأل عن آخر فقال لا أعرفه فما زال يلقي بمثله واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهمنا ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فسأل عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب الثالث إليه والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ والعلم وأذعنوا له بالفضل».

الغريب أن العديد من المحدثين المتشددين في الرواية يرددون هاته الرواية كأنها من المسلمات التي لاتقبل الجدل، أو أنها من أكبر اليقينيات التاريخية، ولم يقفوا وقفة بسيطة لتمحيصها والنظر في أسانيدها على عادتهم في تمحيص الرجال بالقيل والقال، وهنا ارتأيت أن أقف وقفة عند هاته الرواية لأنقل لكم ما

قــال عنها المحص حيث ورد في موقع الالوكة تعليق على القصة من طرف أحد المعلقين عليها بقوله «أما تخريج القصة، فقد قام به الأخ الفاضل علي أحمد عبد الباقي، أمّا الحكم عليهــا فقد حكم عليها المشاركون الأفاضل بحسن الظن وهو لا يغني من الحق شيئا. وذلك لعدة أسباب:

الأول: أن المشايــخ الذيــن سمع منهم مبهمون ومجهولــون، وهذه الجهالة تحول دون صحة القصة.

الثــاني: أن ابن عدي لم ينقــل مشاهداتهم أو حضورهــم للحادثة، إنما سمعهم يحكون، وهل شاهدوها أو حضروها ؟؟؟ أو سمعوا من غيرهم ؟؟

الثالــث: أن ابن عدي قد أدرك جمعاً من تلاميذ البخاري، فلماذا لم يسند عنهم مثل هذه القصة العظيمة والتي تظهر فضل البخاري وحفظه؟.

الرابــع: أن ابن عدي -رحمه الله-قد يكون بينه وبــين البخاري في هذه القصة أكــثر من رجل، كمــا وقع في قصة امتحانه فإن بينه وبــين البخاري ثلاثة رجال، وكما وقع في قصة [شمخضة] فإن بينه وبين البخاري أربعة رجال.

الخامس: أنــه فعل لايجوز كما قال العراقي وغيره، وأنه من كان يفعله من أهل الحديث كانوا ينكرون عليه، كما في قصة شعبة وغيره.

فهل يعقل هذا الجمع العظيم ليس فيهم من ينكر هذا الفعل ؟؟

وبذلــك يتضح أن قول السخــاوي، ليس بصحيح ولا مقبــول، فإنه قد تسامح -رحمه الله- على عادته في تصحيح الأحاديث والأخبار.

أمّا الحلبي فإنه لم يصنع شيئا، فقد ذكر أن بعض طلبة العلم أعلّها، وأن السخاوي أمرّها، ولم يحكم عليها بشئ، وتركها عائمة.

وقــد ذكرها الشيــخ الفاضل بكر أبو زيد -ألبسه اللــه لباس العافية والصحة وأطــال عمره ونفع بعلمه- في (التأصيل) (1/87) تحــت عنوان (ومن القضايا التي اشتهرت ولم تثبت).

وهو كما قال حفظه الله.

وقد قيل:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وقد قال عنها الشيخ بكر أبو زيد في (التأصيل) (ص79) قال -حفظه الله-: (وهي مع شهرتها، وتناقل الناس لها: مخرجها عن ابن عدي -صاحب الكامل- يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون.. إلخ. وعن طريق الخطيب في تاريخ بغداد (2/20 - 21) وقد أبهم ابن عدي تسمية مشايخه فهم مجهولون، فينظر إن كان فيهم عدولا يعتبر بهم، فالقصة مغموزة سندًا، وإلا فهي على ما تنوقل، وقد جرى القلبُ للامتحان مع آخرين كما في النكت (2/866 - 872). انتهى كلام الشيخ.

الغريب العجيب، بل الأغرب الأعجب، في هاته القصة الخرافية التي تقول أن البخاري حفظ ما سمعه مقلوبا من الممتحنين له، على ترتيبه في نفس المجلس بدون تكرار، وكأنه كان يسجل على شريط أحداث ما وقع، فهؤلاء الذين رووا هذا الكذب، سرح بهم الخيال إلى أقصى مدى، فقط كي يعززوا الأسطورة، ويؤكدوا الخرافة، فاخترقوا كل حدود العقل والمنطق، وفيه أيضا أن هؤلاء المحدثين كانوا يشكون في البخاري ويتهمونه، أي أنه ليس ثقة لديهم فاختبروه، بهذا التصرف منهم.

بل إن من أسسوا لهاته الأسطورة، أسطورة الحفظ الأسطوري لم يكفهم أن البخاري نجح في اجتياز هذا الاختبار الخرافي، واستطاع أن يتفوق على ممتحنيه الذين قاموا بقلب مائة حديث وألحقوا متن كل حديث بإسناد الآخر، وقام البخاري بدوره بمراجعة هاته الأحاديث المائة وتصحيحها، وتم كل هذا في نفس الجلسة، لم تكفهم هاته الخرافة فقاموا برواية قصة أخرى شبيهة بهاته لكنها أكثر تعقيدا، وهي الرواية التي وردت في كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي (طبعة دار الغرب الإسلامي:ج6 ص140) أن» محمد بن أبي حاتم قال: سمعت سليم بن مجاهد يقول: سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون

الحديـث، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العـراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن».

لم يكـف الرواة قصة امتحان بغداد ليصنعوا قصة الأربعمائة في سمرقند زيادة في الاحتياط، وزيادة في تقوية السياج الكهربائي حول هاته الشخصية، ودعونا نفترضـ أن كل واحد مـن الأربعمائة قام بسرد عشرة أحاديـث، إذن فسيصبح العـدد أربعة آلاف حديث، لكن هاتـه المرة ذكر الراوي أسانيد كل بلد على حدة، وإلحاقه بأحاديث أخرى لبلدان أخرى، كل هذا والبخاري لم يخطئ، «جل من لا يخطئ» وجل من لا ينسى.

النبي محمد ينسى والبخاري لا ينسى:

لكن مـا يجعلني أصدم من هؤلاء أيضا أنهم يعتقـدون أن أكمل البشر، النبي الكـريم محمـد بن عبد اللـه صلى الله عليـه وسلم كان ينسـى، لكن محمد بن اسماعيـل البخاري كان لا ينسى، ومن ذلك مـا ورد في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا «حدثنا أحمد ابن أبي رجاء حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا»

إن شيوخنـا وفقهاءنا مع كامل الأسـف يعتبرون البخاري أقوى من رسولنا في الحفـظ بأشواط، فحتـى قول الله سبحانه وتعالى في حـق نبيه في سورة القيامة

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)﴾

فاللـه يوضح لنبيه بـأن لا يحمل هما في حفظ كتابه المنزل عليه، وأن لا يحرك

لسانــه ليعجل به، لأنه اللــه تكفل بجمعه في صدر نبيه، لكــن صحيح البخاري ينســب لرسول الله نسيــان كلامه، وكأن اللــه أخلف للنبي وعــده إياه – تعالى اللــه- لكــن الشيوخ يعتقدون جازمين أن البخــاري كان لا ينسى بل كان حفظه أسطوريا خرافيا، بينما رسولنا الأعظم كان ينسى، بل وصل به النسيان أن نسي من القــرآن آيات، على عكس وعــد الله له وإخباره إياه وعلــى عكس أسطورة الحفظ الأسطوري للبخاري!!!

ومــا أستغرب لــه أيضا هو أن نفس الــرواة رووا أن البخاري كان سيء الحفظ وكان يكتــب كل ما يسمع وكان ينسى أسمــاء قريباته إلى غير ذلك، فانظروا ما ورد في كتــاب سير أعلام النبلاء للذهبي: (وقال سمعــت أبا عبد الله يقول: كان شيخ يمر بنــا في مجلس الداخلي، فأخبره بالأحاديث الصحيحة مما يعرض علي، وأخــبره بقولهم، فإذا هو يقــول لي يوما: يا أبا عبد الله، رئيسنا في أبو جاد، وقال بلغنــي أن أبا عبد اللــه شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر، فقلت له يوما خلوة: هل مــن دواء يشربه الرجل، فينتفــع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال لا أعلــم شيئا أنفع للحفظ من نهمــة الرجل، ومداومة النظر. قــال: وذاك أني كنت بنيسابور مقيما، فكان ترد إلى من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب كتابا إلى بخارى، وأردت أن أقرئهن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم، وقال: سمعته يقول: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء. كنت إذا كتبت عن رجل سألته عــن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث، إن كان الرجل فهما. فإن لم يكن سألتــه أن يخرج إلى أصله ونسخته. فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون، وكيف يكتبون. وقــال سمعت العباس الدوري يقول: ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل، كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه. ثم قال لنا: لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه (سير أعلام النبلاء -الذهبي ج 21 ص 406).

أسطورة صحيح البخاري

بعـد جولتنا في الأساطير المؤسسـة لشخصية البخاري ومـا رافقها من غلو، جعلهـا في النهاية تتفوق علـى كل الشخصيات التاريخية، بـل وحتى الدينية، بمـا فيها رسولنا الكريم، وإني أكاد أجـزم أن شخصية البخاري لدينا نحن معظم المسلمين، توازي شخصية بولس الرسول لدى المسيحيين، حيث يعتبر المسيحيون أن المؤلف الحقيقي للمسيحية بشكلها اليوم، هو بولس الذي كان اسمه شاول قبل أن يعتنق المسيحية.

إن الغلوّ في شخصية البخاري وتحويلها إلى شخصية خرافية تتفوق على البشر في كل شـيء، حتى أنها باتت لدى بعض الشيـوخ لا تخضع للمقياس البشري، لأنهـا تفوقت على هذا المقياس بالأحلام والأساطير المؤسسـة لها، لذلك فهذا الغلـو يفضي في النهاية إلى تقديس الكتـاب المنسوب للشيخ البخاري، والذي أطلق عليه اسم «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليـه وسلّم وسننه وأيامـه» ويطلق عليه الشيوخ اختصـارا «الجامع الصحيح» أو «صحيـح البخاري»، لتنسج خيوط التقديس حـول هذا الكتاب كما نسجت حـول محمد بن اسماعيل، وإني لأظـن أن الخرافات التي نسجت حول شخصية البخـاري كانت من أجل إضفاء شرعية خرافية على هذا الكِتاب، كعادة الشيوخ في الاستدلال على الحقيقة بالرجال، فعليهم أن يُضفُوا كلّ الكَمال على شخصية البخـاري، وبعدها يسهل عليهم أن يضفـوا القداسة على الكتاب المنسوب إليه، وبمـا أن شخصية البخاري شخصية كاملة لا تخطئ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا الكمـال والصواب، ومن هنا جاء تقديس صحيح البخاري، وتم نسج الأسطورة المؤسسة لهذا الكتاب.

وسنلاحظ أن صحيح البخاري قد بدأت عملية نسج الأساطير حوله منذ بداية تأليفـه وحيثيـات تأليفه حسب كتب التراث، حيث جـاء في كتابي تاريخ مدينة

دمشق لابن هبة الله 52/ 72، والجامع لأخلاق الراوي 2/ 185 على لسان البخاري مــا نصه «صنفت كتابي الصحيح في ست عشــرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث».

إذن فصحيح البخاري استغرق تأليفه ست عشرة سنة، وكأن صحيح البخاري هــذا بحث في علم البيولوجيا، أو في علم الأنثربولوجيا، أو غيره من العلوم الحقة التــي جاءت بنظريات قلبت مفهوم الكون، وأفــادت البشرية بطريقة أنقذتها من الضــلال إلى الهداية، وكل دارس للكتاب سيعلــم بطريقة سهلة أن هذا الكتاب مــن الغريب أن يقال عنه أن البخاري استغرق 16 سنة في تأليفه، وأنه قد انتخبه مــن ستمائة ألف حديث، وسنناقش كل هــذا في فصل سقوط الأسطورة، لنقف على حقيقة هاته الخرافات التي حفت تأليف صحيح البخاري.

وفي مقدمــة فتح الباري لابن حجــر العسقلاني «قال أبو الهيثــم الكشميهني سمعت الفربــري يقول سمعت محمد بن إسماعيل البخــاري يقول: "ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" وعن البخاري قــال: "صنفت الجامع من ستمائة ألف حديــث في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيمــا بيني وبين الله" وقال أبو سعيــد الإدريسي أخبرنا سليمان بن داود الهروي سمعــت عبد الله بن محمد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير البجيري سمعــت محمد بن إسماعيل يقول: "صنفت كتابــي الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيــه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليــت ركعتين وتيقنت صحته" قلــت: الجمع بــين هذا وبين ما تقدم أنــه كان يصنفه في البلاد، أنــه ابتدأ تصنيفه وترتيبــه وأبوابه في المسجد الحــرام ثم كان يخرج الأحاديــث بعد ذلك في بلده، وغيرها ويدل عليه قوله إنه أقام فيه ست عشرة سنة فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلهــا وقد روى بن عدي عن جماعة من المشايخ أن البخاري حول تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه و سلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين قلت ولا ينــافي هذا أيضا ما تقدم لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة وهنا

حوله من المسودة إلى المبيضة «هدي الساري ص 489».

ولإضفــاء بعد قدسي روحاني أيضا على هذا الكتاب تمّ صياغة هاته الروايات التــي تؤكد أن محمد بن اسماعيل البخاري لم يكن يكتب أي حديث أو ينتخب أي حديــث من أحاديث الصحيح، من أصل أزيــد من نصف مليون حديث، إلا بعــد أن يغتسل ويستخير الله بصلاته ركعتــين، ولكم أن تتخيلوا كم من مرة قام البخــاري بصلاة الاستخارة، ليكون الجــواب هو 600 ألف مرة، أي مليون ومائتي ألف ركعة خلال ست عشرة سنة !!!

وأن تأليف صحيح البخاري أيضا بدأ أو تم في المسجد الحرام على ما هنالك من تناقضــات في هذا الشأن وتضارب، رغم محاولــة ابن حجر العسقلاني تبريرها تبريــرا تعسفيا، فالرواية التي تقول أنه استغرق في تأليف الصحيح وجمعه ست عشــرة سنة تتناقض شكلا ومضمونا مــع الرواية التي تؤكد أنه ألفه وهو مجاور لمكــة، حيث لم يثبــت تاريخيا عنه أنه مكــث كل هاته المدة بمكــة، لكن مقدسي الأساطــير يجدون حلولا عجائبية لمثل هاته المتناقضات، في حين أنهم يرفضون أقل منها إن وجدت عند غيرهم من المذاهب والعقائد!

بــل وصل الأمر بمقدسي صحيح البخــاري من الشيوخ والفقهاء والمحدثين، أن تجــرأوا على مقارنة هذا الكتاب بكتاب اللــه المنزل من لدنه على نبيه إلينا، هدى ورحمــة للمتقــين، فقالوا عنه بدون حياء ولا وازع من ديــن «أنه أصح كتاب بعد كتاب الله» كما حكاه النووي والذهبي وغيرهما من الشيوخ، فالمقارنة بين القرآن الإلهي المصدر، الكلي والشمولي، صيغة ومحتوى، مبنى ومعنى، والمتعبد بتلاوته، المعجــز في كل تفاصيلــه، وبــين كتاب بشري المصــدر، فيه ما فيــه من الضعف البشــري، والخطأ البشــري، والنسبية البشرية، يعتبر تعــد على حرمة كلام الله، وكأنهــم لم يقرأوا قوله تعــالى في سورة النساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)﴾، فبمقتضى هاته الآية فإن الكتــاب الوحيد الذي لا اختلاف فيه هو القرآن، ويدخل في عموم كل الكتب ما

سوى القرآن الكريم بما فيها صحيح البخاري أيضا، لكن العقلية المقلدة المقدسة للأساطير اعتبرت أن كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح، وما عليك إلا مطالعة هاته النقول لتقف على العجب العجاب.

قال الإمام النووي -رحمه الله -: اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول (مقدمة شرح مسلم 1/14).

وقد كرس هذا التقديس الشيخ محمد صالح المنجد في موقع «إسلامك» الذي يشغل فيه منصب المشرف العام في جوابه على سؤال هل كل ما في صحيح البخاري صحيح، بمقالة تبرز حجم الغلو والتقديس الذي يتمتع به كتاب صحيح البخاري لدى معظم الشيوخ، فقد كتب ما نصه: «الحمد لله، صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري هو أصح كتاب مأثور بعد كتاب الله تعالى، وما زال العلماء والمحدثون والحفاظ يشهدون له بالجلالة والمرتبة العالية في التوثيق والإتقان، حتى نقل الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في "صيانة صحيح مسلم" (ص/86) بسنده إلى إمام الحرمين الجويني أنه قال: "لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق، ولا حنثته، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما" انتهى.

ويعقب الشيخ بقوله: "وليس ذلك بمستبعد والبخاري هو الإمام الحافظ الكبير الذي شهد له جميع المحدثين بالحفظ والإتقان، وقد كان يستخير الله تعالى ويصلي ركعتين في كل حديث يثبته في كتابه حتى أتمه على هذا الوجه.

ونحن وإن كنا نعلم أنه قد وجهت بعض الانتقادات اليسيرة لأحاديث معدودة مثبتة في صحيح البخاري، إلا أننا نؤكد أنه لا حرج في إطلاق الصحة على جميع أحاديث الكتاب، وذلك لما يلي:

1- أكثر العلماء والمحدثين يرون الصواب مع الإمام البخاري فيما انتقد عليه،

ومعلوم أنه ليس من المنهج السليم التسليم بالانتقاد لمجرد وجوده، بل الأمر يرجع إلى الحجة والبرهان، وقد فصل الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه العظيم "فتح الباري"، وخاصة في مقدمته المسماة "هدي الساري" الجواب عن هذه الانتقادات اليسيرة، وأوضح وجه الصواب فيها "...." يقول الإمام النووي رحمه الله: "أجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثهما" انتهى. «تهذيب الأسماء واللغات» (1/73) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن" انتهى.

«مجموع الفتاوى» (18/74) ويضيف محمد بن صالح المنجد بقوله: "اقتضى كلام ابن الصلاح أن العلماء متفقون على القول بأفضلية البخاري في الصحة على كتاب مسلم، إلا ما حكاه عن أبي يعلى النيسابوري: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم. وعن بعض شيوخ المغاربة: أن كتاب مسلم أفضل من كتاب البخاري، من غير تعرض للصحة» انتهى بتصرف يسير.

وعلى ذلك، فلا بد أن تبقى هذه المنزلة لهما من الإجلال والإعظام والتقدير كما هي في قلوب الناس، ولا يجوز بحال السعي وراء التشكيك، أو إثارة الشبه بأحاديثهما. فإن هذه المراجع الأساسية ذات الثوابت، والتي عليها اعتماد أهل العلم في معرفة الأحكام الشرعية، لا يجوز الطعن فيها، ولا المساس بها، بما يخدش مصداقيتها في قلوب الناس، عالمهم وجاهلهم -انتهى كلام الشيخ-.

فانظر أيها القارئ وانظري أيتها القارئة، كيف جعل هؤلاء مجرد انتقاد ما في صحيحي البخاري ومسلم، داخل في المحظور الذي لا يجوز، لأن هذا يتنافى في نظرهم مع الإجلال والإعظام والتقدير وهي المنزلة الواجبة لهذين الكتابين، والتي تشكل سياجا قويا وحصنا منيعا لهما، وذلك ما فعلته الأسطورة بعقول الناس، حتى باتوا يتهيبون الاقتراب من كتاب بشري المصدر، يجوز عليه ما يجوز على البشر من الخطأ والصواب، ويعتبرون الطعن فيه طعنا في الإسلام، وكأن هذا الكتاب موحى به من الله، في حين أن الله سبحانه وتعالى دعانا غير ما مرة إلى

امتحان كتابه القرآن، ودعانا إلى اختباره وتمحيصه في العديد من الآيات، غير أن عباد البخاري يعتبرون انتقاد هذا الكتاب ومناقشته لمن قبيل الكفر والطعن في النبي نفسه، وفي الإسلام عينه!

ومن نماذج الفتاوى الغريبة التي تكفر من أنكر حديثا في صحيح البخاري ما ورد في موقع الدكتور محمد راتب النابلسي في جوابه على هذا السؤال: "فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ما حكم من رد حديثا في الصحيحين كحادثة شق الصدر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحجة مناقضة العدل والعقل، ثم هل كل ما في البخاري ومسلم صحيح على الإطلاق؟.

وجزاكم الله عنا كل خير.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إجابة على سؤالكم، نفيدكم بما يلي:

من رد حديثا صحيحا بعقله كفر بالله... لأن الحديث إن صح وحي ورد الوحي بالعقل كفر... والمسلمون متفقون في كل أعصارهم على أن كل ما في البخاري ومسلم صحيح.

الدكتور محمد راتب النابلسي

والحمد لله رب العالمين

انتهت فتوى الدكتور محمد راتب النابلسي، وهي واضحة في تكفير من رد حديثا في الصحيحين، لكن هناك من وقف موقفا أقل تشددا من هذا الموقف واعتبر منكر حديث في الصحيحين ضالا ومبتدعا ومكابرا، ومن ذلك ما ورد في

مركز الفتــاوى بموقع إسلام ويب؟، فتوى تحت رقــم: 132912 بتاريخ 2010-3-7 ورد ما نصه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعـد:

فالحديث إذا توفرت فيــه شروط الصحة المعروفة عند أهل العلم، وجب قبوله، فــإن كان مع هــذا ثابتا في الصحيحــين أو أحدهما تأكد الأمــر، لأن الأمة تلقت أحاديثهمــا بالقبول، فإنــكاره ـ عندئذ ـ بدعة وضلالــة ومكابرة، قال النووي في شرح مسلم: اتفــق العلمــاء ـ رحمهم الله ـ علــى أن أصح الكتــب ـ بعد القرآن العزيز ـ الصحيحان: البخاري ومسلم ـ وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. هـ.

وفي موقــع طريق الإسلام وردت هاته الفتــوى بخصوص منكر حديث شرب أبوال الإبل في صحيح البخاري فكان جواب مفتي الموقع المذكور كالآتي:

«الإجابــة: أولاً: يجب على المسلم أن يعلم أنَّ صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمــام مسلم رحمهما اللــه تعالى يعتبران أصــحَّ كتابين بعد كتــاب الله تعالى، ومــا فيهما من الأحاديث الثابتة عن النبي صلى اللــه عليه وسلم كلها صحيحة يجــب على المسلم الإيمان بهــا وتصديقها والعمل بمقتضاهــا، ولا يجوز للمسلم أن يشــكَّ فيها أو يقول عنهــا (لا أصدقه وأعتقد أنه غــير صحيح) لأن الواجب علــى المسلم الانقياد والتسليم لأوامر الله ورسولــه وأخبارهما وتصديق كل ما ورد في الكتــاب والسنة من الأخبار والأحكام والرضا بها كلها جملة وتفصيلاً، ويجب على المسلــم إذا أشكل عليه شيء أن يتهم فهمه وعقله، ثم ليبادر بسؤال أهل العلم المتخصصــين في هذا المجال، ولا يجــوز للمسلم أن يعملٍ عقله في ردِّ نصوصــ وأخبار الكتاب والسنة، ومن ردَّ أمــر الله ورسوله أو خبراً من الأخبار الــواردة في الكتاب والسنة، بعد علمه بأنها حــق وصدق، ولكن بعقله لم يتقبله، فإنــه بعد التبيين له ونصحه وإصرارٍه على رأيه يكفر كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، وكذا مثله من شكَّ فيهما مجرد شك».

فحتى مجرد الشك في أحد أحاديث صحيحي البخاري ومسلم يوجب الخروج من الملة، فهل رأيتم تقديسا لكتاب أكثر من هذا التقديس؟ وهل رأيتم صناعة أسطورة أكثر من هاته؟

أما الشيخ ربيع المدخلي فيعتبر منكر حديث في صحيح البخاري كمنكر القرآن على حد سواء من حيث الحكم وذلك من خلال قوله: «الذي ينكر هذا ينكر القرآن، القرآن نقل إلينا بالتواتر والأمة كلها نقلته، والبخاري نقلته الأمة كلها ولله الحمد، فتذهب إلى الأدغال التي يعيشها العجم تسأله عن صحيح البخاري، يُسَلِّمون بأنه للإمام البخاري، اذهب إلى المكتبات تجد الألوف المؤلفة يعني من هذا الكتاب نسخت بالأيدي غير مطبوعة، اذهب إلى مكتبات مصر وتركيا والهند وباكستان وأي بلد حتى أوربا وأمريكا اذهب تجد منها ألوف النسخ من كتاب البخاري، فصحيح البخاري حتى اليهود ممكن لا ينكرونها ولا النصارى، يسلمون به، أمر متواتر مشهور بين المسلمين وغير المسلمين، فإذا قال هذا شخص، فليبق على عقله، هذا إنسان لا يحترس أن يقول مثل هذا الكلام!.

[شريط بعنوان: وجوب الاتباع لا الابتداع]

هاته هي الحقيقة التي انتجت في النهاية قداسة أشخاص، حيث تم رفعهم إلى مقامات هي أعلى من مقامات النبوة والرسالة، وحق فينا ما حق في الأمم السابقة التي ألهت البشر من دون الله، واتخذتهم أربابا، فكانت صناعة الكهنوت الديني لدينا كما كانت لديهم، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» التوبة (31)﴾.

كانت جولتنا في الأساطير المؤسسة للبخاري ولصحيح البخاري، كجزء لا يتجزأ من تقديس التراث الديني، التي بدأت مع تدوين الحديث، وتاسيس ما يسمى بعلم الحديث، لصناعة كتب ومؤلفات اتجهت منذ البداية لإلغاء القرآن، من الساحة الدينية، وفعلا هذا ما كان، فقد تم هجر كتاب الله لصالح كتب المرويات

الحديثية، فأصبح لدينا إسلام تاريخي بدل إسلام الوحي، وسنقف حقا من خلال الفصلين القادمين من هذا الكتاب على حقيقة صحيح البخاري أحد أجل وأقدس كتب التراث، وعلى حقيقة الادعاء بأن نسبة صحيح البخاري للشيخ البخاري مقطوع بها ومجزوم، وهل صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو الذي تناقلته الأجيال السابقة منذ وفاة الشيخ البخاري سنة 256 هجرية؟.

الفصل الرابع: سقوط الأسطورة

» الخرافة بالأرقام

» كذبة الإجماع

» أعلام ضعفوا أحاديث في الصحيحين

» البخاري مجروح ومتروك الحديث

» بخاريات

الخرافة بالأرقام:

إن الغلـو في كتاب صحيح البخاري، وجعله مع كامـل الأسف فوق كتاب الله تعالى الموحى إلى نبيه، رغم كم الأباطيل والخرافات والأساطير التي يزخر بها هذا الكتـاب، أصبح من الأمور المسلمة لدى الشيوخ، بل إن من يتصفح هذا الكتاب سيقـف على إساءات كبيرة في حق الله، وفي حق نبيه، وفي حق كتاب الله، وفي حـق أمهات المؤمنين، وفي حق الإنسانية جمعاء، وإهانة العقل البشري بشكل لا يمكن وصفه، هذا ما جعلنا نقف وقفة متأنية مع هذا الكتاب لإسقاط أسطورته، التي عششـت على مدى إثني عشر قرنـا، وأسست عليها أوهام وخرافات وأساطير، سميـت بعد ذلك دينـا، وتم الدفاع عنها بشكل لا يوصف، بـل تم تكفير منكرها، ومحاربتـه، وإهدار دمه، في كثير من الأحيـان، فما أسس للفكر الإرهابي المدمر، إلا مرويـات تناقلتهـا كتب التراث، ومنها صحيح البخـاري، بعيدا عن سماحة القـرآن، وعدل القرآن، وحكمة القرآن، وإنسانيـة القرآن، وروحانية القرآن، حتى أصبـح لدى هؤلاء أهون ألف مرة أن تطعـن في القرآن على أن تطعن في صحيح البخاري، لأن إسلامهم مؤسس على مضامين هذا الكتاب البشري، ولا علاقة له بالقرآن، وهاته هي الحقيقة التي لا يريدون الاعتراف بها جهارا، لأن اعترافهم بها يساوي انتحارهم فكريا وسياسيا واجتماعيا ودينيا، فعامة المسلمين سيلفظونهم، لكنهم استطاعوا الوصـول إلى سحب القرآن من حياة الناس، والاكتفاء بقراءته وتجويـده في المناسبات، بـدل تحكيم مقتضياتـه في حياتهم، فالقـرآن لديهم لا يتجاوز أن يكون وسيلـة لاستجلاب البركات، والتفنن في إتقان مخارج حروفه، ومعرفة وقوفه، بدل التفنن في تدبره، وتنزيله والاهتداء بهديه، لذلك بعد أن وقفنا على الأسطورة برمتها ومضامينها، وجب أن نسقط الأسطورة وننسفها، وسنقف على خرافتها بلغة الأرقـام الصماء التي لا تحابي أحدا، ولا تخضع لإيديولوجيا مسبقة.

من القصص التي أوردناها في الفصل السابق من هذا الكتاب، وتتعلق بالحفظ الأسطوري للبخاري، وهي القصة التي جاءت في سير أعلام النبلاء للذهبي، ونصها كالآتي: «وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما: إنكما قد أكثرتما علي وألحتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدرا، وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.»

إذن حسب هاته الرواية، فالبخاري كان يرتاد مجلس تعلم الحديث لمدة ستة عشر يوما، وأنه تلقى وحفظ رفقة أقرانه خمسة عشر ألف حديث خلال هاته المدة الممتدة على مدى ستة عشر يوما، وأن طلبة الحديث كانوا يكتبون كل ما كان يملى عليهم من الشيوخ وأن البخاري كان لا يكتب، وبعد امتحان معقد له، اكتشف الطلبة أن محمد بن اسماعيل البخاري كان قد حفظ الأحاديث الخمسة عشر ألفا بدون كتابتها، أي حفظها من فم الشيوخ مباشرة فور سماعها، انطبعت على القرص الصلب لدماغ البخاري مباشرة.

ولتصديق هاته الرواية أو تكذيبها، ما علينا إلا أن نقوم بحساب بسيط لنعرف كم كان يحفظ البخاري في اليوم، وذلك بتقسيم الخمسة عشر ألف حديث على المدة الزمنية التي استغرقها لحفظ الحديث والتي هي ستة عشر يوما، لتكون النتيجة 937 حديثا، أي أن البخاري كان يأخذ عن شيوخه في المجلس الواحد 937 حديثا كل يوم، وطبعا هذا معدل الحفظ اليومي، ولو افترضنا جدلا أن البخاري كان يجلس خمس ساعات في اليوم إلى هؤلاء الشيوخ فهذا يعني أنه كان يحفظ منهم 187 حديثا كل ساعة، أي بمعدل أزيد من ثلاثة أحاديث في الدقيقة الواحدة !!!

وهنـا يحق لنا أن نتساءل، كيـف أمكن للشيوخ الذين كانـوا يعلمون الحديث للبخـاري أن يسـردوا ثلاثة أحاديـث في الدقيقة الواحـدة ليحفظها البخاري، لتنكشـف لدينـا الكذبة، بلغـة الأرقام الصمـاء، فلا يمكن لأي بشـري أن يقوم بسـرد ثلاثة أحاديث في دقيقة واحـدة، فحتى لو تساهلنا، واعتبرنا أن المدة التي يجلسها البخاري أمام شيوخه في هذا المجلس تصل إلى ثماني ساعات في اليوم، فستكـون المحصلة حديثين في الدقيقة وهذا أيضا مستحيل، سيما إذا علمنا، أن سـرد الحديث يتم سندا ومتنا، لكن الشيـوخ يوقفون عقولهم عندما يتعلق الأمر بالبخاري الأسطورة، وأن إملاء الحديث حسب المستنتج من الرواية يكون بشكل بطيء، حتى يتمكن طلبة الحديث من كتابة ما يملى عليهم.

هاته الرواية لم تكتف بذلك فقط، بل أكدت لنا أنه في نهاية اليوم السادس عشر، قام الطلبة بإخراج ما كتبوه، أي خمسة عشر ألف حديث، وقام هو باستظهار هاته الأحاديـث كلها، وهم يحكمون ما كتبوه على حفظه، كل هذا تم خلال ستة عشر يوما، لنخلص في النهاية، إلى أن البخاري كان يحفظ حديثا كل ثانيتين، أي قبل أن ينطـق به الشيخ، فيكفي أن ينوي الشيخ قول الحديث ليحفظه البخاري، لكن يا للعجب كيـف أمكن للعقول والأفهام تصديق هـذا الكذب الصريح؟!، وكيف استحكمـت هاته الخرافات في عقـول الناس، حتى صدقتها بـدون مراجعة ولا تمحيص؟،... لست أدري.

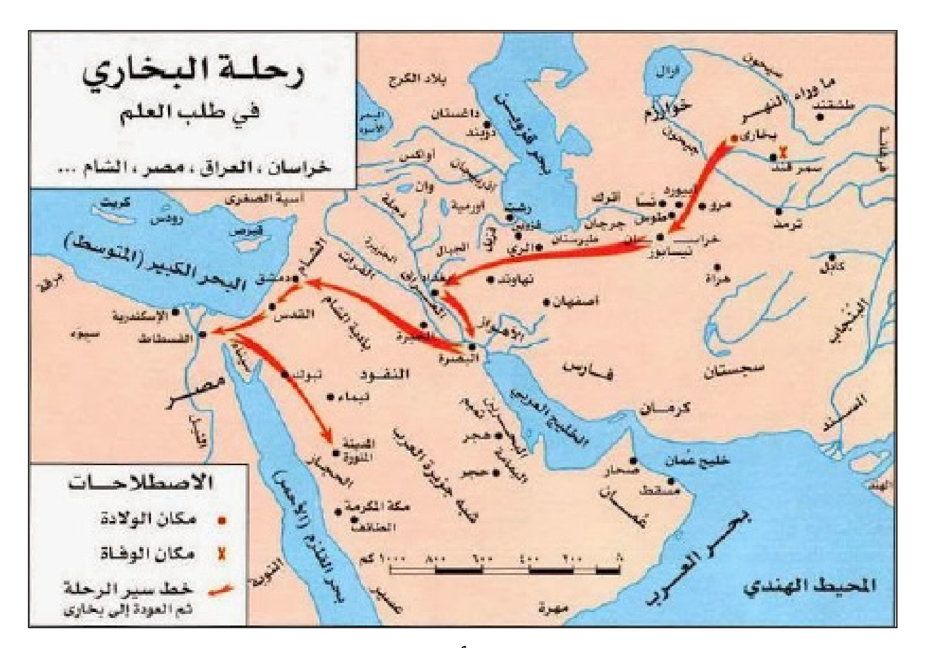
وفي سـير أعلام النبلاء للذهبي أيضا نجـد هاته الرواية التي تؤكد أن البخاري أخذ الحديث عن أزيد من ألف شيخ "قال محمد بن أحمد غنجار في تاريخ بخارى: سمعت أبا عمرو أحمد بـن محمد المقرئ، سمعت مهيب بن سليم، سمعت جعفر بن محمد القطان إمام كرمينية يقول: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده".

كل ما تقدم شيء، وهاته الرواية شيء آخر، فهي تؤكد على لسان البخاري أنه

أخـذ الحديث عن أزيـد من ألف شيخ، وأنه أخذ عن كل واحد من هؤلاء الشيوخ أكـثر من عشرة آلاف حديث، بمعنى أن البخـاري أخذ أزيد من عشرة ملايين من الأحاديـث، وهذا يتناقض مـع الروايات الأخرى المضطربـة أصلا، والتي تؤكد مرة على أن البخاري يحفظ ثلاثة مائة ألف حديث، ومرة أخرى تؤكد أنه يحفظ ستمائة ألف حديث، لكن هاته الرواية بحساب بسيط تؤكد أنه كان يحفظ عشرة ملايـين حديث بأسانيدها، والغريب أنـه إذا جمعنا كل الأحاديث الواردة في كل كتب الحديـث، وأضفنا إليهـا الأحاديث الضعيفة التـي تم استبعادها من طرف أصحـاب الكتب الستـة بضعيفها وصحيحها وموضوعها، فلـن تتجاوز المليون حديث، فمن أين جاءت التسعة مليون الباقية؟! إن هذا لأمر عجاب.

ويقفز سؤال آخر ونحن نتحدث عن حفظ البخاري لعشرة مليون حديث، حول الوقت الذي استغرقه لحفظ هذا الكم الهائل من الأحاديث التي يستحيل أن يكون الرسول قالها كلها، فإذا فرضنا جدلا أن البخاري كان يحفظ الحديث لمدة ثلاثين سنة، وأنه كان يكرس لحفظ الحديث أربع ساعات من كل يوم، وحاولنا أن نغض الطـرف عن ترحاله وتجواله في القرى والمدن والأمصار وقطعه المفازات والقفار، وهو على بغلة أو حمار، بحثا عن رواة الحديث وشيوخه لجمع الأحاديث، فإن هذا يعني أن البخاري كان يحفظ ثلاثة أحاديث في الدقيقة الواحدة، وهذا مستحيل طبعا، وخرافي جدا، وغير معقول بشكل صارم وحاسم، وإني لأحس وأنا أناقش هاته التفاهات بالحسرة، لأنني أجدني مضطرا في القرن الواحد والعشرين، عصر التطـور المذهل، في كل المجالات، عصـر غزو الفضاء،عصر العلـم والعقل، أن أجادل وأحلـل وأناقش لإثبات أن هاته الروايات مكذوبـة، ويستحيل أن تكون حقيقية.

رحلة البخاري في جمع الحديث:



وبالنظر إلى هاته الخريطة يتضح جليا أن رحلة البخاري في جمع الحديث والتي استمـرت لسنوات طوال، حيث كانـت وسائل التنقل هي الحمير والبغال والخيل والجمـال، والسفن في البحر، والقـوارب في الأنهار، أي أن تحركه كان بطيئا جدا بشـكل لا يمكن مقارنته مع وسائل التنقل في عصرنا، «يتضح جليا» أن كل هذا كذب وهراء.

وسأنقل لكم مقالا للكاتب المصري عبد الفتاح عساكر بمنتدى الواحة المصرية، تحت عنوان الأرقام لاتكذب، كتب:

إحصائية عن الروايات...؟!

العقلاء وحدهم يتعاملون مع المكتوب وليس مع الكاتب؟

قال البخاري في المقدمة التي ذكرها ابن حجر في كتاب (مقدمة فتح

الباري) جمعت (600000) ستمائة ألف حديث فى (16) سنة والبخاري ولد عام (194) هـ وتوفي عام (256) هـ

لو فرضنا أن الحديث الواحد أخذ من الوقت - في المتوسط - عند رسول الله خمس دقائق لكان الوقت اللازم لـ (600000) حديث هو:

(600000 ×5=3000000) تساوى ثلاثة مليون دقيقة.

وهي تساوى: (3000000) ÷ 60 دقيقة = (50000) خمسون ألف ساعة.

لو فرض أنه يعمل فى اليوم (8) ساعات فقط لأصبح الـ خمسين ألف ساعة تساوي + 50000 ÷ 8 = 6250 يوما.

وباعتبار أن السنة الهجرية = 355 يوما تقريبا فتكون السنوات اللازمة هي:

[6250] ÷355 = [17 ’60505633]

أي سبعة عشر سنة و...

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ ست دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[21‘187596] واحد وعشرون عاما و..... ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ سبع دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[24‘718862] أربع وعشرون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ ثمان دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[28‘250128] ثمان وعشرون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ تسع دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:

[31‘781394] واحد وثلاثون عاما و.....

ولو فرضنا أن الحديث الواحد يأخذ عشر دقائق.

فيصبح ما يحتاجه الـ: [600000] حديث من الزمن هو:
[31266‘35] خمسة وثلاثون عاما و.....
لاحظ أن زمن الدعوة على عهد النبي: [23] عاما، منها [13] عاما فى مكة، [10] سنوات فى المدينة.
وهذا الكلام هدية لقوم يعقلون.
ودائما صدق الله العظيم القائل فى القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ(6) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(9) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(10) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ(11) ﴾(سورة الجاثية الأيات من 6 إلى11)

السُنَّةُ النبوية الشريفة الصحيحة هي تطبيق كتاب الله قولاً وفعلاً وإقراراً، ومُنكرها مُنكر للقرآن الكريم. وأول فم بشري سمعنا منه القرآن الكريم هو فم رسول الله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- بغير عنعنات إلى أن تقوم الساعة. وكل رواية ذُكرت في كُتب الحديث الإثنين أو الستة أوالتسعة أو غيرها تتفق وكتاب الله فهي صحيحة حتى وإن ضعف السند..!.
وكل مُتبع لغير كتاب الله مُخالف لأمر الله الذى يقول فى الآية رقم (3) من سورة الأعراف: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وماهو موقف الإسلام من العاصى لأمر الله...؟.

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ(14)﴾ (النساء).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(36)﴾. (الأحزاب).

والبحث العلمي في مجال الفكر الإسلامي وثقافته يزيدنا احترامًا وتقديرًا وإكبارًا لعلمائنا في كل التخصصات، الأحياء منهم والأموات - لأن العلم رحمٌ بين أهله. و نسأل الله الكريم أن يلحقنا بمن سبقونا بالإيمان مع النبيين والصديقين والشهداء. وأن يرزقنا والأحياء منهم نعمة التدبر لكتاب الله والعمل به فى الحياة، والتأسي برسوله – عليه الصلاة والسلام - الذي كان خلقه القرآن لكي يتعاملوا معنا بهذه الأخلاق القرآنية وليس بأخلاق الكهنوت التي تُكفّر وتُنفّر. » انتهى

ثم عقب المعقب مضيفا على نفس المقال:

أريـد أن أضيـف أن من ال600000- أنكر البخاري نحـو 593000 حديثا، فمن حيث الكم فإن البخاري نفسه من أكبر منكري الحديث. وواضح أيضاً من تفاخر البخـاري أنه إما كاذب أو اختـار الأحاديث التي على هـواه لأن ست عشرة سنة لا تكفـي لكـي يبحث أي بحث علمـي في 600000 حديـث (أي حوالي خمس دقائق في الحديث وهو وقت أقل مما يأخذه سلق البيض) حتى في زمن المعلومات المعاصـر، فما بالك في زمن كان فيه السفر للتحقـق من شيء يأخذ شهورًا على ظهور النوق!

كمـا قلـت فالأرقـام لا تكـذب ولا تـترك مجـالا للشـك إن علـم الحديـث الـذي يدعيـه الشيـوخ مـا هـو إلا علـم الكـذب وسلـق البيضـ. و لذلـك نجد كتـب الأحاديث المبكـرة برغم أنها أقرب من الحـدث، تحتوي على أحاديـث أقـل من كتب الأحاديـث المتأخرة مثـل كتاب البخـاري. فالصحيفة الصحيحـة لهمام بن منبه تحتوي على 138 حديثا فقـط والبخاري بعد أكثر من 100 عام أخذ حوالي 7000 من ضمن 600000. هذا النمو العددي للأحاديث كلما بعـدت عن زمن الحدث لا يترك مجالا للشك بـأن الأحاديث كانت تصطنع على مجال واسع.

أضــف إلى هذا أن كتب الأحاديث المبكرة برغــم أنها أقرب من الحدث فأغلب الإسنــاد فيهــا به علة، ولا يصــل إلى الرسول بينما كلما بعــدت عن الحدث تجد الإسنــاد تاما وبالغا حد الكمال في كتب الأحاديث المتأخرة مثل كتاب البخاري. كل هذا مع أن المتوقع هو العكس. فكلما بعد الشخص عن الحدث زمنياً، فالمتوقع هو أن يقل عدد الأحاديث ويضعف الإسناد. فهذه الملاحظة تشير إلى أن الإسناد أيضاً كان يصنع على مجال واسع.

ورغــم أن الــردود حول هاته العمليــة الحسابية تتجــه إلى اعتبار طرق الحديث الواحــد في احتســاب الأحاديــث، لإظهار من يقــوم بهاته العمليــات الحسابية بمظهــر الجاهل بالحديث، إلا أن هذا الاعتبــار لا يمكن اعتباره ردا، لأن العديد من الأحاديــث باحتساب تعدد طرقها لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، لأن المتواتر في كتــب الحديــث لا يتعدى 300 حديثا علــى أعلى تقدير، هــذا إذا علمنا أن معظم الأحاديث هي أحاديث آحاد في مجملها العام.

ودعونا نقوم بعملية حسابية بالأرقام أيضا ونحن نختبر القول المنسوب للشيخ محمــد بن إسماعيــل البخاري بخصوص جمعه لستمائــة ألف حديث خلال 16 سنــة، والتي يرددهــا الشيوخ ويفتخرون بهــا، حيث يؤكدون أنــه خلال تجواله وترحالــه في أرضــ الله، طلبا لحديث رســول الله، استطاع البخــاري أن يجمع ستمائة ألف حديث، وينتخب منها أزيد من سبعة آلاف حديث بقليل، ليؤلف من عصارتهــا الكتاب المنسوب إليه الشهير ب "الجامع الصحيح"، وطبعا رحلته في طلــب الحديث دامت ست عشــرة سنة، كان خلالها يتجول على بغلته أو حصانه أو حمــاره، وتحركه عبر هاته الوسيلة كان بطيئا جدا، فقد يستغرق أياما وشهورا للتنقــل من مصر إلى آخــر، ومن بلد إلى بلد لجمع حديث مــن هنا، وحديث من هناك، وأثر من هذا، وأثر من ذاك، فلو سلمنا جدلا أن البخاري كان يجمع الحديث بمعــدل حديث واحد في اليوم، لكان استغراقه في جمع شتات الأحاديث 600000 المبعــثرة عبر رقعة دولة الخلافة آنذاك، ستمائة ألف يوم، أي أنه سيحتاج إلى أزيد

مــن ألف وستمائة سنة، بمعنــى أن البخاري لازال إلى يومنــا هذا يجمع أحاديث رسول اللــه، وبالتالي يستحيل أن يجمع ستمائة ألــف حديث في ست عشرة سنة كما يشتهي ويدعي المقدسون للتراث من عباد البشر.

بــل إذا تساهلنا أكثر واعتبرنــا أن البخاري كان يجمع عشرة أحاديث في اليوم فسيحتــاج إلى 164 سنــة، أي أن يضيف على السنوات التــي عاشها 102 سنة، باعتبار أن البخاري عاش 62 عاما.

وطبعــا هــذا مستحيل عقلا، لذلك كان عبــاد الأوثان التاريخيــة، يلحون على أن لا نقيســ البخاري بالمقياســ البشري، بل علينا أن نقبــل هاته "التخاريف" هكذا بدون إعمال للعقل، وكل إعمال للعقل سيسقط الأسطورة، التي استغرقت صناعتها قرونا من الزمن، من طرف الكهنوت الديني، الذي خدر الناس، وأوقف العقول، وكانت المحصلة إنتاج التخلف باسم الدين، والدين من هذا بريء.

بعضــ الشيوخ يحاولــون أن يظهروا من يحــاول مناقشة هــذا التراث بمظهر الجاهــل، حيث يحاولون أن يهونوا من مثل هاته الخرافــات، بقولهم إن البخاري أمضــى كل حياته في جمــع حديث المصطفى، أي منذ نعومــة أظفاره، نقول لهم حتى لو بدأ جمع الحديث وهو في بطن أمه، فلن يستطيع جمع ستمائة ألف حديث في 62 سنة، بالنظر إلى الطريقة التي وردت في كتبهم، والتي تقول أنه كان يتجول في القرى والمدن على دابته لجمع الحديث ذهابا وإيابا من بلد إلى آخر، إنطلاقا من بخارى إلى مكة المكرمة مرورا بالعراق والشام وغيرها من بلاد الخلافة الإسلامية العباسية، الممتدة الأطراف حينئذ.

ثــم نعــود إلى قصة اغتسال البخــاري وقيامه للصلاة ركعتــين، قبل كتابة أي حديــث، لنقوم بلغة الأرقام أيضا للتأكد مــن مدى صدق الرواية التاريخية، فإذا جعلنا معدل الإستجابة الإلهيــة لاستخارة الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، هــي يوم واحد، فسيحتاج أيضــا إلى ستمائة ألف يوم، أي أزيد من ألف وستمائة سنــة، وعلى هذا فالبخاري ما زال لم يكمل تأليف كتــاب صحيح البخاري، إلى

يـوم الناس هذا، لكـن سدنة الجهل المركب ما زالو يدافعـون عن هاته الخرافات ويصدقونها، حيـث يدعي بعضهم لتبرير هذا الهـراء، أن البخاري كان يغتسل ويصلـي صلاة الإستخارة قبل اختياره لأي حديث من الأحاديث التي سيدونها في الصحيـح، أي أنـه استخار واغتسـل سبعة آلاف وثلاثمائة مـرة فقط، أقول جوابـا على هذا الـكلام، إذا كان البخاري قد استخار لشـيء سيدونه حتما في الكتاب فما معنى استخارته، وهو قد قرر سلفا، فالاستخارة تكون بعد حيرتنا في أمـر والبخاري كان لديه ستمائة ألف حديث، وهـو لا يعرف مسبقا ما سينتخب منها من أحاديث، لذلك كان يستخير، ورغم ذلك فسنسلم لهم جدلا بذلك ونقول لهم لنعتبر أنه استخار سبعة آلاف وثلاثمائة مرة، وكان معدل الإستجابة الإلهية يـوم واحد، فسيحتاج البخاري إلى أزيد مـن عشرين سنة لا ست عشرة سنة!!! فالخرافة مردودة في كل الأحوال، ودائما بلغة الأرقام الصماء التي لا تحابي أحدا، ولا تتأثر بخرافة ولا أسطورة.

كذبة الإجماع:

سور آخر يعتبره عباد التراث الديني، بمثابة الحصن المنيع الذي يحصنون به صحيح البخاري، وهو أن الأمة الإسلامية تلقت هذا الكتاب بالإجماع، وأن الأمة الإسلامية تعتبر أن كل ما في صحيح البخاري صحيح لا غبار عليه، وهي مجمعة على هذا، وبالتالي من أنكر حديثا من أحاديث البخاري فمأواه جهنم وبئس المصير، لتتبعث فتاوى التكفير التي نقلنا بعضها في كتابنا هذا، حتى لانتهم بأننا نفتري على الشيوخ الكذب، والحقيقة التي لا تقبل الجدل، كما سنبينها بعد قليل، هي أن رواية الإجماع حول صحيح البخاري ليست إلا كذبة من الكذب الكثير، الذي تعج به كتب التراث، وليس إلا خرافة من الخرافات المؤسسة لهاته الأسطورة التي وجب أن ننسفها نسفا، بنقول من كتب التراث نفسها، والتي يقدسها هؤلاء الشيوخ الذين تمكنت منهم الوهابية، المكفرة المقلدة أيما تمكن، فسخرتهم للدفاع عن باطلها، فكان الثمن غاليا، وهو تشويه الإسلام السمح الداعي إلى استعمال العقل والمنطق، والتفكر والتدبر، بدل التقليد الأعمى غير المتبصر.

ولإسقاط الخرافة يكفي أن يعلم أي إنسان، أن الشيعة وهم نسبة مهمة من المسلمين، لا يؤمنون بصحيح البخاري، ويكذبون كل ما جاء فيه، فأين هو الإجماع إذن، إلا إذا اعتبرنا الشيعة كفارا، وأخرجناهم من دائرة الإسلام، ولم نعتبرهم من أهل القبلة، وصدقا سنجد العديد من الشيوخ يهون عليهم إخراج ملايين المسلمين من الملة على أن يسقط الادعاء القائل بأن الأمة أجمعت على أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، وأنها تلقته بالقبول على أن كل ما فيه صحيح، لكننا ماضون في مناقشة الأسطورة لإسقاطها ونسفها، فماذا سيقول سدنة الكهنوت إذا استشهدنا لهم بالأعلام من شيوخهم الذين يعتبر كلامهم فيصلا في أمور الدين بالنسبة لهم؟ ذلك ما سنكتشفه من خلال سرد

هاته النقول وقد عنونا هاته الفقرة بكذبة الإجماع تصديقا للإمام أحمد بن حنبل الذي يؤثر عنه أنه قال: «من ادعى الإجماع فقد كذب».

موطأ مالك أصح الكتب:

ولنبدأ بمقولة "صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله"، فالعديد من الشيوخ يوهموننا بأن جميع الفقهاء والشيوخ المتقدمين والمتأخرين يعتقدون بهاته المقولة، والحقيقة أن هذا مجانب للحقيقة فالعديد من الشيوخ يرون أن الموطأ هو أصح كتاب بعد كتاب الله ويفضلونه بأشواط على صحيح البخاري ويقولون أنه لا يضاهيه شرفا ولا منزلة، وهذا عند جماعة من كبار محدثي هذه الأمة وفقهائها، حيث يرون أن موطأ الإمام مالك، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى فهو عند هؤلاء العلماء مقدم على صحيح الإمام البخاري فما دونه.

يقول الإمام المطلبي – رحمه الله-: «ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك»، وفي لفظ: «ما على ظهر الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك»، وفي لفظ: «ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك» وفي لفظ: «ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ». (شرح الإمام الزرقاني على الموطأ) 1/8. و(تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك) للسيوطي. المطبوع مع المدونة الكبرى ص 43.

وقد جاء في منتدى الأزهري نقلا عن الشيخ محمد العمراوي المالكي ما نصه: "لو قال أحدهم - ممن لا اعتناء له بالموطأ وإنما درسه ولم ينظره بعين الانصاف-: إن قول الشافعي هذا في الموطأ، كان قبل تأليف الإمام البخاري لجامعه الصحيح. وجوابه: أن كثيراً من الأئمة الأعلام، قد تتابعوا على قول الشافعي هذا، وجعلوه في صدر حديثهم عن الموطأ، مما يدل على تسليمهم له، وقبولهم به، حتى بعد ظهور الجامع الصحيح للإمام البخاري -رحمه الله-. قال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله-: "الموطأ لا مثيل له، ولا كتاب فوقه بعد

كتاب الله –عز وجل-".
وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «اعلموا - أنار الله أفئدتكم - أن كتاب الجعفي – أي البخاري- هو الأصل الثاني في هَذا الباب، والموطأ هو الأول واللباب، وعليهما بنــاء الجميع كالقشيري – أي مسلم- والترمذي فمــا دونهما» عارضة الأحوذي. وقد نحى هذا المنحى وانتهج هذا النهج كثير من المتأخرين، كالعلامة المحدث محمد حبيب الله الشنقيطي، والمحدث الشهير الشيخ صالح الفلاّني، والعلامة ولي الله الدهلــوي، وقد أطال النفس في ذلــك وقال ما هذه خلاصته: "فالطبقة الأولى من كتــب الحديث، منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتــب: الموطأ والصحيحين...واتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه – أي الموطأ - صحيح على رأي مالك ومن وافقه. وأمــا على رأي غيره، فليس فيه مرسل ولا منقطــع، إلا وقد اتصل السند به من طرق أخرى. فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه". انظر (حجة الله البالغة)1/385 وقــال في مقام آخــر: "لقد انشرح صــدري وحصل لي اليقين، بــأن الموطأ أصح كتــاب يوجد علــى وجه الأرضــ بعد كتــاب الله –عــز وجل-". انظــر مقدمة المصفــى في شــرح الموطــأ. بصــدر كتــاب (المسوى في شــرح الموطــا) 1/29. وأجلــى من هذا اعتراض بعضــ أهل الاختصاص على ابــن الصلاح في قوله: "أول من ألف في الصحيح المجرد البخاري". وقد تبع الناس في ذلك ابن الصلاح –رحمه الله- كما تبعوه في أشياء أخرى تتعلق بهذا الفن الشريف"انتهى.

بل روي عــن البخاري نفسه كما جاء في كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ما نصــه: "وروينا عن أبي عبد الله البخــاري - صاحب الصحيح - أنه قال: «أصح الأسانيــد كلها: مالك عن نافع عــن ابن عمر».وبنى الإمام أبو منصور عبد القاهر بــن طاهر التميمي على ذلك: أن أجل الأسانيد: «الشافعي عن مالك عن نافع عن ابــن عمر " واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي رضي الله عنهم أجمعين، والله أعلم" انتهى.

ووجدنــا من الشيوخ مــن يعطي الأفضليــة لمسلم وصحيحه «قــال أحمد بن

سلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلما في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. «تاريخ بغداد 102-13/101، وكما يعلم الجميع فمسلم معاصر للبخاري، بل كان تلميذا له.

وقد وجدت مقالة جامعة منشورة على منتدى السودان تؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن مقولة تلقي الأمة لصحيح البخاري بالقبول، كذبة ما بعدها كذبة، وهاته المقالة التي جمعت نقولا عن أئمة أعلام في عدم تلقي صحيح البخاري بالاجماع، هي بعنوان: «الرد الملجم على من ادعى إجماع الأمه على البخاري ومسلم» ونصها التالي:

«يزعم بعض المتأخرين إجماع جميع علماء الأمة على صحة ما أخرجه البخاري ومسلم، وهذا فيه نظر واعلم أن هناك أحاديث في الصحيحين ضعفها علماءٌ محدثون كثر. وما حصل إجماعُ على صحة كل حديث في الصحيحين، لا قبل البخاري ومسلم ولا بعدهما. فممن انتقد بعض تلك الأحاديث: أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبو داود السجستاني والبخاري نفسه (ضعف حديثاً عند مسلم) وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وأبو عيسى الترمذي والعقيلي والنسائي وأبو علي النيسابوري وأبو بكر الإسماعيلي وأبو نعيم الأصبهاني وأبو الحسن الدارقطني وابن مندة والبيهقي والعطار والغساني الجياني وأبو الفضل الهروي بن عمار الشهيد وابن الجوزي وابن حزم وابن عبد البر وابن تيمية وابن القيم والألباني وكثير غيرهم. فهل كل هؤلاء العلماء مبتدعة متبعين غير سبيل المؤمنين؟! فقد ضعّف العقيلي عدداً من أحاديث صحيح البخاري. وعلى سبيل المثال حديث همام بن يحيى في الأبرص. وقد رواه العقيلي في ضعفائه (4|369) من طريق شيخه البخاري، ثم ضعّفه واعتبره من كلام عبيد بن عمير. هذا رغم اتفاق البخاري (3|1276 #3277) ومسلم (4|2275 #2963) على تصحيحه. فقد فعل ذلك شيخ الاسلام وبن القيم وحكما على لفظ (ينشئ الله لها خلقا فيسكنوها) بالنكارة وهو في الصحيح وتبعهم الشيخ بن جبيرين وبن عثيمين أيضا في دروسه وقد ضعف بعض الحفاظ أحاديث في مسلم أيضا.

أعلام ضعفوا أحاديث في الصحيحين:

لم يقف الأمر عند مسألة الاختلاف في اعتبار الأصح من كتب التراث، فكل «حزب بما لديهم فرحون»، وكل مذهب يحاول إظهار أن كتاب مذهبه هو الأفضل، والغريب أن كل أنصار كتاب ما يعتبر كتابه المتعصب له «أصح كتاب بعد كتاب الله» الكل مصر، على مقارنة كتاب الله المطلق، بكتاب البشر النسبي،... إذن لم يقف الأمر عند هاته المسألة بل تعداها إلى أن العديد من الشيوخ والأعلام الذين يشهد لهم بعلو الكعب في "علم" الحديث، وخبرة لا تضاهى بنقد الرجال، قد وصل بهم الأمر إلى تضعيف أحاديث وردت في الصحيحين، ولم يجرؤ أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على تكفيرهم أو تفسيقهم، أو وصفهم ووسمهم بالزيغ والضلال، لكننا وبعد هذا الكتاب سنجد العديد من الشيوخ وأتباعهم ممن سيصفنا بأقذع النعوت، وأقبح الأوصاف، وسينبري العديد منهم ليتهمنا في عقائدنا ونياتنا، فإلى الله المشتكى مما سنجد منهم.

وسأنقل لكم غيضا من فيض الأسماء الكبيرة، التي ضعفت أحاديث في الصحيحين من مختلف العصور والأزمان التي تلت تأليف الكتابين "حسب زعمهم" لتقف -أيها القارئ - على حجم الأسطورة، ومدى تهافتها وتفاهتها.

1 - انتقاد البخاري لبعض ما أخرجه مسلم وهو على ضروب:

فمنها أنه أعلَّ أحاديث بعينها، مثل حديث خلق التربة فقد صحَّحه مسلمٌ (2789) وأعلَّه البخاريُّ في تاريخه الكبير (1317). وكذلك حديث سفيان بن عيينة في إقامة النبي عند أم سلمة ثلاثاً لمَّا تزوجها (1460)، أعلَّه البخاري في تاريخه الكبير (93). وكذلك حديث كريب مولى ابن عباس في حج الصبي (1336)، أعلَّه البخاري في تاريخه الكبير (612). ومنها أنه تَرَكَ أحاديث وقع فيها اختلافٌ وأخرجها مسلم، مثل حديث طلاق الثلاث (1472). قال البيهقي (الكبرى

14974): (وهذا الحديث أحد ما اختلف فيه البخاري ومسلم، فأخرجه مسلم وتركه البخـاري. وأظنـه إنما تركه لمخالفته سائر الروايات عن ابـن عباس). اهـ وكذلك حديث صلاة الكسوف ثمان ركعات في أربع سجدات (908 وغيره)، قال البخاري (علل الترمذي ص97): (أصح الروايات عندي في صلاة الكسوف: أربع ركعات في أربع سجدات). اهـ قال ابن تيمية (مجموع الفتاوى 17/236): (والبخاريُّ سَلِمَ من مثل هذا، فإنه إذا وقع في بعض الروايات غلطٌ، ذَكَرَ الروايات المحفوظة التي تُبَيِّنُ غَلَـطَ الغالط). اهـ ومنها عدم احتجاجه برواة احتـجَّ بهم مسلم، كسهيل بن أبي صالح وحماد بن سلمَة وأبي الزبير وآخرين. ومنها ما كان من شرطه في السماع على خلاف مسلم، وهذا الخلاف بينهما معروف.

2- انتقاد مسلم لبعض ما أخرج البخاري:

فمن ذلك حديث الإسراء الذي رواه شريك بن عبد الله (3570)، فقد أعلَّه مسلم بقولـه (162): (وقدَّمَ فيه شيئـاً وأخَّرَ وزاد ونقص). اهـ ومنها عدم احتجاجه برواة احتجَّ بهـم البخاري، كعكرمة مولى ابـن عباس وآخرين. ومنهـا انتقاده لشرطِ البخـاري في السماع بين المتعاصرين. وفي ذلك يقول أبو الوليد الباجي [ت 474 هـ] في كتابه «التعديل والتجريح» (1/310): (وقد أخرج البخاري أحاديث اعتَقَدَ صحَّتَهـا، تَرَكَهـا مسلم لما اعتقدَ فيهـا غيرَ ذلك. وأخرج مسلـم أحاديث اعتقد صحَّتها، تركها البخاري لما اعتقد فيها غيرَ معتَقَده. وهو يدلُّ على أنَّ الأمر طريقُه الاجتهادُ لِمَن كان من أهل العلم بهذا الشأن، وقليلٌ ما هُم). اهـ

3- انتقاد أبي زرعة الرازي (ت 264 هـ) لصحيح مسلم:

انتقـد أبو زرعـة تصنيف كتاب مسلـم وتكلَّم في بعض رواتـه وأحاديثه. قال البرذعـي في سؤالاته (أبو زرعة وجهوده ص674): (شهـدتُ أبا زرعة ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج، ثم الفضل الصائغ على مثاله، فقال لي أبو زرعة: «هؤلاء قـومٌ أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتشوفون به. ألفوا كتاباً

لم يُسبقوا إليــه، ليقيموا لأنفسهم رياسةً قبل وقتها». وأتاه ذات يوم -وأنا شاهدٌ -رجلٌ بكتاب الصحيح مِن رواية مسلم، فجعل ينظر فيه. فإذا حديثٌ عن أسباط بــن نصر، فقال لي أبو زرَعة: «مــا أبعد هذا من الصحيح! يُدخل في كتابه أسباط بــن نصر!» ثم رأى في الكتــاب قطن بن نسير، فقال لي: «وهــذا أطمُّ من الأول! قطــن بن نسير وصل أحاديــث عن ثابت جعلها عن أنس». ثم نظر فقالَ: «يروي عــن أحمد بن عِيسى المصري في كتابه الصحيح». قــال لي أبو زرعة: «ما رأيت أهــل مصر يَشُكُّون في أنَّ أحمد بن عيسى» وأشار أبو زرعة بيده إلى لسانه كأنه يقول: الكذِب. ثم قال لي: «يُحدِّث عن أمثال هؤلاء، ويترك عن محمد بن عجلان ونظرائه! ويُطرِّق لأهل البدع علينا، فيجدون السبيل بأن يقولوا لحديث إذا احتُجَّ عليهــم به: ليس هذا في كتاب الصحيح». ورأيته يــذمُّ وَضْعَ هذا الكتاَب ويؤنِّبه. فلمــا رجعــتُ إلى نيسابور في المــرة الثانية، ذكرت لمسلم بن الحجــاج إنكار أبي زرعة عليه روايته في هذا الكتاب عن أسباط بن نصر وقطن بن نسير وأحمد بن عيســى. فقال لي مسلم: «إنما قلتُ: صحيح، وإنما أدخلتُ مِن حديث أسبط وقطن وأحمد ما قد رواه الثقات عن شيوخهم. إلا أنه ربما وقع إليَّ عنهم بارتفاع، ويكون عنــدي مِن رواية مَن هو أوثق منهم بنــزولٍ، فأقتصر على أولئك. وأصل الحديث معروفٌ مِن رِواية الثقات). اهـ

- وقدَ أعلَّ أبو زرعة أربعة أحاديث أخرجها مسلم في صحيحه:

1- حديث المسح على الخفين والخمارً (275)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (12).

2- حديث كان يذكر الله على كل أحيانه (373)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (124).

3- حديــث ويــلٌ للأعقاب من النار (240)، أعلَّه كمــا في علل ابن أبي حاتم (17).

4- حديــث مَن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً مِن كــرب الدنيا (2699)، أعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (1979).

3- انتقاد أبي زرعة لأحاديث أخرجها البخاري منها حديث يونس بن يزيد أن النبي صلى بمنى ركعتين (1655) أعلَّه أبو زرعة كَما في علل ابن أبي حاتم (40)

ومنها حديث ابن عمر رأيت النبي في ظل الكعبة (6272) أعلَّه كما في سؤالات البَرذعي (ص386). ومنها حديث ابن عباس في جبريل يوم بدر (3995، 4041) أعلَّه كما في علل ابنَ أبي حاتم (921).

4- انتقاد أبي حاتم (ت 277 هـ) لأحاديث أخرجها الشيخان:

فمنها حديث تسليم ابنِ مسعود على النبي في الصلاة أخرجه البخاري (1199 وغيَره) ومسلم (53) وأعلَّه أبو حاتم كما في علل ابنه (274). ومنها حديث أبي هريرة في صيام ثلاثة أيام من كل شهر أخرجه البخاري (1178، 1981) ومسلم (721) وأعلَّه كما في علل ابنَه (690). ومنها حديث ضُباعة بنت الزبير أخرجه البخاري (5089) ومسلم (1207) وأعلَّه كما في علل ابنه (803). ومنها حديث جندب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم أخرجه البخاري (5060 وغيره) ومسلم (2667) وأعلَّه كما في علل ابنه (1675). ومنها حديث ابن عمرو لا تكن مثل فلان أخرجه مسلم (1159) وأعلَّه كما في علل ابنه (344). ومنها حديث يونس بن يزيد أن النبي صلى بمنى ركعتين أخرجه البخاري (1655) وأعلَّه كما في علل ابن أبي حاتم (40) .ومنها حديث محمد بن عمرو بن عطاء في صفة صلاة النبي أخرجه البخاري (82) وأعلَّه كما في علل ابنه (461). ومنها حديث أبي بكر بن عياش في الاعتكاف في رمضان أخرجه البخاري (2044، 499) وأعلَّه أبو حاتم كما في علل ابنه (673). ومنها حديث ابن عمر رأيت النبي في ظل الكعبة أخرجه البخاري (6272) وأعلَّه كما في علل ابنه (864).

5- انتقاد الترمذي (ت 279 هـ) لحديث في صحيح البخاري:

أخرج البخاري حديث ابن مسعود في الاستنجاء بالحجارة (156)، وأعلَّه الترمذي بالاضطراب فقال في سننه (17): (وهذا حديثٌ فيه اضطرابٌ). اهـ وقد ذَكَرَ الترمذي أنَّ البخاري - مع كون الحديث مضطرباً - مالَ إلى ترجيح إحدى الروايات وأخرجها في صحيحه، فقال في علله الكبير وهو في سننه

أيضــاً: (وكأنه رأى حديثَ زهــير أصحَّ، وَوَضَعَ حديث زهــير في كتاب الجامع). اهــ ثم قــال: (ورواية إسرائيــل وقيس بــن الربيع، عــن أبي إسحــاق، عن أبي عبيــدة، عــن النبي صلــى الله عليه وسلم في هــذا هو عندي أشبــه وأصحُّ). اهـ قلتُ: فيَظهر ممَّــا سُقناه عن الشيخين والرازيين والترمذي -وهم كانوا أبناء عصرٍ واحــد رحمهم الله أجمعين- عَدَمُ التسليم بصحة ما يصحِّحه هذا أو ذاك، بل كانَ ديدنهــم هــو انتقاد الحديث الذي بــه علَّةٌ أياً كان راويه. فلا مجــال إذن لأحد أن يدَّعــي إجماع الأئمة في عصر الشيخين على صحة ما أخرجاه في كتابيهما، لأن أقوالهــم على خلاف ذلك كمــا تَبيَّنَ لك. فلم يَبْقَ إلا القول بــأن هذا الإجماع إنما انعقد بعد عصر هؤلاء الأئمة. فإن كان ذلك كذلك، فما هو العصر الذي أجمع فيه العلماء على هذا قبل ابن طاهر المقدسي؟

انتقاد ابن عمار الشهيد «ت 317 هـ» لصحيح مسلم:

يُعَــدُّ أبو ألفضــل ابن عمار الهــروي الشهيد أَقْدَمَ مَن ألــف في نقد الصحيح، فقد جَمَــعَ الأحاديث التي انتقدها على مسلم في جــزء (علَل أحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج). وقد أعلَّ ابن عمار في كتابه هَذا ستةً وثلاثين حديثاً أخرجها مسلم في صحيحه.

6- انتقاد أبي بكر الإسماعيلي «ت 371 هـ» لحديثٍ في صحيح البخاري:

أخرج البخارِي في صحيحه حديث أبي هريرة يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة (3350)، وقد طعَنَ فيه الإسماعيليُّ لمَّا أخرجه في مستخرجه. قال ابن حجر في الفتح (8/500): (وقد استَشْكَلَ الإسماعيليُّ هذا الحديثَ من أصله وطَعَنَ في صحته، فقال بعد أن أخرجه: «هذا خبرٌ في صحته نظرٌ، من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد. فكيف يَجعل ما صار لأبيه خزياً، مع علمه بذلك!»). اهـ

7- انتقاد الدارقطني ‹ت 385 هـ› لأحاديث الشيخين:

وهو أَشْهَرُ من أن يُذكَر لرسوخ قدمه في هذا الفن. وقد ذَكَرَ انتقاداته في ثلاثة مصنَّفاتَ له: أحدها هو (التتبُّع) قال في أوله (الإلزامات والتتبع ص120): (ابتداءُ ذكْرِ أحَاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما، بَيَّنْتُ عِلَلَهَا والصوابَ منهًا). اهـ والثاني هو جزء) بيان أحاديث أودعها البخاريَ رحمه الله كتابهَ الصحيح) قال في أوله (ص39): ((ما حَضَرَني ذكْرُه من الأحاديث التي خرَّجها محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كَتابه «السنن الصحاح» عنده، ممَّا اختُلف في أسانيد بعضها وفي إرسال بعضها وفي إيصالها وفي عدالة ناقلِيها وجرحهم)). اهـ والثالث ما هو متفرقٌ في كتابه (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) وقد توسَّعَ فيه في ذكر علل الأحاديث. ويُلاحَظ أن الدارقطني في انتقاداته لم يزعم الإحاطة بكل علل الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم ولا قصد استيعابها: فقد ذَكَر في جزء البخاري أحاديث لم يذكرها في التتبع، كما ذَكَر في كتاب العلل أحاديث لم يذكرها فيهما.

8- موافقة أبي مسعود الدمشقي ‹ت 401 هـ› لبعض انتقادات الدارقطني:

ألف أبو مسعود كتاب (الأجوبة عمَّا أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم بن الحجاج) يدافع فيه عن الأحاديث التي أعلَّها الدارقطني في صحيح مسلم، ولكنه مع ذلك أقرَّه على بعض انتقاداته وسَلَّمَ بها واعتذر للإمام مسلم . وهنا نكتةٌ أنْ لَو كان ثَمَّ إجماعٌ من الأمة على صحة ما أخرجه الشيخان، لألْزَمه به أبو مسعود ولَمَا احتاجَ إلى الإجابة عن إشكالاته بل ولَمَا وافقه على بعضها!

9- انتقاد ابن حزم ‹ت 456 هـ› لحديثين في الصحيحين:

كان ابن حزم معظِّماً للصحيحين، ومع ذلك فقد انتقد حديثين فيهما بل حَكَمَ على أحدهما بأنه موضوع. فأما الحديث الأول: فهو حديث الإسراء

الذي أخرجه البخاري وأعلَّه مسلمٌ أيضاً. وأما الحديث الثاني: فهو حديث ابن عباس كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان الذي أخرجه مسلم (2501)، فقد حَكَمَ عليه ابنُ حزم بالوضع. قال النووي في شرحه (16/63): (وقال ابن حزم: «هذا الحديث وهمٌ من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوَّج أم حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها كافرٌ». وفي رواية عن ابن حزم أيضاً أنه قال: «موضوعٌ»). اهـ وكلامُ ابن حزم بطوله رواه الحميدي عنه (أنظر: مكانة الصحيحين ص38).

10- انتقاد الغساني الجياني «ت 498 هـ» للصحيحين:

ألف أبو علي الغساني الجياني وكان رئيس المحدِّثين بقرطبة كتاب (تقييد المهمل وتمييز المشكل) نبَّه فيه -ضمن ما نبَّه -على الأوهام الواقعة في الصحيحين كلٌّ على حدة، ومعظمها متوجِّهٌ إلى الرواة عنهما. وقد تابَعَ الدارقطنيَّ وأبا مسعود الدمشقي في بعض نقدهما للشيخين، وزاد من عنده انتقادات أخرى لم يذكراها ولا نبَّها عليها. قلتُ: فهؤلاء ممَّن تقدَّموا ابنَ طَاهر، وصنيعُهم موافقٌ لصنيع الأئمة قبلَهم في التعرُّض لعلل الأحاديث التي وقع فيها اختلافٌ في أسانيدها أو متونها، وإن كانت ممَّا أخرجه الشيخان في كتابيهما وحَكَما بصحته. وهو يدلُّ على أنَّ الأعصُرَ التي تَلَت عصر الشيخين لم يقع اتفاقُ العلماء فيها على قطعية أحاديث الصحيحين ولا على مَنْع النظر في أسانيدها، بل إنَّ منهم مَن أَفْرَدَ كُتُباً في التنبيه على المعلول منها. والسؤال هنا: إذا ثَبَتَ أنَّ في الصَحيحين أحاديث قد اختلفت الأئمة في تصحيحها قطعاً، فكيف يصحُّ ما ادَّعاه ابنُ طاهر بأن المسلمين أجمعوا على صحة ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما؟ مع العلم بأن أقوال هؤلاء العلماء معلومةٌ غير مجهولة، وخلافَهم مشهورٌ غير منكور. ولم يُشَنِّعْ عليهم أحدٌ من أهل العلم بزعم مخالفة الاجماع! يقول الإمام أحمد في مسائله (رواية عبد الله ابنه 1587): ((ما يَدِّعي الرجلُ فيه الإجماع، هذا الكذبُ. مَن ادَّعى الإجماع فهو كذب، لعلَّ

الناس قد اختلفوا. هذا دعوى بشر المريسي والأصم. ولكن يقول لا يَعلم الناسَ يختلفون، أو لم يبلغه ذلك ولم ينته إليه. فيقول لا يَعلم الناسَ اختلفوا). اهـ فهو وإنْ لَمْ يَعلمْ خلافاً في المسألة، لا يَجوز له ادِّعاء الإجماع، فكيف وقد وَقَفَ على الخلاف.

11- انتقاد ابن تيمية وابن القيم لحديث في البخاري:

فقد فعل ذلك شيخ الإسلام وبن القيم وحكما على لفظ (ينشئ الله لها خلقا فيسكنوها) بالنكارة وهو في الصحيح وتبعهم الشيخ بن جبيرين وبن عثيمين أيضا في دروسه.

12- ابن برهان «ت 514 هـ» وهو سابقٌ على ابن الصلاح:

يقول في كتابه «الوصول إلى الأصول» (2/172): ((خبر الواحد لا يفيد العلم، خلافاً لبعض أصحاب الحديث فإنهم زعموا أنَّ ما رواه مسلمٌ والبخاريُّ مقطوعٌ بصحته. وعمدتنا أنَّ العلم لو حصل بذلك، لحصل لكافة الناس كالعلم بالأخبار المتواترة. ولأن البخاري ليس معصوماً عن الخطأ، فلا نقطع بقوله. لأنَّ أهل الحديث وأهل العلم غلَّطوا مسلماً والبخاريَّ وثبَّتوا أوهامهما. ولو كان قولهما مقطوعاً به، لاستحال عليهما ذلك). اهـ ثم قال: (ولا عمدة للخصم إلا أن الأمة أجمعت على تلقي هذين الكتابين بالقبول واتفقوا على العمل بهما. وهذا لا يدلُّ على أنهما مقطوعٌ بصحتهما: فإن الأمة إنما عملت، لاعتقادها الأمانة والثقة في الرواية. وليس كلُّ ما يوجب العمل به كان مقطوعاً بصحته). اهـ وقد استند إلى رأيه النوويُّ في ردِّه على ابن الصلاح.

13- بدر الدين الزركشي «ت 794 هـ»:

يَظهر من نقاشات الزركشي في نكته على ابن الصلاح أنه كان موافقاً له في قطعية أحَاديث الصحيحين، إلا أنه في موسوعته الأصولية ردَّ على ابن الصلاح

وقال بما قال به الجمهور. يقول في كتابه «البحر المحيط» (4/246): (وقال ابن الصلاح: إن جميع ما اتفق عليه البخاري ومسلم مقطوعٌ بصحته، لأن العلماء اتفقوا على صحة هذين الكتابين. والحقُّ أنه ليس كذلك: إذ الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافي أن يكون ما فيهما مظنون الصحة. فإن الله تعالى لم يُكَلِّفنا القَطْعَ، ولذلك يجب الحُكم بموجب البينة وإن لم تُفِدْ إلا الظنَّ). اهـ

14- الكمال ابن الهمام «ت 861 هـ»:

قال في كتابه «فتح القدير» (1/445): (وقولُ مَن قال: أصحُّ الأحاديث ما في الصحيحين، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما اشتمل على شرطهما من غيرهما، ثم ما اشتمل على شرط أحدهما: تحكُّمٌ لا يجوز التقليد فيه، إذ الأَصحِّية ليس إلا لاشتمال رواتهما على الشروط التي اعتبراها).اهـ وقال في ذات الكتاب (5/243) عن خبرِ الواحد: (وقد خُطِّئَ مَن ظَنَّهُ يصير قطعياً، فادَّعى فيما رواه البخاري ذلك. وغَلط). اهـ وقال أيضاً (5/495): (قدَّمنا غير مرة أنَّ كون الحديث في كتاب البخاريَ أصحَّ من حديث آخر في غيره، مع فرضٍ أنَّ رجاله رجال الصحيح أو رجالٌ رَوى عنهم البخاري: تحكُّمٌ محضٌ). اهـ

15- محمد بن سليمان الكافيجي «ت 879 هـ»

قال في كتابه «المختصر في علم الأثر» (ص167): (ما اتفق عليه الشيخان من الصحيح: يفيد الظن بصحته ومضمونه، مالم يتواتر -خلافاً للبَعض -لكونه من قبيل غير المتواتر. فظهر ضعفُ قولِ مَن قال: إنه يفيد القطع بصِحته لاجتماع الأمة على تلقيه بالقبول). اهـ ومن المتأخرين:

16- أحمد بن الصديق الغماري «ت 1380 هـ = 1960 م»:

قال في كتابه «المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير» (ص137 فما

بعد): (فكم من حديث صحَّحه الحفاظ، وهو باطلٌ بالنظر إلى معناه ومعارضته للقرآن أو السنة الصَّحيحة أو مخالفة الواقع والتاريخ. وذلك لدخول الوهم والغلط فيه على المعروف بالعدالة، بل قد يتعمد الكذب! فإن الشهرة بالعدالة لا تفيد القطع في الواقع. ومنها أحاديث الصحيحين: فإن فيها ما هو مقطوعٌ ببطلانه، فلا تغتر بذلك ولا تتهيَّب الحُكم عليه بالوضع لما يذكرونه من الإجماع على صحة ما فيهما. فإنها دعوى فارغةٌ لا تثبت عند البحث والتمحيص، فإن الإجماع على صحة جميع أحاديث الصحيحين غير معقول ولا واقع)). اهـ

17- الألباني «ت 1420 هـ = 1999 م»:

هاجَمَ الألباني محمودُ سعيد ممدوح لأنه انتقد "الألبانى" بعض أحاديث الصحيحين، وَعَدَّ الألباني بذلك مخالفاً للإجماع، فقال محمود سعيد في كتابه «تنبيه المسلم» (ص7) في جملة ما قال: (وقد جفَّت الصحف ورُفعت الأقلام عن أحاديث الصحيحين، وإلا كانت الأمة -باتفاقها على صحة الصحيح -قد ضلَّت سواء السبيل!)). اهـ فَرَدَّ عليه الألباني في مقدمة كتابه «آداب الزفاف» فقال (ص54 فما بعد) بعد أن نَقَلَ كلامَه هذا: (قلتُ: وهذا القول وحده منه يكفي القارئ اللبيب أن يَقنع بجهل هذا المتعالم وافترائه على العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين في ادعائه الإجماع المذكور. فإنهم ما زالوا إلى اليوم ينتقد أحدُهم بعضَ أحاديث الصحيحين ممَّا يبدو له أنه موضعٌ للانتقاد، بغضِّ النظر عن كونه أخطأ في ذلك أم أصاب). اهـ ثم ذَكَرَ إعلال عبد الله بن الصديق الغماري لحديثين في الصحيح. ثم أَتْبَعَ الألباني ذلك بِنَقْلِ كلامِ أخيه أحمد بن الصديق الغماري الذي مَرَّ عليك آنفاً، فوافقه وقال (ص60): ((قلتُ: وهذا ممَّا لا يشك فيه كل باحث متمرس في هذا العلم، وقد كنتُ ذكرتُ نحوَه في مقدَمة «شرح الطحاوية»)). اهـ ثم ردَّ على قوله بأن الأمة قد ضلَّت إذن عن سواء السبيل، فقال الألباني (ص63): ((فأقول: كلا ثم كلا. إن الأمة لم تضل ولن تضل بإذن الله تعالى، وإنما ضلَّ مَن افترَى عليها ونَسَبَ الاتفاقَ إليها في أمرٍ هم مختلفون فيه)). اهـ

إذن هل بعد ذلك يقال أن هناك إجماع على البخارى ومسلم !!!
أظن أنه بعد ما أوردناه نقلا من «منتدى السودان» لا يمكن أن يكون هناك عاقل يكذب كل هاته النقول عن شيوخ أعلام من كل العصور والأمصار، ويستمر في تصديق كذبة الإجماع على أن كل ما في صحيح البخاري صحيح ويلقيها على الأسماع.

البخاري مجروح ومتروك الحديث:

لم يقف الأمر عند هذا الحد في عدم اعتبار صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، ولا في تضعيف أحاديث في صحيح البخاري، بل وصل الأمر ببعض كبار الشيوخ وأعلامهم في «علم» الحديث، إلى تجريح محمد بن اسماعيل البخاري نفسه، واعتباره مجروحا ومتروك الحديث، ولعل العديد ممن لا يغوص في بطون الكتب ليقف على الحقائق سيصدم من هاته الحقيقة، التي يحاول الشيوخ اخفاءها، ويكتفون بنقل الأساطير الممجدة للبخاري، ويخفون الحقائق المرة التي تعاكس رواياتهم، في الانتقاص من شخص البخاري، واتهامه في دينه، والحاقه بزمرة الضالين المضلين، وأصحاب الزيغ والعقائد الفاسدة.

ومن ذلك ما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ط الرسالة»(12/ 462):

«وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومائتين، وسمع منه أبي وأبو زرعة، وتركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى أنه أظهر عندهم بنيسابور أن لفظه بالقرآن مخلوق».

وعقب الذهبي على هذا بقوله: «قلت: إن تركا حديثه، أو لم يتركاه، البخاري ثقة مأمون محتج به في العالم».

قال ابن خلكان: محمد بن يحيى المعروف بالذهلي من أكابر العلماء والحفاظ وأشهرهم، وهو أستاذ وشيخ البخاري ومسلم وأبي داود والتمرذي والنسائي وابن ماجة. (وفيات الأعيان لابن خلكان 4/ 282 ترجمة الذهلي). قال الكلاباذي الأصبهاني في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين في ترجمة الذهلي: روى عنه البخاري في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير موضع في ما يقرب من ثلاثين موضعاً... إنّ البخاري لمّا دخل نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يترك الرواية عنه ولم يصرّح باسمه.

راجــع: الجمع بين رجال الصحيحين: 2/ 465 ترجمة رقم 1787). وقال: أحمد بن حنبل لابنه وأصحابه: اذهبوا إلى أبي عبد الله الذهلي واكتبوا عنه. (تاريخ بغداد: 3/416). قال الخطيب البغدادي: «كان البخاري خلافاً لأكثر متكلّمي عصره يقول بأنّ لفظ القرآن مخلوق، ولمّا ورد مدينة نيسابور أفتى الذهلي -الذي تقلّد منصب الإفتــاء والإمامــة بنيسابور -قائلاً: ومــن ذهب بعد مجلسنا هــذا إلى محمد بن إسماعيــل البخاري فاتّهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه. (تاريخ بغداد:2/ 31) (ذهب أحمد بن حنبل إلى تكفير من يقول بخلق القرآن فقال: والقــرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم أنّ القــرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومــن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو أخبث مــن الأول، ومن زعم أن تلفّظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوق والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والقائلين بخلق القرآن وكلام الله فهو مثلهم - كافر - راجع: كتاب السنة لأحمد بن حنبل 3/ 53).

قــال محمــد بن يحيى: كتب إلينا مــن بغداد أنّ محمد بــن إسماعيل يقول: بأنّ لفــظ القرآن ليس قديما، وقد استتبناه في هذه ولم ينته: فلا يحقّ لأحد أن يحضر مجلســه بعد مجلسنا هذا. (تاريخ بغــداد: 2/ 31، وإرشاد الســاري: 1/ 38 وهدى الساري مقدمة فتح الباري: 491 وإستقصاء الأفهام: 9787).

لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجّاج -صاحب الصحيح -عن العقيدة السليمة، ولذا طرده من مجلسه وحرّم علــى الناس حضور مجلسه. (دائرة معارف القرن العشرين: 5/ 292 مادّة سلم، وتذكــرة الحفّاظ: 2/589 ترجمة مسلم بن الحجاج رقم 613) ويظهر من هذه الأقوال بأن البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل أهل نيسابور وعلماء بغــداد وأهلهــا لاعتقادهما في القرآن بأنه مخلوق، وكان هــذا سبباً لطردهما من نيسابور.

وقــد حاول الذهبي في سير أعــلام النبلاء الدفاع عن البخــاري باتهام شيخه

الذهلـي – وهـو مـن كبار الحفـاظ المشهود لهـم بالصلاح، بل مـن التقات في الحديث-بأن السبب في اتهامه لمحمد بن اسماعيل البخاري هو الحسد، وإذا كان هذا صحيحا فالواجب ترك التحديث عنه، لكن البخاري حدث عنه، وإن كان قد دلس اسمه مرات عديدة في صحيح البخاري كما يعتقد هؤلاء الشيوخ.

وقـد أورد الذهبـي مجموعة من النقـول توضح تجريح الإمـام الذهلي لتلميذه البخاري، وعزا ذلك للحسد الذي تولد لدى الذهلي إزاء تلميذه، وهو الأمر الذي دفعـه إلى طرده من بلده حيث جاء في سير اعلام النبلاء ص 461» قال أحمد بن منصور الشيرازي: سمعت محمد بن يعقـوب الأخرم، سمعت أصحابنا يقولون: لما قام مسلم وأحمد بـن سلمة من مجلس الذهلي، قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد. فخشي البخاري وسافر».

والقصـة معروفة عنـد أهل الحديث بمحنة البخـاري في مسألة: «لفظي بالقرآن مخلوق المنسوبة للبخاري».

ومن الأسماء الكبيرة التي جرحت البخاري، والتي تعتبر من رتبه البخاري في الحديث أبو زرعة الذي يعدّ من حفّاظ الحديث، ويعد علماً من أعلام الرجال، قال الفاضل النووي فيه: انتهى الحفظ - حفظ الحديث - إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة و... (تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 68).

قـال الخطيـب عن سعيد بـن عمر وقال: شهـدت أبا زرعة الـرازي ذكر كتاب الصحيـح الذي ألف مسلم بن الحجّاج ثـمّ المصوّغ على مثاله -صحيح البخاري -فقـال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه فعملوا شيئًا يتسوقون به، ألفوا كتابًا لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها. وأتاه ذات يوم -وأنا شاهـد -رجل بكتب الصحيح من رواية مسلـم فجعل ينظر فيه فإذا حديث عن أسباط بن نصر، فقال أبو زرعة: ما أبعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه أسباط بـن نصر، ثـم رأى في كتابه قطن بن نصير فقال لي: وهذا أطمّ من الأول. (تاريخ بغداد/ 273).

وذكر الذهبي قصّة أبي زرعة ولكنّه أتى بكلمة يتسوّقون - يتاجرون - بدلاً عن كلمة يتشوّفــون - يتظاهرون - (ميزان الإعتدال: 1/ 126 ترجمة أحمد بن عيسى المصري التستري رقم 507).

بــل إن محمد بن أبي حاتم روى أن بعض معاصري البخاري قد كفره، كما جاء في سير أعــلام النبلاء ص461 «وقال محمد بن أبي حــاتم: أتى رجل أبا عبد الله البخاري، فقال: يا أبا عبد الله، إن فلانا يكفرك! فقال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما».

إننــا بعرضنا هاته النقول لا نرمــي من خلالها الطعن في شخص البخاري، فلا يمكــن -في نظرنــا- الطعن في أي إنسان كيفما كان بالاعتمــاد على أقوال بعض الرجــال، ففي النهاية هــي آراء، ولربما نسبتها لقائليها فيهــا نظر، لكن أردنا من خلال سردنا لهاته الأقوال أن نبين للقارئ سقوط دعوى الإجماع حول شخصية البخــاري وكتاب صحيح البخاري، وأن الأسطورة التي تم نسجها بشكل خرافي حول شخصية البخاري وكتاب الجامع الصحيح ليست إلا كذبة، لاتعتمد على أي أساس علمي أو تاريخــي، وأن الاختلاف في كتاب صحيح البخاري، وشخصية البخــاري، بلغ مداه عبر كل القرون، وحكاية الإجماع هي أسطورة من الأساطير المؤسسة لتقديس البخاري وكتاب الجامع الصحيح، بدون الاستناد إلى أي حجة يمكن الوقوف عندها واحترامها، لأن كل ما يروى في هذا الباب، يستخف العقول والأفهــام بشكل مستفز، ويدعو في ذاته إلى تكذيبــه، والسخرية منه، سيما وأن الخرافات التــي عرضناها من كتب رجال الكهنوت واضحــة وجلية، ولا ينكرها سدنة التكفير والتفسيــق والتبديع من مقلدة القرن الواحد والعشرين، والغريب أنهــم يوردونها في معرضــ الاستدلال والمحاجة، وكأنهــا مسلم ومقطوع بها، وهي ليســت إلا أساطير الأولــين، والحديث عنها كالحديث عــن الغول والعنقاء والرخ.

بخاريات:

أردت أن أختم هذا الفصل بمجموعة من الأحاديث الواردة «في أصح كتاب بعد كتاب الله» – صحيح البخاري- ليقف القارئ على حجم الإساءة لديننا ولنبينا، الـواردة في هذا الكتاب، وحتى يعـرف من أين جاءنا الإرهـاب؟، ولماذا وصلت أمتنـا إلى ما وصلـت إليه؟، ويقف على الحقائق كما هي بـدون تزويق ولاتنميق، والبحـث عن المبررات، التـي تخدم صناعة الأسطورة ولـو على حساب الدين، ولنقـف حقا على ما جناه الجامـع الصحيح المنسوب للشيخ البخاري على الأمة، ولعـل العديد ممن يسمع ويتابـع الهالة التي تم صنعها زيفـا وتمويها وكذبا حول البخاري، سيصدم من هول المفاجاة، حينما سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديـث المسيئة للإسلام ولنبي الإسلام، بـل لرب العالمين داخل هذا الكتاب، والتـي لن نعرضها كلها، بل سنكتفـي بعرض نماذج منها فقط، نظنها كافية لكل محتار يبحث عن الحقيقة، ولاشيء غير الحقيقة.

1- الرسول يحاول الانتحار:

في "صحيـح البخـاري" برقم (6581) مـن كتاب "التعبير"، بـاب "أول ما بدئ بـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم مـن الوحي الرؤيا الصالحة" قَـالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْـبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَـا أَنَّهَا قَالَتْ:... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَـزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَـا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوفَـى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْـهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيـلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّـكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِـكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ؛ فَإِذَا طَالَـتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ".

الحَديث ورد أيضاً في أَول كتاب من كتب صحيح البخاري، وهو يتهم الرسول

بمحاولــة الانتحــار، ومحاولة الانتحــار لا تنتج عــن إنسان ســوي، فهي نتيجة لاضطرابــات نفسية، فكيف يســوغ لإنسان مسلم أن يتهــم رسوله بهذا، ورغم المحاولــة التي قام بها ابن حجر العسقلاني وغيره لتبريــر رواية البخاري لبلاغ إقــدام الرسول على محاولات انتحار مرات عدة، معتــبرا أن الزيادة «فيما بلغنا» ومــا بعدها ليست من كلام عائشة بل هي زيادة للزهري، لكن رغم أن هذا تأويل مجــرد تأويل، فالكذب على رسول الله واضح من خــلال هاته الرواية الموجودة في صحيــح البخاري، لكن عباد الأسطورة لا يتورعون عن القول: «إن كل ما في صحيح البخاري صحيح»

2- الرسول البذيء:

6824 - حَدَّثَنَــا عَبْدُ اللَّه بْنُ مُحَمَّد الجُعْفــيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِير، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكيم، عَنْ عكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعزُ بْنُ مَالك النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أو غَمَزْتَ، أو نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «أَنكْتَهَا». لاَ يَكْني، قَالَ: فَعنْدَ ذَلكَ أَمَرَ برَجْمه

هــذا الحديث في صحيــح البخاري يبرز أن الرســول كان بذيئا، وكان صلوات اللــه عليه ينطق بالكلام الفاحش، حيــث ورد في حديث آخر أنه قال لشخص « أعضض هن أبيك»، وفي حديث اخر «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن ابيه ولا تكنــوا» بل منسوب للرسول في صحيح البخاري أنه كان يسب المؤمنين كما في حديــث عن أبي هريرة «: (سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة) فإذا كان الله تعالى في محكم كتابــه يقــول في حق نبيه «وإنــك لعلى خلق عظيم» فالرســول كان أكثر الناس أدبــا، وأوفرهم خلقا، وأرقهم عفــة، وأكثرهم أناقة في اللفــظ والقول، لكن عباد الأساطير، يفضلون الإســاءة لرسولنا الكريم على أن يطعن في أسطورة صحيح البخــاري، ويقولون في تبجح غريب وقلة أدب لاتوصف بأن هذا حديث صحيح

والرسول قال هذا الكلام وأمر به، وأنا أفضل ألف مرة أن أنسب هذا الفحش لخطأ الراوي على أن أنسبه للرسول، وأحكم على الحديث بالوضع والتلفيق.

3- الرسول جاء بالذبح:

جــاء في صحيح البخاري معلقا حديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم يقــول فيه: «لقــد جئتكم بالذبح»، ففــي الوقت الذي نقرأ ليل نهــار قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، نجـد هاته الرواية التي تسير عكــس التيار، وتــبرز أن رسولنا كان دمويــا، وأنه جاء بالذبــح، ومن هنا جاءت داعشــ، وجاءت كل التصورات الإرهابيــة، من هذا الموروث الديني، الذي اتخذ قداسة أكبر من قداسة كتاب الله الداعي إلى المحبة والرحمة، فاستعاض الناس بهاته المرويات عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والغريــب أن عباد الأسطــورة حاولوا أن يبرروا هذا الحديــث حتى لا يخطئوا الــراوي، بأن المقصود به المشركين، ونســوا أن الرسول أرسله الله رحمة للعالمين، لكل الناس بمختلف انتماءاتهم، واعتقاداتهم، ونسوا أن الرسول كان أرحم الناس بالمشركين والكفار، وكل المخالفين، وله مواقف كثيرة معهم، فكيف ينسب إليه أنه يقول «لقد جئتكم بالذبح»، لكن ماذا يمكن أن يقال بعد أن وجدنا في المسلمين من يؤمن بأن رسول الله فعلا قال هذا الكلام.

4- الرسول يكره الناس ليكونوا مؤمنين:

روي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَه إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوَا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إلَا بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَ تعالى".

وهاتــه إساءة أخرى لرسولنا الأعظم، لأنه محال أن يخالف أمر الله له في كتابه الكريم، في العديد من الآيات نورد بعضا منها، فقد قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99)

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة256)

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف: 29)

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(22)إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23)فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ(24)إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾ (الغاشية)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾(ق:45).

كل هاته الآيات الواضحة تبين لنا أن الإسلام دين يدعو إلى الاختيار، في أمور العقيدة، لا إلى الجبر، فمتى أمر الله نبيه بقتال الناس من أجل عقائدهم؟ لكن عباد الأصنام التراثية، لا يتورعون عن أن ينسبوا هذا الكلام الإرهابي لرسول المحبة والرحمة، ويتساءل العديد من الناس: لماذا هاته الإساءة للرسول من طرف غربيين؟، والحقيقة التي لا يعرفونها أن هاته الإساءات أجمعها مأخوذة من مثل هاته الكتب التي يقال عنها بأنها أصح الكتب، وأن كل ما فيها صحيح لا غبار عليه.

ومن الأحاديث الداعية إلى الكراهية والإكراه في الدين ما ورد في صحيح البخاري باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة: «6526 حدثنا

يحيــى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد اللــه بن عتبة أن أبا هريــرة قال لما توفى النبي صلى اللــه عليه وسلم واستخلف أبــو بكر وكفر من كفــر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمــن قال لا إلــه إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقــه وحسابه على الله قال أبــو بكر والله لأقاتلن من فرق بــين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونهــا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعهــا قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيــت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

إن هاتــه المرويــات يستحيل الجمع بينها وبين أمر اللــه البين الواضح الجلي في كتابه بأن لا يكــره الناس على اعتناق العقيدة بل الأصل فيها الاختيار لا الجبر، لكن من يسمع مادام صحيح البخاري قد قال؟!

5- **الرسول يسحر فيهذي:**

ورد في صحيــح البخاري تحت رقم 5433 حَدَّثَنَا عُبَيْــدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَــنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "سُحِــرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّــى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ قُلْتُ وَمَــا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَــاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْــدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْــدَ رِجْلَــيَّ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَــالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْــنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُــفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْــرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْــرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَــا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَــالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَــكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ".

وقد عقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري تعليقا على هذا الحديث بقوله: "ثم ذكر المصنف في الباب سبعة وعشرين حديثا الأول حديث عائشة قالت: "سحر النبي صلى الله عليه وسلم" الحديث، وسيأتي شرحه في كتاب الطب، ووجه إيراده هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك، وسيأتي إيضاح ذلك هناك، وقد أشكل ذلك على بعض الشراح". بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من المخلصين، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر:40) وهاته إساءة بالغة لنبينا عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

وبالإضافة إلى هاته الإساءة فهذا الحديث يخالف جملة وتفصيلا عصمة الرسول وحفظ الله له، كما يخالف قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الاسراء:47)

فالله ينفي عن نبيه أنه سحر، ويقول عمن يقول بأن الرسول مسحور بأنه ظالم، بل وصلت بهؤلاء وقاحتهم أن اعتقدوا أن رسول الله كان يتخيل أنه يقوم بالعمل وهو لم يقم به، فهو كان يتوهم –حاشاه- أنه يجامع نساءه رغم أنه لم يقم بذلك، وذلك من الهذيان، وهاته الإساءة من الإساءات التي لم يتورع من ألف هذا الكتاب عن تدوينها فيه، لكن مادام هذا الحديث في صحيح البخاري فلا يمكن تكذيبه، وأن من يعتقد بما في القرآن وينفي عن الرسول بأنه سحر، وينكر هذا الحديث المسيء لنبينا فهو كافر بفتوى شيوخ الوهابية، كما أوردنا نقلا عنهم في هذا الكتاب.

6- الرسول يصلي بدون وضوء

ورد في كتاب الأذان من صحيح البخاري، 660 «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ"، قَالَ عَمْرٌو: فَحَدَّثْتُ بِهِ بُكَيْرًا ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي كُرَيْبٌ بِذَلِكَ».

وهاته إساءة أخرى تبرز أن رسولنا الكريم الطاهر، ينهض للصلاة بعد نوم عميق، ليصلي بدون وضوء، وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا، والمعلوم من ديننا وكما تواتر عن نبينا، أن النوم من نواقض الوضوء، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به، وهو من أمر به، لكن العقول تتوقف، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس «صحيح البخاري»

7- الرسول يختلي بامرأة متزوجة وينام عندها وهي تفلي رأسه من القمل:

في كتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري جاء في الحديث رقم 2636 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ شَكَّ إِسْحَاقُ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ

اللَّــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ثُــمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُــوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِــكُكَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ نَاسٌ منْ أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبيلِ اللَّه كَمَا قَــالَ في الأول قَالَتْ فَقُلْتُ يَــا رَسُولَ اللَّه ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني منْهُمْ قَالَ أَنْتَ منْ الأولــينَ فَرَكبَتْ الْبَحْرَ في زَمَانِ مُعَاويَةَ بْنِ أَبــي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتهَا حينَ خَرَجَتْ منْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»

لا يستطيــع مسلم نقي الفطرة، سليم العقــل، يحترم دينه ونبيه، أن يصدق بأن رسولــه الكريم صلى اللــه عليه وسلم، يدخل على امرأة أجنبية عنه ويختلي بها في غيبــة من زوجهــا، وينام عندها، وتقوم هي بفلي رأســه، والفلي يعني تنظيف الرأســ من القمــل، أي أن رسول الله –حاشاه- كان قــذرا، وغير نظيف، ورأسه مليء بالقمل، لا يستطيع مسلم واضح الإسلام أن يقبل على رسوله هذا الكلام، لكــن شيوخ التعصــب للموروث الديني، الــذي نتج عن تقديســ الرجال، ولو علــى حساب الدين نفسه، يصدقون هذا على نبيهــم، ويظنون فعلا أنه قام بهذا العمــل الشنيع، ونحن نقول كلا وألف كلا، رسولنا أسمى من هاته الترهات، التي تنتقصــ من قيمــة أشرف خلق الله، وما ورد في صحيــح البخاري محض كذب على الرسول، واستخفاف بالعقول.

8- الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته

وفي صحيــح البخــاري أيضا من كتــاب بدء الخلق باب صفــة إبليس وجنوده حديث رقم 3286 – حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَان، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنِ الأَعْرَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ «كُلُّ بَني آدَمَ يَطْعُــنُ الشَّيْطَانُ في جَنْبَيْه بِإِصْبَعه حينَ يُولَــدُ، غَيْرَ عيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ في الحِجَابِ».

هــذا الحديث في صحيح البخــاري يعتبر من الطوام الكــبرى المسيئة للرسول ولدينــه، فهو يؤكد عصمة رسول اللــه عيسى بن مريم عليهما السلام، كما يؤكد

على عدم عصمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالله هنا لم يستثن مــن طعن الشيطان في الجنبين من كل خلقــه إلا عيسى بن مريم، ورسولنا داخل في عموم أولئك الذين مسهم الشيطان، بل ورد في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: "واذكــر في الكتاب مريم..." مــا يلي: "قال أبو هريرة ـ رضــى الله عنه ـ: سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من بنــي آدم مولود إلا يمسه الشيطان حــين يولد، فيستهــل صارخًا من مس الشيطــان غير مريم وابنها. ثــم يقول أبو هريــرة: وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم". فهذا الحديث يلحق مريم وابنهــا عيسى عليهما السلام بزمرة مــن لا يمسهم الشيطان، بينما رسولنا الكريم كباقي البشر قد مسهم الشيطان، وهذا تطاول على نبينا ما بعده تطاول، وتفضيل مــريم الصديقــة ورسول الله عيسى بن مريم على نبــي الإسلام، وهذا غيض من فيضــ التنقيص في حق الرسول، فهل بعد هذا يمكن الحديث عما فعله الآخرون مــن إساءة لنبينا في عصرنا، وأندهش أيما اندهاشــ عندما انبرى هؤلاء الشيوخ المقدسون لصحيح البخاري للدفاع عن الرسول ضد كاريكاتير الدنمارك المسيء للنبــي، وضد صحيفة شــارلي أيبدو الفرنسية المسيئة لنبينــا، ولم ينبس أحدهم ببنــت شفة، إزاء هاته الإساءات التــي اعتبرها أشد وأنكى ضد نبينا، في صحيح البخــاري، ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعتبرون ضمنيا أن قداسة هذا الكتاب أقدس من الرسول نفسه مع كامل الأسف.

9- الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه

في كتــاب الوكالة من صحيح البخاري بــاب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل "وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ أَبُوعَمْرٍو حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ محَمّد بْنِ سيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ بحفْظ زَكَاة رَمَضَانَ فَأَتَانِي آت فَجَعَلَ يحْثُو منَ الطّعَام فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهَ لأَرْفَعَنّكَ إلى رَسُــول الله صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّمَ قَالَ إني محْتَاجٌ وَعَلَيّ عيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَديدَةٌ قَــالَ فَخَلّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَل

أَسيرُكَ البَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَديدَةً وَعيَالا فَرَحمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَـهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَـدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُـودُ لقَوْل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يحْثُو منَ الطَّعَام فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ دَعْني فَإني محْتَاجٌ وَعَلَيَّ عيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحمْتُـهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رَسُولُ اللـه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَا أَبَـا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُـولَ الله شَكَا حَاجَةً شَديدَةً وَعيَالاً فَرَحمْتُهُ فَخَلَّيْـتُ سَبيلَهُ قَالَ أَمَـا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَـكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالثَـةَ فَجَاءَ يحْثُو منَ الطَّعَام فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُول الله وَهَذَا آخرُ ثَلاث مَرَّات أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُـودُ ثمّ تَعُودُ قَالَ دَعْني أُعَلّمْـكَ كَلمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إلى فرَاشكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسيّ اللهُ لاَ إلَهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ حتى تَخْتمَ الآية فَإنَّكَ لَـنْ يَزَالَ عَلَيْكَ منَ الله حَافـظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبـحَ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسيرُكَ البَارحَةَ قُلْتُ يَـا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلّمُنـي كَلمَات يَنْفَعُني اللهُ بهَا فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ قَالَ مَا هيَ قُلْـتُ قَالَ لي إذَا أَوَيْتَ إلى فرَاشكَ فَاقْـرَأْ آيَةَ الكُرْسيّ منْ أولهَا حَتى تَخْتمَ الآية اللـهُ لا إلَـهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَقَالَ لي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ منَ الله حَافظٌ وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَـانٌ حتى تُصْبحَ وَكَانُوا أَحْرَصَـ شَيء عَلَى الخَيْر فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطبُ مُنْذُ ثَلاث لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ"

لإظهار الطوام الكبرى التي في هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري نحتاج إلى صفحـات كثـيرة لكن نكتفي بذكر بعضها، فهذا الحديـث يبرز أن أبا هريرة ضبـط حالة سرقة، وسامح السارق بدون موجب حق، وكأنه كان يسرق من ماله في حين هي أموال المسلمين، فالواجب تقديمه إلى الرسول ليحاكمه، وتتكرر عملية السرقـة مرات، ويعمل أبا هريرة على إطلاق سراح السارق، بل حتى الرسول لم يعتب على أبي هريرة، عندما ضبط السارق وسامحه، رغم معرفة الرسول المسبقة

بأن السارق كذاب وسيعود للسرقة !!

لكن الأغرب في هذا أن أبا هريرة صدق السارق بأنه لن يعود رغم أن الرسول سبق أن أخبره بأنه كذاب وسيعود للسرقة، لكن في المرة الثالثة يقوم السارق الذي ليس إلا شيطانا بتعليم أبي هريرة أمرا من أمور الدين وذلك في نص الحديث الذي يقول: «قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتى تَخْتِمَ الآيَةِ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ» وفعلا يتم إخلاء سبيله من طرف الصحابي، لكن الأنكى من ذلك هو ما نسب للرسول في نهاية الحديث بأن من علم أمراً من أمور الدين للصحابي هو شيطان، وأقر الرسول تعليمه وصادق عليه، وهاته عجيبة من عجائب صحيح البخاري التي تسيل الدماء دون إنكار حديث من أحاديثه.

وقد علق على هذا الكاتب إسلام بحيري في مقالة له نشرت على موقع اليوم السابع جاء فيها: «أما الطامة الكبرى فإفصاح النص عن إقرار النبي لهذه الكلمات التى علمها السارق -الذى سيتضح فى النهاية أنه شيطان- للصحابي، وذلك بقوله: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ثم يفصح النص عن المفاجأة: «تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لا قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ»»، وهذا ما يدخلنا فى إشكاليات لا حصر لها، أولها أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين لم يعلمه رسول الله، فلو كان يعلمه لكان أولى بقوله من السارق -أو من الشيطان-، وثانيها أن الشيطان هو الذي يعلم المسلمين القرآن وفضائله، بل يقره النبي على ذلك، وثالثها أن الشيطان يحفظ القرآن جيدا، ويعرف بدايات الآيات ونهايتها بدقة، وغير هذا من الخرافات التي لا يقبلها عقل ولا شرع، والغريب أن مقدسي الخرافات وشارحيها قد أكدوا أن في ذلك فائدة مهمة من الحديث وهي أن الكافر يؤخذ منه الحق، وقد قاسوا الكافر بالشيطان وهو قياس فاسد باطل لا داعي لشرح عواره، بل الشيطان لا يعلمنا الإسلام ولا يقره النبي

علــى علمه، ولنذكــر جيدا أننا ترخصنا مع هذه الخرافــة التي تدعي أن الشيطان يتصــور بالإنســان ويكلمه فقط لتبيــين العلل الفاسدة فى النصــ وإلا فإن هذا الادعــاء بأن الشياطــين تتمثل كبشر هو علة فى ذاته نرد بهــا هذا الحديث كلية، والحقيقة أن الذهول والعجب يتملكنا، كيف أخرج البخارى هذه الخرافات؟ وكيف لم يردها عليه كل الشراح والنقاد؟ بل كيف دافعوا ونافحوا عن ضلالاتها؟ بل إننا نستطيع أن نستبين فحش الكذب في الرواية من خلال استقراء بسيط لمكانة «آية الكرسى» منذ نزلت فــى أوائل الهجرة للمدينة، وذلك بأحاديث صحيحة علمها للمسلمين سيد الخلق المنزل عليه القرآن.»

ويضيــف إســلام: «وأخيرا فقد أبى من دســ هذه الخرافــة أن يختمها إلا بعلة قادحــة فى الحديث، فباستقراء الحديث نجــد أن به إدراج -كلامٍ منِ الرواة- ليس منِ أصله، وهناك اضطراب ظاهر شديد فيه، فيقول النص: «وَكَانُواْ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَــى الخَيْرِ»، فالمفترض هنا أن يقــول الصحابى «وكنا أحرص الناس» ولا يقولُ «وكانوا»، وهو ما أشار له «ابن حجر» على استحياء فى «فتح البارى» ولم يعقب على هذا الإدراج الظاهر إلا بقول هامس لم يتوقف فيه، وذلك من التكلف الشديد فى الدفاع عن هذا الحديث الواهي الذى أخرجه البخاري».

نكتفي بهاته النماذج لطالب الحق، فهي تكفيه إن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد، قبل أن ننتقل إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب لمناقشة مدى أصالة هذا الكتاب وما علاقته بالشيخ البخاري الذي نيب إليه لنقف على هاته الحقيقة أيضا كي ندق في نعش صحيح البخاري آخر مسمار.

الفصل الخامس: من ألف صحيح البخاري؟

- » النسخة الأصلية لصحيح البخاري
- » نسخة منجانا
- » صحيح البخاري والتلاميذ
- » صحيح البخاري والحافظ بن حجر العسقلاني
- » اختلاف نسخ صحيح البخاري
- » من ألف صحيح البخاري؟

النسخة الأصلية لصحيح البخاري

بعد أن بينا خـلال الفصلين السابقين حقيقة أسطورة البخاري، المرتبطة أساسا بكتـاب الجامـع الصحيـح، وخضنا جـولات لإسقاطها، بعد عرضنـا لخطوطها العريضـة، وسبرنا لغـور مضامينها، ورأينا كيف أن هاتـه الأسطورة لا تستطيع أن تصمـد أمام كم الحقائق المفنـدة والناسفة لها، فهي أوهن من بيت العنكبوت، وأضعـف مـن أن تصمد مع أول دليل مناوئ لهـا، وأول حجة في مواجهتها، بعد هـذا كله، يكون من حقنـا أن نتسـاءل، ونسائل هؤلاء الشيـوخ حول النسخة الأصلية لصحيح البخاري، كما خطها الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري، فإذا كان لدينـا الآن هذا الكتاب الذي يطلق عليه «الجامع الصحيح للبخاري» اختار لاسمه الأصلي «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه» وهـو- كما أثبتنا – مليء بالطوام الكبرى، والخرافات الجسيمـة والإسـاءات البالغة للدين وللرسول ولرب العـزة وللإنسان وللحيوان أيضا، فمن حقنا نحن أن نقف على مدى أصالة هذا الكتاب، لنعرف ماهي العلاقة التـي تجمع بين محمد بن إسماعيل البخاري وهذا الكتاب الذي يحمل اسمه؟ من حقنـا أن نسائل هؤلاء الذيـن يشبعون صحيح البخاري مديحـا، وثناء، بشكل يرفعـه إلى أعلى عليـين، ويرفع الشيخ البخاري معـه إلى أعلى من ذلك وأسنى، لذلـك نحن نريـد المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري كمـا خطتها يمين الشيخ البخاري.

وهذا تحد رفعناه مرات عدة قبل خمس سنوات، ولا زلنا نرفعه إلى الآن، نتحدى هـؤلاء الشيوخ المداحـين، أن يقدموا لنا المخطوطة الأصليـة التي خطها الشيخ البخـاري عندما كان يؤلف كتابه الجامع الصحيـح، فكل النقول التي وردت عن أعلام "علم" الحديث والمؤرخين الذي تشبعوا بسيرة محمد بن إسماعيل البخاري أكدوا أنه ألف كتابه تأليفا بخط يده، وأنه ترك نسخة لمن بعده عند تلميذه الفربري،

ونحـــن نسائلهم أن يدلونا على هاته المخطوطة، أين هي الآن؟ أين توجد؟ في أية مكتبـة أو متحف، هي راقدة، أو محنطة، أو مخزنـة؟ لكن صدقوني.... لا أحد من هـؤلاء الشيوخ يعرف، لكن الحقيقة التـي يريدون إخفاءها، ونحن نعمل عبر هذا الكتاب اليوم علـى إظهارها، وهي أنه لا يوجد في العالم أجمع مخطوطة واحدة، بخط محمد بن إسماعيل البخاري، لصحيح البخاري!

نطـرح السؤال ويـزداد إلحاحنا في طرح السـؤال، سيما إذا علمنـا أن الشيخ البخـاري ذو أصل فارسـي، فاللغة العربية ليست لغتـه الأصلية، وكل المؤرخين والحفـاظ والمحدثين والمترجمين وكتـاب السير، لم يتحدثوا لنـا ضمن أسطورة البخـاري، عن متى وكيف تعلم اللغة العربية، بل جملة ما تحدثوا عنه، هو شروعه في حفظ الحديث وهو صبي صغير لم يتجاوز العشر سنين.

وحتى نوفر العناء على هـؤلاء الشيوخ لأننا نعرف مسبقا عجزهم عن الإجابة، فقد حاولنا البحث نيابة عنهم، عن المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري، فوجدنا عرضـا مفصلا لإبراهيم اليحيى مفهرس مخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، يقدم لنا من خلاله النسخ التي يسميها «أصلية « لكتاب الجامع الصحيـح، حيث قام بنشر هذا العرض على موقع أهل الحديث، وهو موقع سلفي مدافـع عن الحديث و«علومه» ويستميت هـذا الموقع في الدفاع عن كتاب الجامع الصحيـح للبخـاري، وسننقل العرض المفصل للائحـة المخطوطات «الأصلية» لصحيح البخاري بمكتبة الملك عبد العزيز العامة، ثم بعد نقل هذا العرض سنعقب عليه، قال المؤرشف تحت عنوان:

بيـان بالنسخ الأصليـة للجامع الصحيح للبخاري المحفوظـة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض:

ترتيب النُّسخ حسب تسلسل أرقام الحفظ:

وقـد وضعت جدولا بذلك حقوله من اليمـين م: أي الرقم المسلسل، الحفظ: أي رقـم الحفظ عندنـا، تاريخ النسخ: إما منصوص عليـه أو مقدر، الجزء: أي وصف لحالة التمام والنقص، والحقل الأخير للملاحظات.

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
1	13	ق10	-	قطعة منه مغربي
2	10	ق11	-	قطعة منه مغربي
3	20	ق 12	ج10/ج9	مغربي
4	114	ق 11	ج16	مغربي
5	119	ق 12	ج 23	مغربي
6	148	ق13	ج 5	مغربي
7	168	ق 12	-	قطعة منه مغربي
8	169	ق 12	-	قطعة منه مغربي
9	182	ق 12	ج 3	مغربي
10	290	ق12 هـ	-	الربع الثاني
11	1217	ق12 هـ	ج 1	-
12	1279	ق12	ج 1	-
13	1473	ق 11	ج 1	-
14	1520	ق11	ج7	-
15	1698	ق 12هـ	-	من المغازي إلى الأخير
16	1696	ق12	-	قطعه منه
17	-	ق11	-	من المغازي إلى الأخير
18	1940	ق12هـ	ج1	أحمد رزق
19	1941	1280هـ	ج2	أحمد رزق
20	1942	1280هـ	ج3	أحمد رزق
21	1943	1280هـ	ج4	أحمد رزق
22	1952	1124هـ	ج17	محمد شريف

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
23	2362	ق13	-	كاملة
24	2427	ق11	-	كاملة
25	2673	1063 هـ	ج1	-
26	2756	928هـ	ج16 إلى الأخير	تحذف البيانات والملاحظات
27	2828	ق13	ج2	تحذف البيانات والملاحظات
28	2963	1185هـ	ج25من 30	-
29	2964	1186هـ	ج25من 30	-
30	2965	1186هـ	ج22	-
31	2966	1185هـ	ج24	-
32	2967	1185 هـ	ج17	-
33	2968	1185هـ	ج14	-
34	2969	1185هـ	ج13	-
35	2970	1185هـ	ج15	-
36	3335	ق12	ج2	-
37	3395	ق9	-	قطعة منه
38	3586	ق 12	-	الأخير منه
39	3616	1074 هـ	-	الأخير منه
40	3662	ق12	ج 14	-
41	3671	ق9	ج3	-
42	3892	ق8	ج1	فرع اليونينية

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
43	4025	ق12	-	قطعة منه مغربي
44	4037	1276هـ	ج3	-
45	4038	1277هـ	ج4	-
46	4049	ق13	ج2	-
47	4129	ق9	-	قطعة منه
48	4130	-	1 و ج2	نجدي
49	4179	ق12	ج1	فاتحة مطبوعة
50	4182	853 هـ	ج6	من عشرة تعديل الجزء والناسخ
51	4241	1096 هـ	الأجزاء كاملة	عائلة ناسخة
52	4331	ق12	قطعة من ج8	مغربي
54	1303	هـ	ج4	وهو الأخير
55	4445	893هـ	الربع الأول	تعديل
56	4634	874هـ	ج3	-
57	4635	874هـ	ج4	-
58	4637	ق11	-	قطعة منه
59	4641	789هـ	ج6	-
60	4642	ق9	ج8من 10	خزائنية
61	4644	852 هـ	-	من التفسير إلى الأخير ناقص الأول
62	4645	870هـ	ج7 و8	-

م	الحفظ	تاريخ النسخ	الجزء	ملاحظات
63	4648	848هـ	ج4	خزائنية
64	4649	881هـ	ج1و2	مقابلة بنسخ
65	4651	ق9	ج4و5	قراءة
66	4652	ق9	ج6	تعديل الناسخ
67	4653	ق11	-	قطعة منه
68	4654	ق9	-	قطعة منه متممة لأخرى سابقة

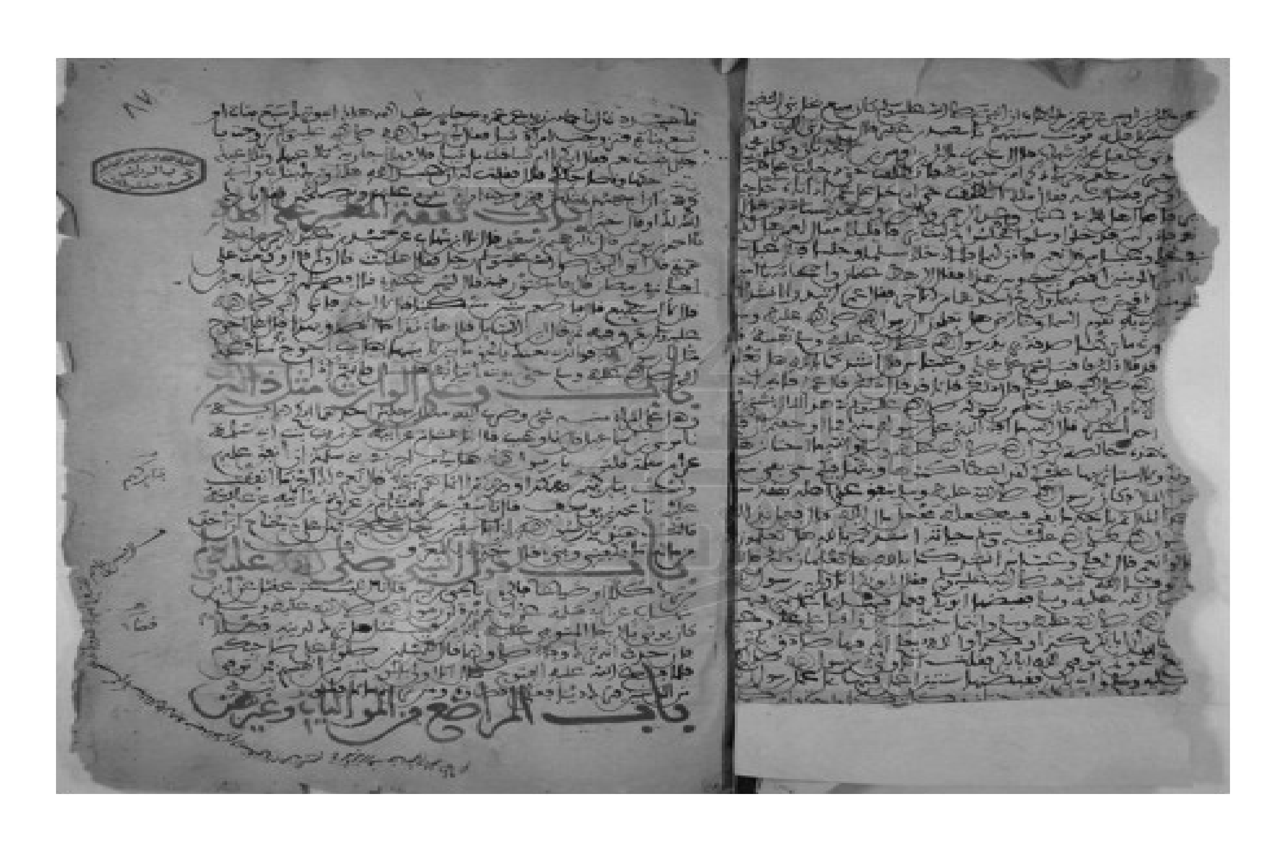
أرقام الحفظ التسلسلية أعلاه بيانات الفهرسة وصور أول وآخر النسخة:

» **رقم الحفظ:** 13

الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 10هـ / 16م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 112ق
عدد الأسطر: 27س
بداية المخطوط:
أنثى، فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة... باب لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ما شاء المصدق...
نهاية المخطوط:
....باب أم الولد. قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: "من أشراط الساعة أن تلد الأمة ربّتها". حدثنا أبو اليمان.
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع

بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب مبتورة الأول والآخر: تبدأ من أثناء كتاب الزكاة وتنتهي في أثناء كتاب الشركة، كتب سائر النص بالمداد الأسود وكتبت رؤوس الكتب والأبواب وعناوينها بالمداد الأحمر.

» **رقم الحفظ:** 16





الفن: حديث

العنوان: الجامع الصحيح (جزء منه)

عنوان آخر: صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري

تاريخ وفاته: 256هـ/ 867م

شهرته: الإمام البخاري

لغة المخطوط: عربي

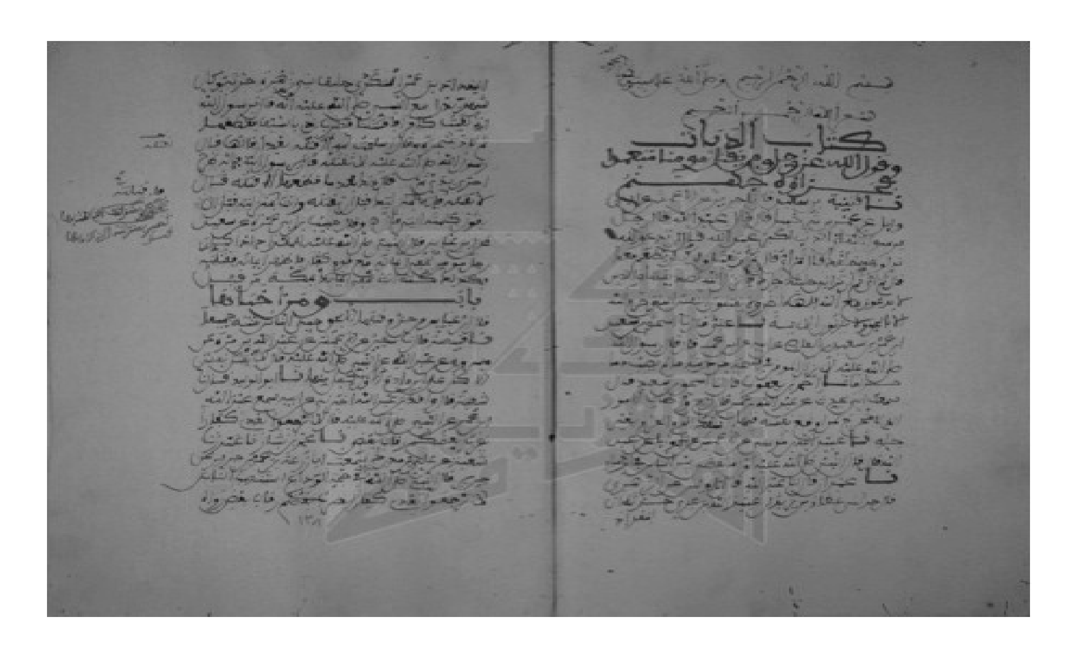
تاريخ النسخ: ق 11هـ/ 17م تقديراً

نوع الخط: مغربي

عدد الأوراق: 198ق
المقاس: 29½×18½سم
عدد الأسطر: 29س
بداية المخطوط:
كتاب النفقات فضل النفقة على.. وقول الله عز وجل ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو...[المخطوط ناقص الأول ولم أجد هذه البداية فيه ولعل الصواب: باب نفقة المعسر على أهله)
نهاية المخطوط:
...باب قول الله عز وجل والله خلقكم وما تعملون إنا كل شيء خلقناه بقدر... باب قراءة الفاجر والمنافق وأحوالهم...
المراجع:
الإعلام 6/ 34، مركز الملك فيصل (خزانة التراث)، كشف الظنون 541/1، الورد 1146، الأزهرية 1/ 439
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
نسخة ناقصة الأول والآخر، كتبت بمداد أسود والأبواب بالحمرة، عليها تعاليق وتصحيحات وتعقيبات، وسماع سنة 1009، وهي جزء من رواية أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاث.

» **رقم الحفظ:** 20







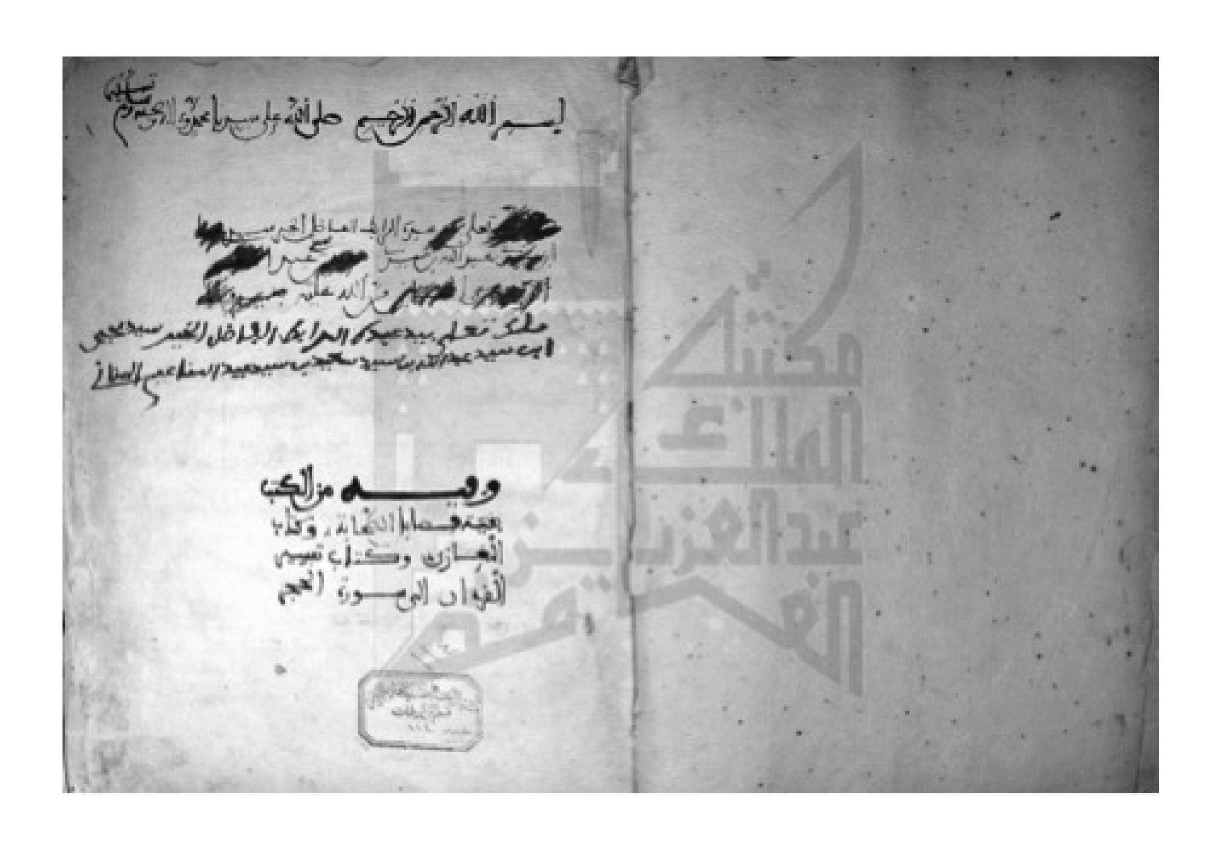
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح (ج 10/9)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/ 867م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 256ق
المقاس: 29½×21سم
عدد الأسطر: 22س
بداية المخطوط:

كتاب الأدب باب قول الله عز وجل: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا﴾ أبو الوليد قال نا شعبة قال الوليد... أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قال ثم أي قال بر الوالدين...
نهاية المخطوط:

...باب قول الله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة...﴾
المراجع:
الإعلام 34/6، مركز الملك فيصل (خزانة التراث)، كشف الظنون 541/1، الورد 114/6، الأزهرية 439/1
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 535/1

بيانات أخرى:
نسخة تامة، كتبت بمداد أسود والأبواب بالأحمر وبعض الكلمات بالأخضر، ينتهي الجزء التاسع عند الصفحة (137) ثم يليه العاشر مبدوءا بكتاب الديات.

» **رقم الحفظ:** 114



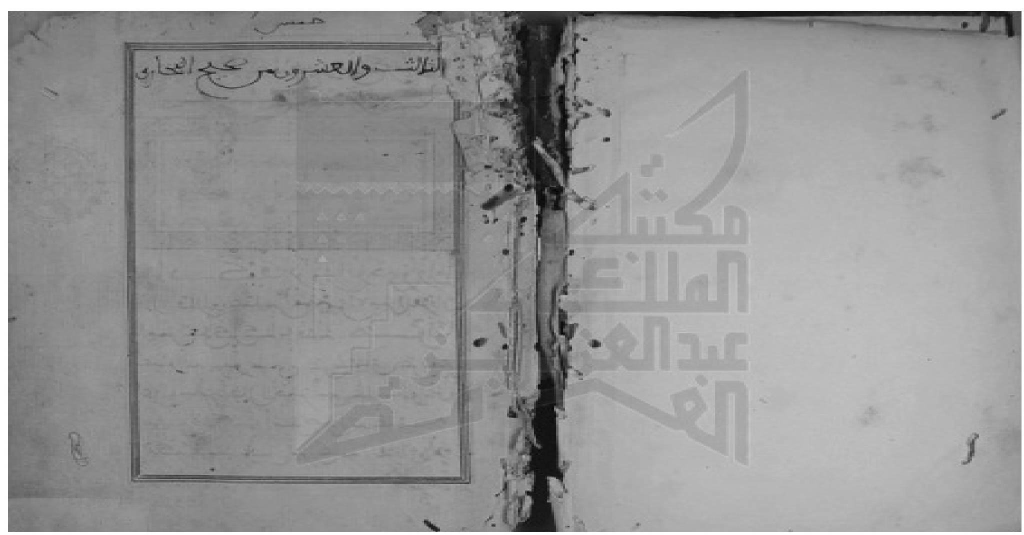


الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/ 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11هـ / 17 م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 117 ق
المقاس: 28 × 20 سم
عدد الأسطر: 24 س
بداية المخطوط:
مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدثنا حفص بن عمر.....
نهاية المخطوط:
... ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قال هم كفار أهل مكة....
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541
الأعلام 6/ 34
معجم المؤلفين 9/ 52
بروكلمان الترجمة العربية 3/ 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1/ 535 - 536

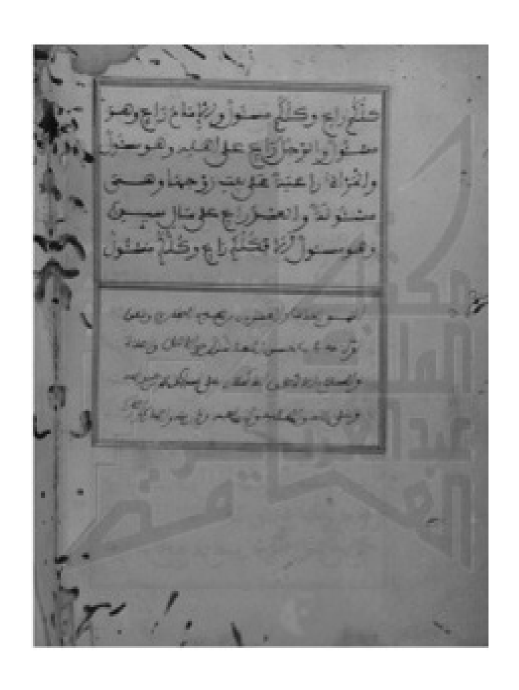
بيانات أخرى:

كتب النص بمداد أسود مع استعمال المداد الأحمر والنص مشكول، وتمت تجزئة الكتاب من الثاني عشر إلى الجزء السادس عشر، كل جزء يمثل كراسة.

» **رقم الحفظ:** 119







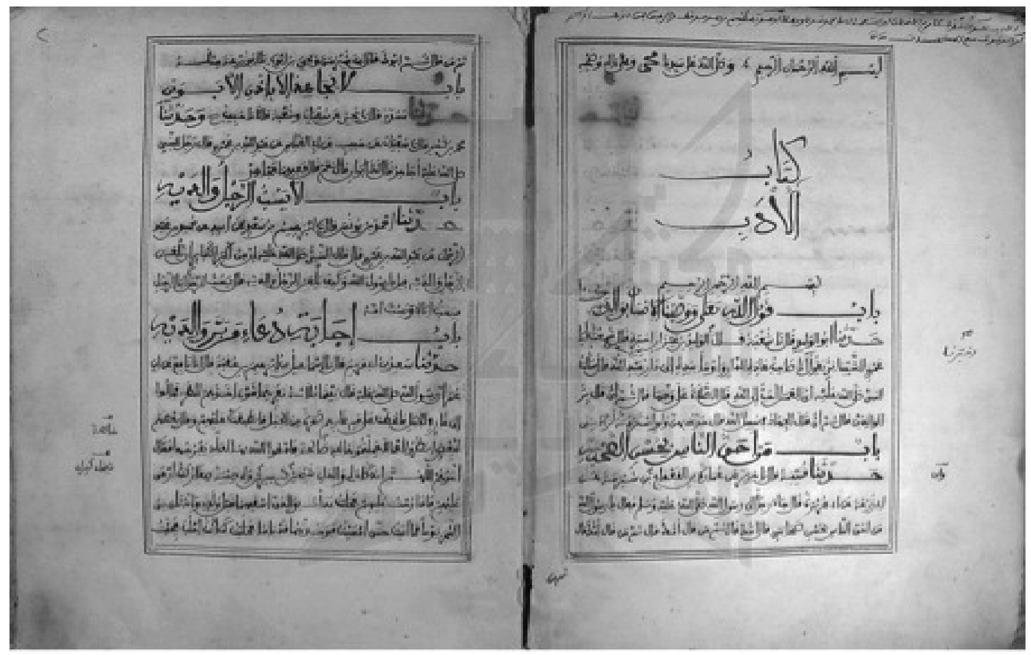
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج23
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ - 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 71ق

المقاس: 21،5×15،5سم
عدد الأسطر: 14س
بداية المخطوط:
كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل قال ابن عباس....
نهاية المخطوط:
والعبد راع على مال سيده وهو مسئول... فكلكم راع وكلكم مسئول..
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541 ؛ بروكلمان ـ الترجمة العربية 3/ 165 ـ 167؛ الأعلام 6/34؛ معجم المؤلفين 9 / 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 ـ 536...
بيانات أخرى:
كتب النص داخل جدولة بمداد أحمر وأزرق وقد زينت بداية المخطوطة بمستطيل مذهب ومزخرف وشكل هندسي مزخرف في حاشية الصفحة الأولى من النص كتب فيه عنوان بداية الكتاب.

» **رقم الحفظ:** 148







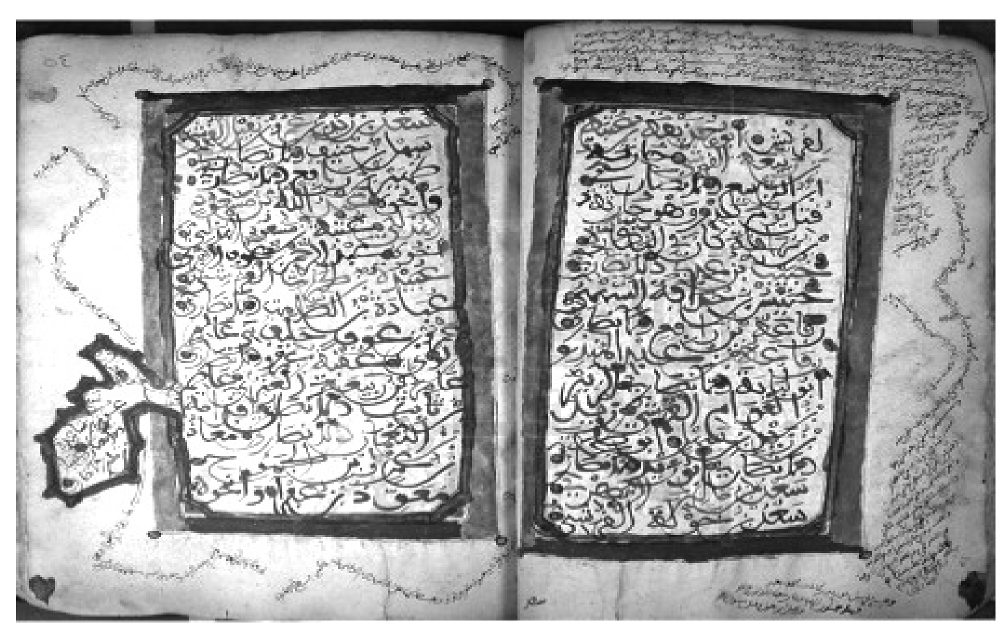
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج5
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق13هـ / 19م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 33
المقاس: 22×18سم
عدد الأسطر: 18س
بداية المخطوط:
كتاب الأدب باب قول الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حدثنا أبو الوليد...
نهاية المخطوط:
... كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم كمل الجامع الصحيح بحمد الله...
المراجع:
كشف الظنون 1 / 541 ؛ إلاعلام 6 / 34؛ معجم المؤلفين 9 / 52؛ بروكلمان الترجمة العربية 3 / 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 - 536

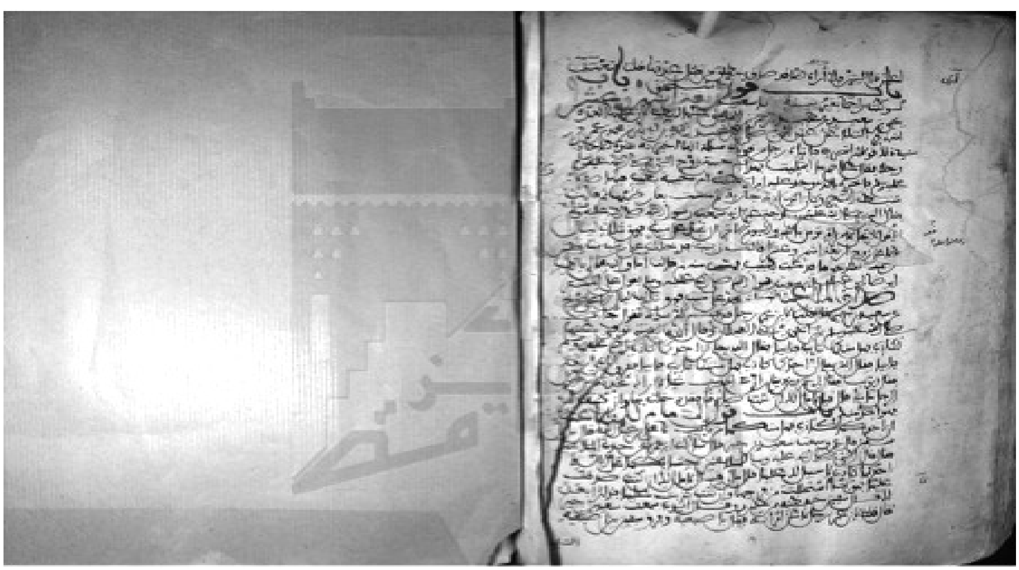
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود داخل جداول بالحمرة والزرقة، وعناوين الفصول والأبواب بالحمرة والزرقة، في الطرر تصويبات وتعليقات يسيرة، وهذا الجزء يعد الخمس الأخير من الكتاب.

» **رقم الحفظ:** 168





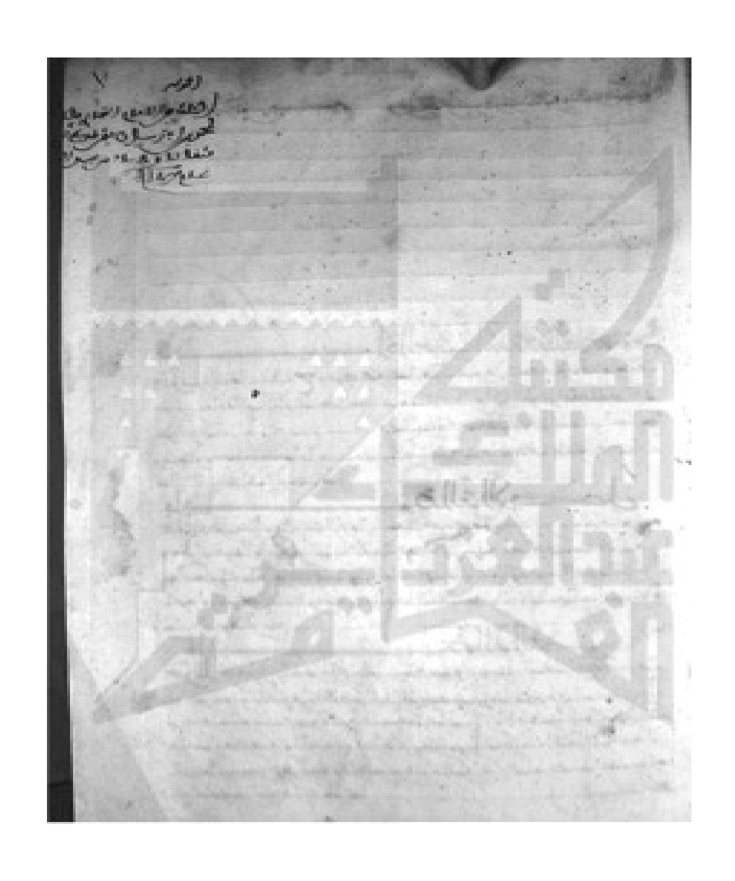


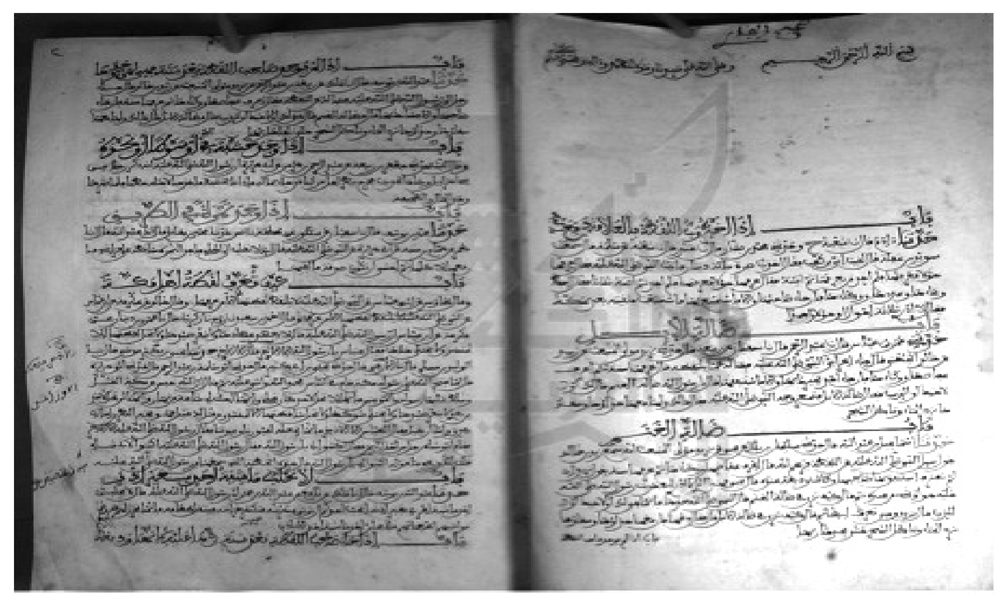


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 204 ق
عدد الأسطر: 29
بداية المخطوط:
كتاب المناقب. باب قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية، وقوله: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ الآية، وما ينهى من دعوى الجاهلية...
نهاية المخطوط:
باب... أربعة أشهر وعشراً... عنها الطيب لأن عليها العدة... قالت زينب: فدخلت على زينب بنت جحش... فدعت بطيب فمست منه ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب... سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر:... تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج... أم سلمة تقول: جاءت... توفي عنها... صلى الله عليه وسلم... هي أربعة... رأس الحول... آخر...
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52

بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب المناقب وتنتهي في أثناء كتاب التفسير، عليها تعليقات، في الورقتين الأخيرتين خروم مما أدى إلى فقدان جزء من النص، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت رؤوس الفصول وعناوينها بالمداد الأحمر وبعضها بالمداد الذهبي وبعضها بالمداد الأخضر

» **رقم الحفظ:** 169







الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (قطعة منه)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 58 ق
عدد الأسطر: 30 س
بداية المخطوط:

باب إذا أخبره رب اللُّقطة بالعلامة دفع إليه. حدثنا آدم قال حدثنا شعبة وحدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن سلمة قال سمعت سويد بن غفلة قال لقيت أبي بن كعب...

نهاية المخطوط:

وإنه لم يحل باب إثم الغادر للبر والفاجر... القتال فيه لأحد قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاؤ من فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لفيئهم ولبيوتهم قال إلا الإذخر.

المراجع:
الأعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:

مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب اللقطة وتنتهي في آخر كتاب الجزية، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت عناوين الكتب بالمداد الأزرق وكتبت رؤوس الأبواب وعناوينها بالمدادين الأحمر والأخضر تتابعاً.

» **رقم الحفظ:** 182





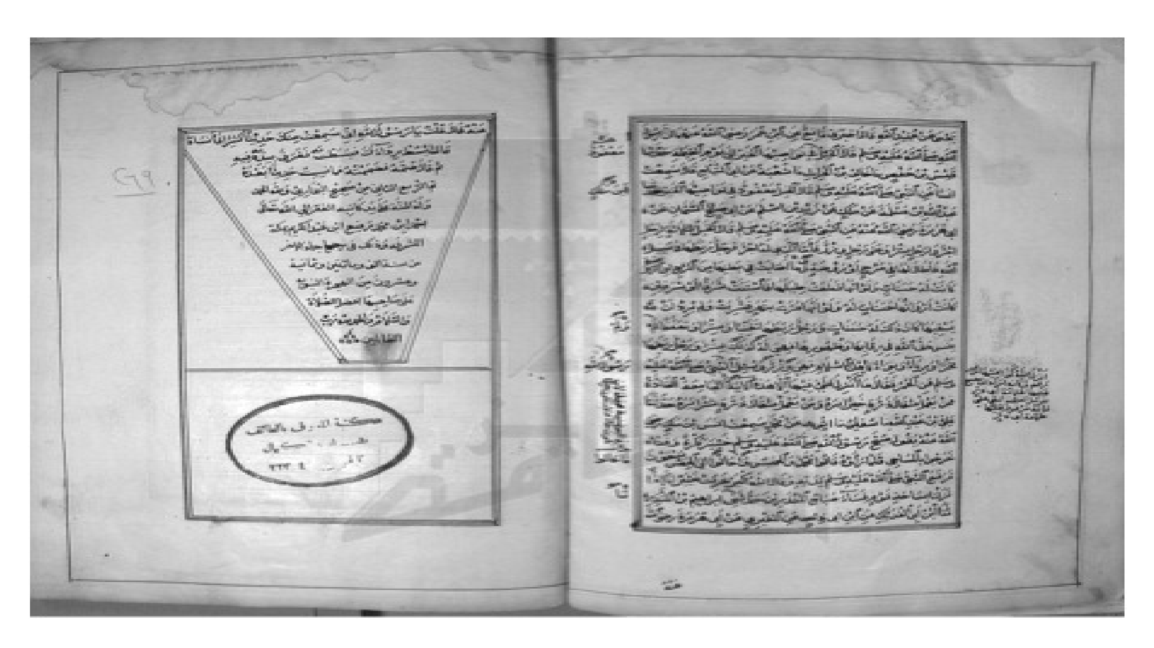
الفن: حديث
العنوان: الجامع الصحيح ج3
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: مغربي
عدد الأوراق: 141ق
المقاس: 23×22سم

عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه...
نهاية المخطوط:
...باب كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم...فرغ بحمد الله يتلوه السفر الرابع إن شاء الله كتاب تفسير القرآن.
المراجع:
كشف الظنون 1 / 541 ؛ الإعلام 6 / 34 ؛ معجم المؤلفين 9 / 52؛ بروكلمان الترجمة العربية 3 / 165 - 167
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: انظر معجم المطبوعات 1 / 535 - 536
بيانات أخرى:
كتبت بمداد أسود داخل جداول بالحمرة والزرقة، وعناوين الأبواب وبعض الكلمات بالحمرة والزرقة، عليه تصحيحات وشروح، وفروق رواية أبي الوقت.

» **رقم الحفظ:** 290



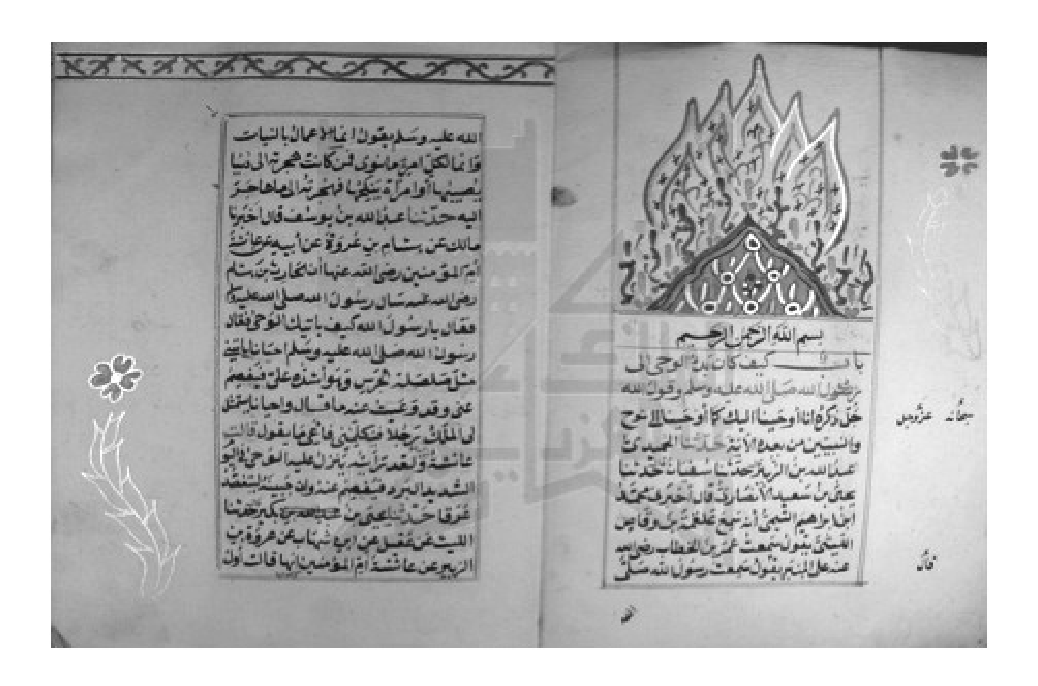


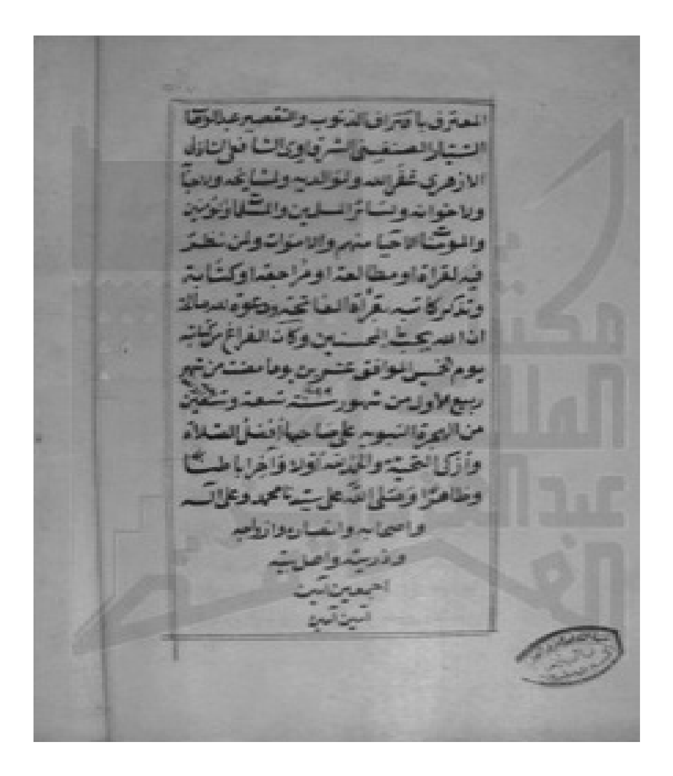


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح (الربع الثاني)
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد بن محمد رفيع بن عبد الكريم
تاريخ النسخ: 1228هـ
مكان النسخ: مكة المكرمة.
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 269 ق
عدد الأسطر: 21 س
بداية المخطوط:
باب حرم المدينة. حدثنا أبو النعمان: حدثنا ثابت بن يزيد... عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"...
نهاية المخطوط:
حدثني إبراهيم بن المنذر: حدثنا ابن أبي فديك... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه. قال: "أبسط ردائك". فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال: "ضمه" فضممته فما نسيت حديثاً بعده. تمّ الربع الثاني من صحيح البخاري... والحمد لله رب العالمين.

المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
نسخة تامة مقابلة على النسخة اليونينية، كتب سائر النص بالمداد الأسود داخل جداول ذهبية وكتبت الكتب وعناوينها ورؤوس الأبواب والأحاديث ورموز الرواة بالمداد الأحمر.

» **رقم الحفظ:** 1217





الفن: حديث

العنوان: الجامع الصحيح ج1

عنوان آخر: صحيح البخاري

المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله

تاريخ وفاته: 256هـ/870م

شهرته: البخاري

لغة المخطوط: عربي

إسم الناسخ: عبد الوهاب السيار الصنفيني الشرقاوي

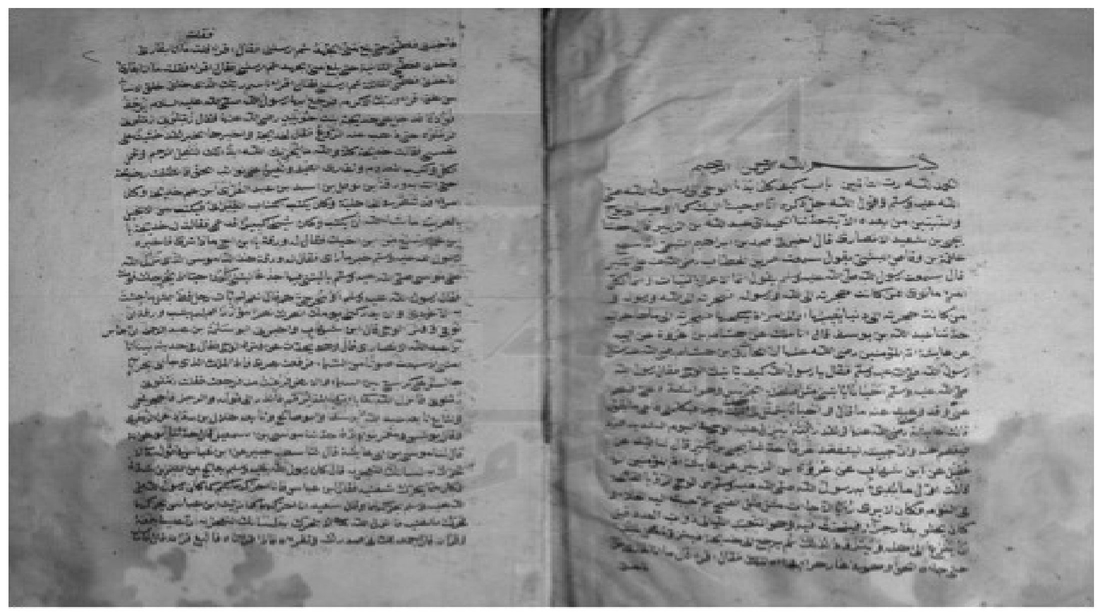
تاريخ النسخ: 1299هـ/1881م

نوع الخط: نسخ

عدد الأوراق: 507ق
المقاس: 23×16،5سم
عدد الأسطر: 17س
بداية المخطوط:
باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله سبحانه عز وجل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية حدثنا الحميدي...
نهاية المخطوط:
إلى باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل... عن عائشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه تم الجزء الأول من صحيح البخاري بحمد الله وعونه وحسن توفيقه...
المراجع:
مداخل المؤلفين /50 معجم المؤلفين 53/9 إلاعلام 34/6 كشف الظنون 541/1 الورد/1146
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات 535/1
بيانات أخرى:
نسخة جيدة تامة، مصححة ومقابلة على الأصل، كتب النص داخل جداول مزدوجة بالمداد الأسود ما عدا بعض الكلمات والعبارات فكتبت بالأحمر، زينت أعلى الصفحة الأولى بطرة مزخرفة بالزهور والنباتات واستخدم المداد الذهبي واللون الأخضر والأحمر والفضي في سر لوحة، كما زينت الحواشي الأولى بأغصان وزهور باللون الفضي والذهبي، ومن أعلاها بخطوط ذهبية مندرجة ونقط فضية بين خطين مزدوجين فضي وأزرق، مجلدة بالورق المقوى

المغلف بالجلد ومزين بطرة مزخرفة والجلد له لسان والمخطوط له علبة جلدية، وفي المخطوط خطأ ترقيم دون سقط في الصفحات.

» **رقم الحفظ:** 1279





الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ/870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق12هـ/18م تقديراً
نوع الخط: نسخ تعليق
عدد الأوراق: 153ق
المقاس: 27،5×18،5سم
عدد الأسطر: 31س
بداية المخطوط:
الحمد لله رب العالمين باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية...
نهاية المخطوط:
باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل حدثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها ينأولها رأسه.
المراجع:
مداخل المؤلفين /50، معجم المؤلفين 52/9، الإعلام 34/6، هدية العارفين 16/2،

كشف الظنون 541/1، الأزهرية 439/1، كوبريلي 181/1، الورد/1146

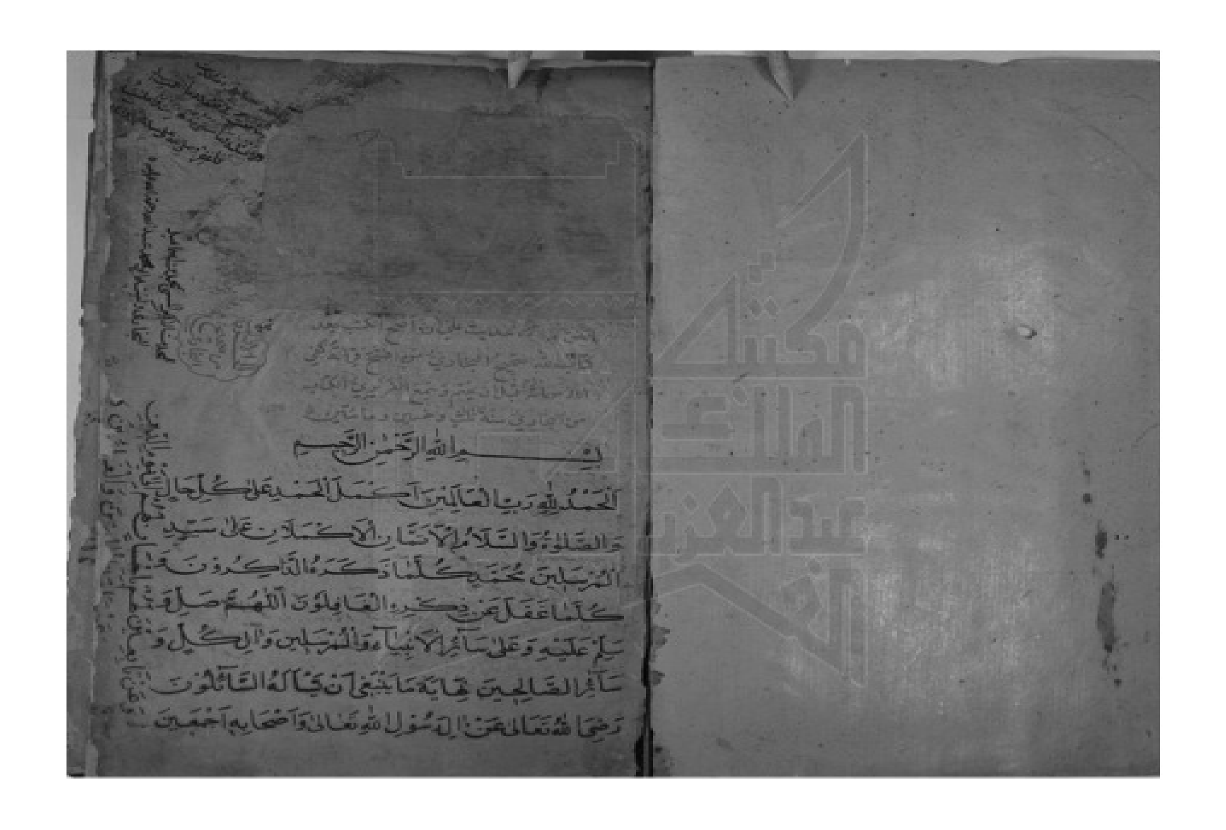
بيانات الطبع والنشر:

مطبوع: معجم المطبوعات 535/1

بيانات أخرى:

نسخة جيدة تامة، مصححة، كتبت بالمداد الأسود ما عدا بعض العبارات فكتبت بالأحمر، مجلدة بالورق المقوى المغلف بالجلد وله لسان.

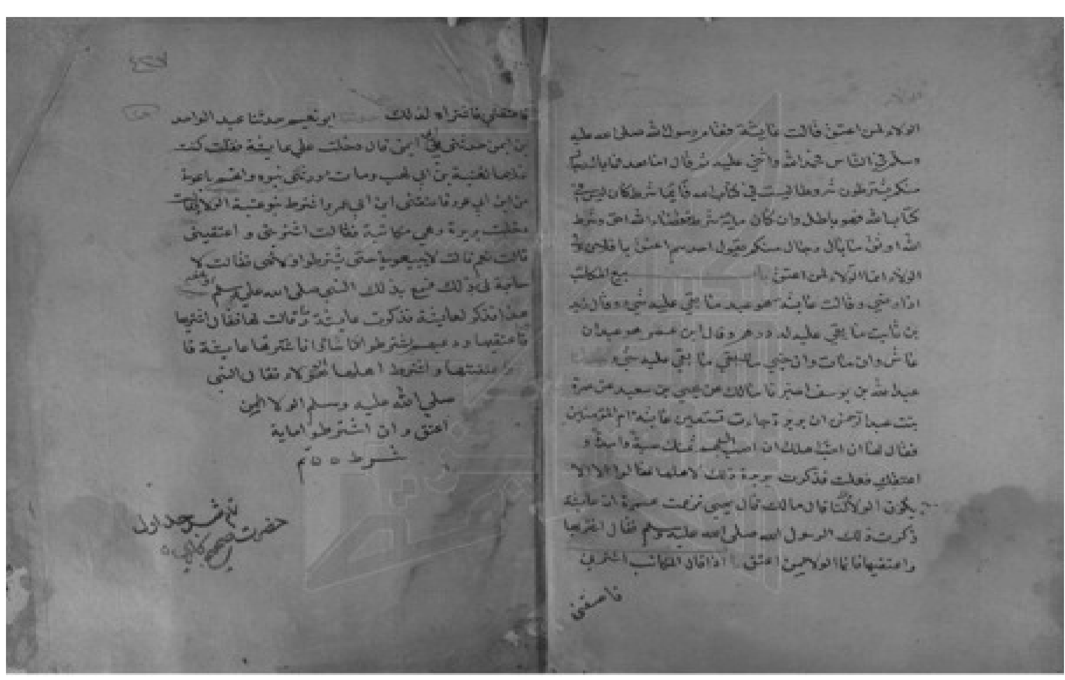
» **رقم الحفظ:** 1473



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أكمل الحمد على كل حال
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد
المرسلين محمد كلما ذكره الذاكرون و
كلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل و
سلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كل و
سائر الصالحين غاية ما ينبغي أن يسأله السائلون

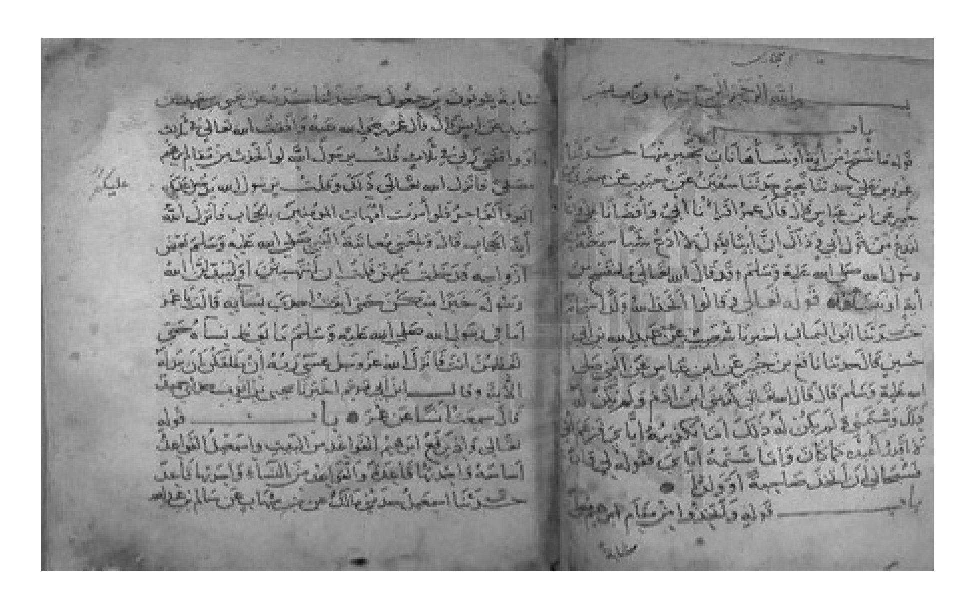


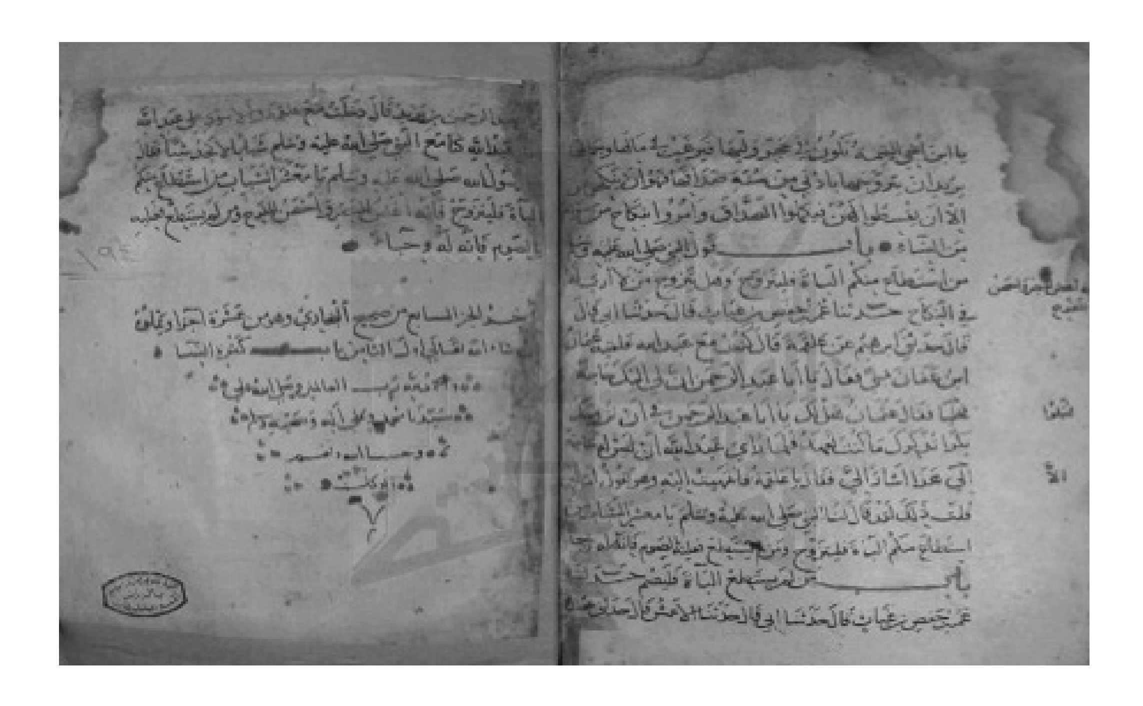


الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بم إبراهيم، أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18 م تقديراً
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 427ق
المقاس: 27،5 × 17سم
عدد الأسطر: 17س.
بداية المخطوط:
باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله عزوجل: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان...: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى فمن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها...).
نهاية المخطوط:
باب بيع المكاتب.... فاشترتها عائشة فأعتقتها واشترط أهلها الولاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعتق وإن اشترطوا مائة شرط). تم
المراجع:
مداخل المؤلفين: 50
الإعلام: 6 / 34
معجم المؤلفين: 9 / 52

هدية العارفين: 2/ 16
كشف الظنون: 1 / 541
بروكلمان (العربية): 3 / 165 - 167
كوبريلي: 1 / 181
الورد: 1146
الأزهرية: 1 / 439
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات: 1 / 536
بيانات أخرى:
كتب المتن بالمداد الأسود، وعناوين الفصول والأبواب وكلمات حدثنا بالحمرة، على الهوامش وبين الأسطر العديد من التصحيحات والشروح والتعليقات، وعليها تصحيحات، أطراف الأوراق مهترئة وأصابتها الرطوبة والتلوث.

» **رقم الحفظ:** 1520



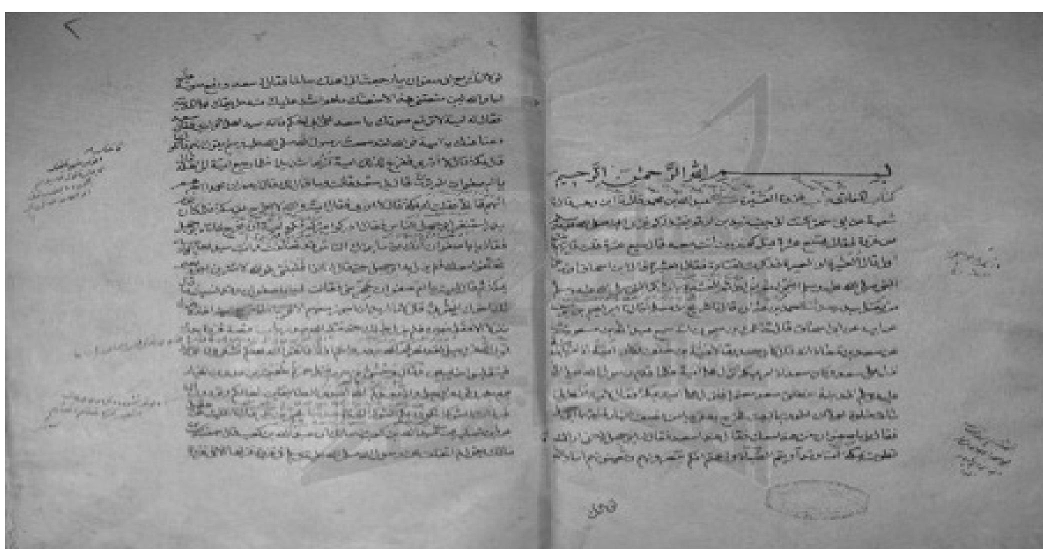


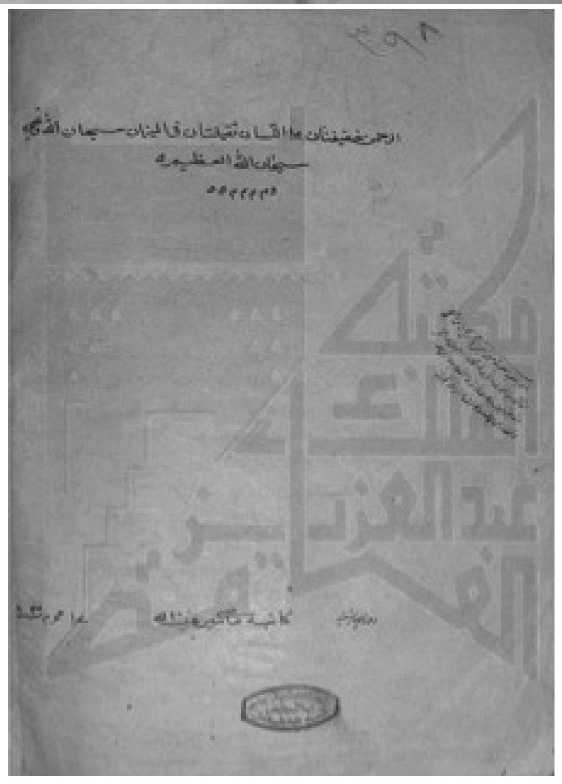
الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11 هـ تقديراً
نوع الخط: نسخ
عدد الأجزاء: 1

عدد الأوراق: 194
عدد الأسطر: 15
بداية المخطوط:

باب قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ .
نهاية المخطوط:
باب من لم يستطع الباءة فليصم. حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثنى عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من الباب السابع من كتاب التفسير وتنتهي بالباب الثالث من كتاب النكاح كتب النص بالمداد الأسود وكتبت كلمة (باب) و(كتاب) بالأحمر، وكتبت بعض الهوامش على النسخة تبين فروق النسخ، مما يفيد أنها نسخة مصححة ومقابلة.

» رقم الحفظ: 1691

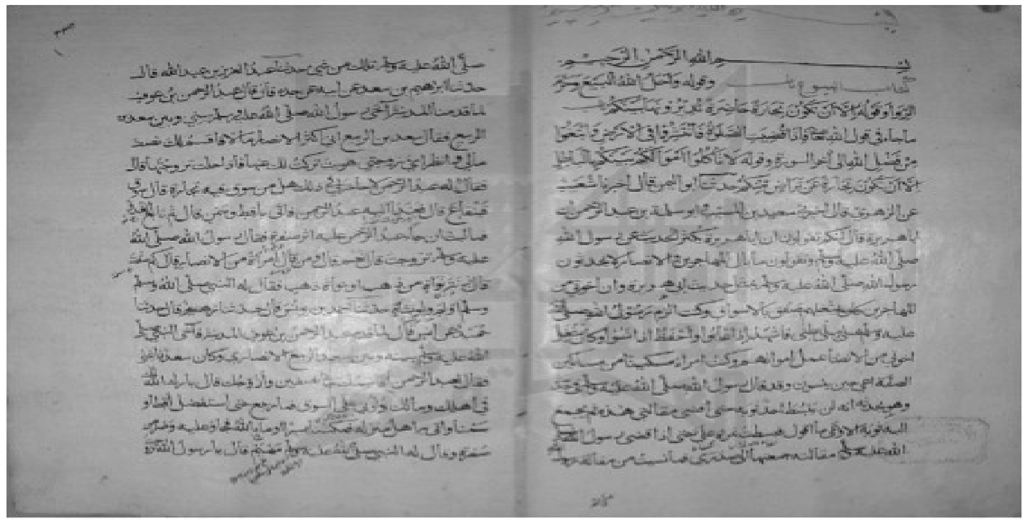


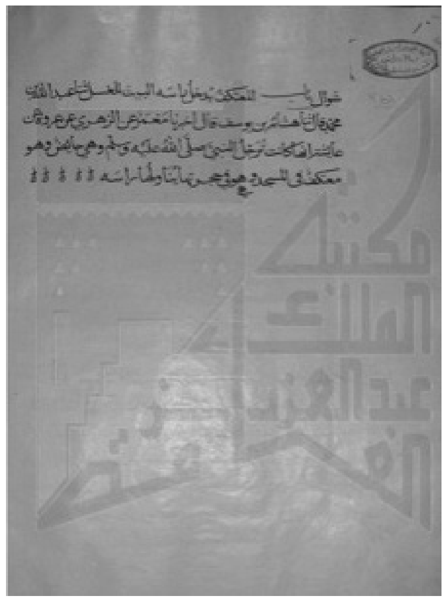


الفن: الحديث الشريف وعلومه
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ
شهرته: الإمام البخاري
لغة المخطوط: عربي
إسم الناسخ: عاصي مير عزت الله
تاريخ النسخ:12/محرم/ 1230هـ
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 397
عدد الأسطر: 19
بداية المخطوط:
كتاب المغازي- باب غزوة العشيرة أو العسيرة
نهاية المخطوط:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)
المراجع:
الإعلام 6/ 34 معجم المؤلفين 9/ 52
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع
بيانات أخرى:
النسخة عبارة عن قطعة من الكتاب: تبدأ من أول كتاب المغازي وتنتهي بآخر

الكتاب، كتب النص بالمداد الأسود وكتبت كلمة (باب) و(حدثنا) بالأحمر، وكتبت بعض الهوامش على النسخة تبين شرح غريب أو فروق النسخة.

» **رقم الحفظ:** 1696





الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 12هـ / 18م تقديراً
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 331ق
المقاس: 31 × 21سم
عدد الأسطر: 17س
بداية المخطوط:

كتاب البيوع باب وقوله: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ وقوله: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ إلى آخر السورة...

نهاية المخطوط:

... باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هشام بن يوسف قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها كانت تُرجِّل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهو في حجرتها يناولها رأسه.

المراجع:

كشف الظنون 1/ 541 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ مداخل المؤلفين 50 ؛ الورد 1146

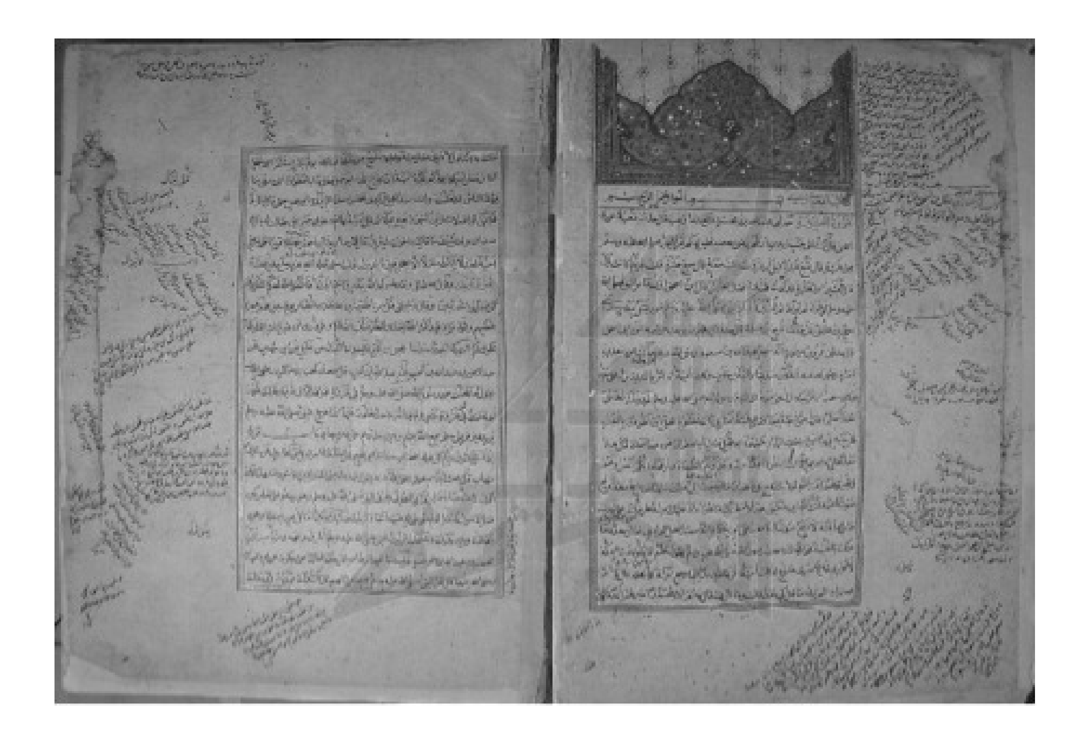
بيانات الطبع والنشر:

معجم المطبوعات 1/ 535

بيانات أخرى:

من أهم كتب الحديث جمع فيه المؤلف ما صح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الجزء يبدأ بكتاب البيوع وينتهي بباب المعتكف، والمخطوطة مقابلة بنسخة أخرى، كتب النص بالمداد الأسود وبعض الكلمات بالمداد الأحمر، على النص بعض التعليقات والحواشي، مصححة.

» **رقم الحفظ:** 1707



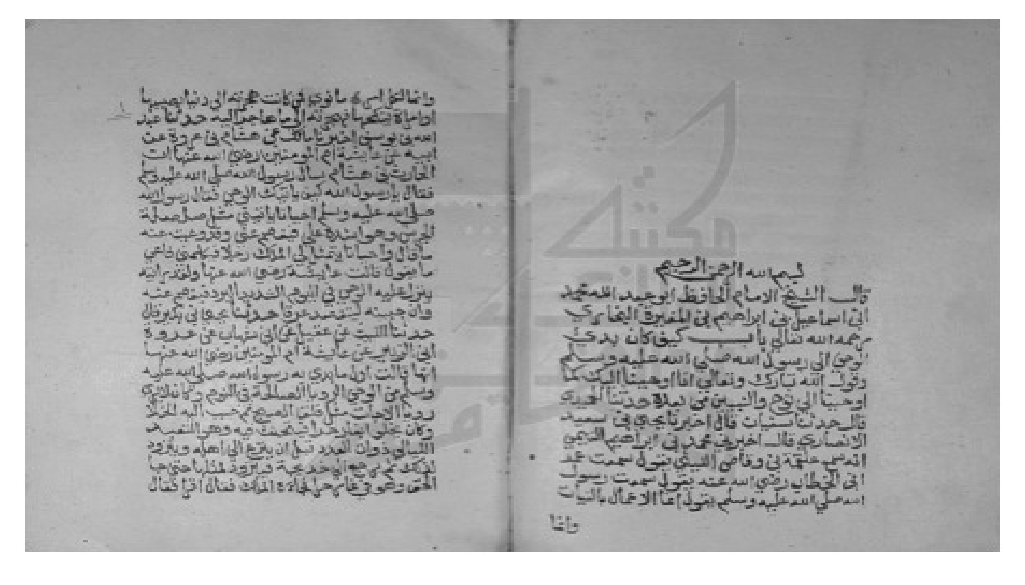


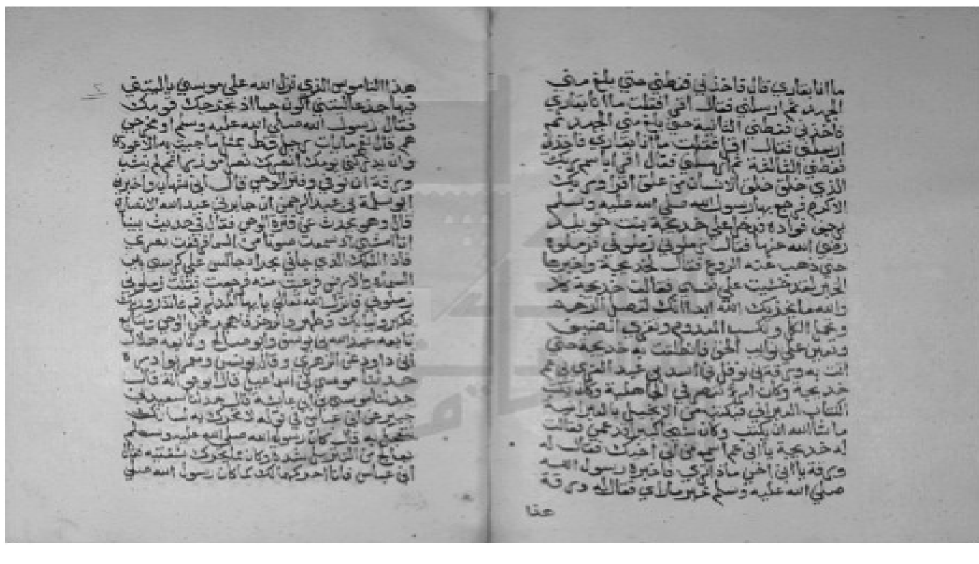
الفن: جمع وتدوين= صحيح البخاري
العنوان: الجامع الصحيح
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
تاريخ النسخ: ق 11هـ تقديراً

نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 297ق
المقاس: 30×20،5سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب المغازي... غزوة العشيرة حدثني عبد الله بن محمد قال حدثنا وهب قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم رضي الله عنه فقيل له: كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة قال: تسع عشرة قيل: كم غزوت أنت معه قال: سبع عشرة قلت: فأيهم كانت أول قال: العشير أو العشيرة فذكرت لقتادة..
نهاية المخطوط:
آخر الصحيح: حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).
المراجع:
كشف الظنون 1/ 541، الإعلام 6 / 34، بروكلمان ـ الترجمة العربية 3 / 165 ـ 167، الأزهرية 1 / 439 ـ 456، معجم المؤلفين 9 / 52، مداخل المؤلفين 50، الورد 1146
بيانات الطبع والنشر:
مطبوع: معجم المطبوعات 1 / 535 ـ 536
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود، بعض الكلمات والعبارات بالمداد الأحمر. أحيط النص بجداول ذهبية عريضة وأحيطت الجداول بأطر زرقاء. والصفحة الأولى

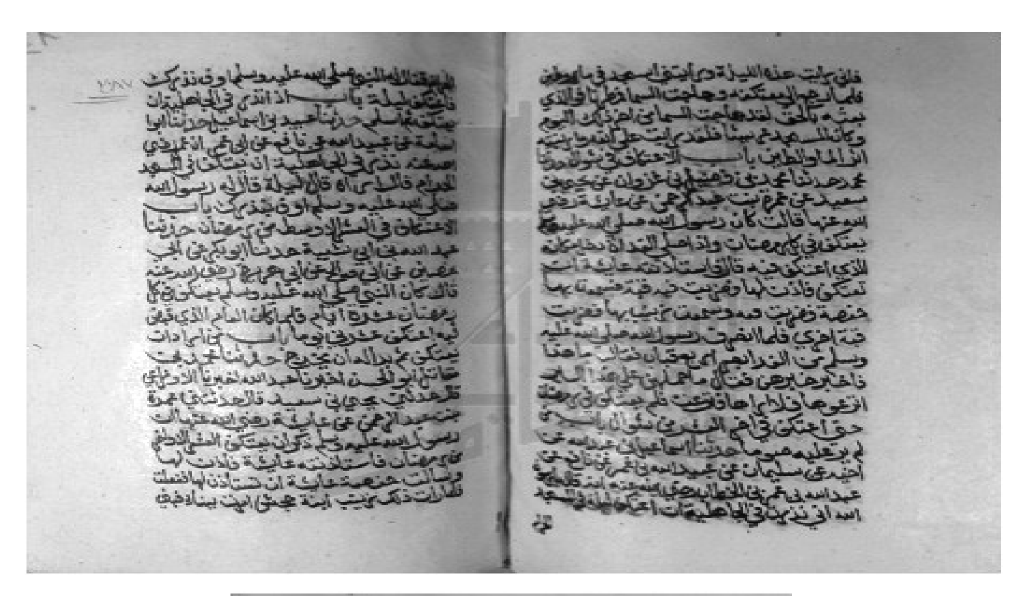
من النص مزينة بطرة (سر لوحة) مزينة بماء الذهب والزهور والنباتات. التجليد: من الورق المقوى بالجلد.
عليه بعض الشروح والحواشي والتعليقات، والمخطوطة مقابلة بالأصل وبنسخة أخرى، عليها تملك محمد سعيد أفضل المشهور بخان ملا باركزني.

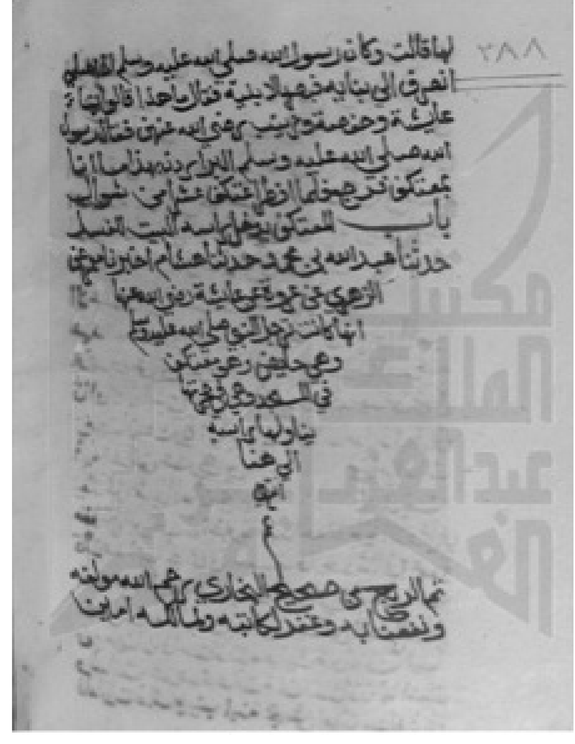
» **رقم الحفظ:** 1940







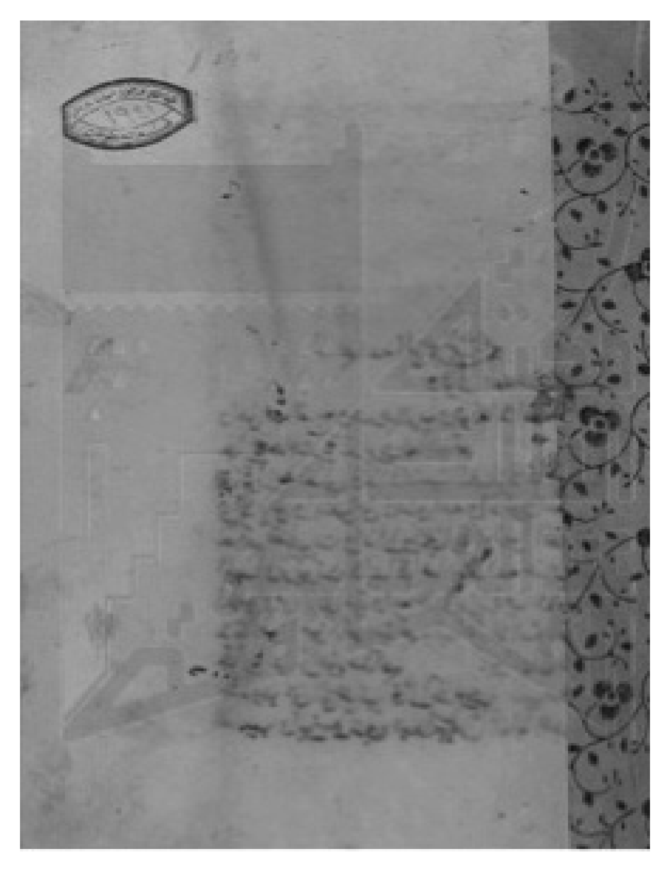




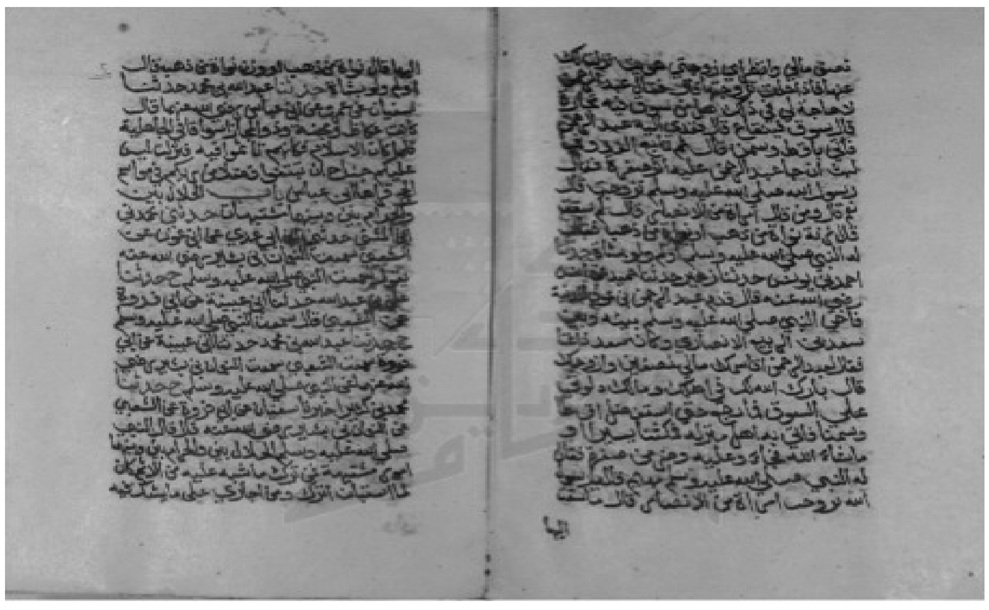
الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج1
عنوان آخر: صحيح البخاري ج1
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 387ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
قال الشيخ الإمام الحافظ... باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تبارك وتعالى... حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان...
نهاية المخطوط:
آخر الإعتكاف: باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل
حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت ترجل النبي - صلى الله عليه وسلم - وهى حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها، يناولها رأسه.
المراجع:

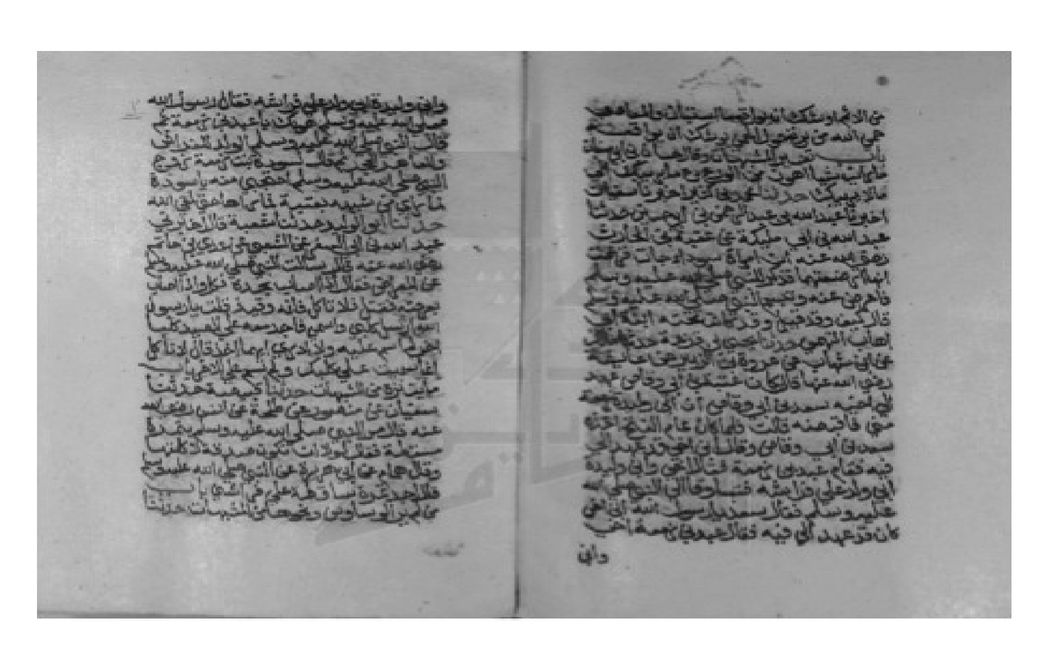
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة (حدثنا) بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أَرَضَة ولها لسان.

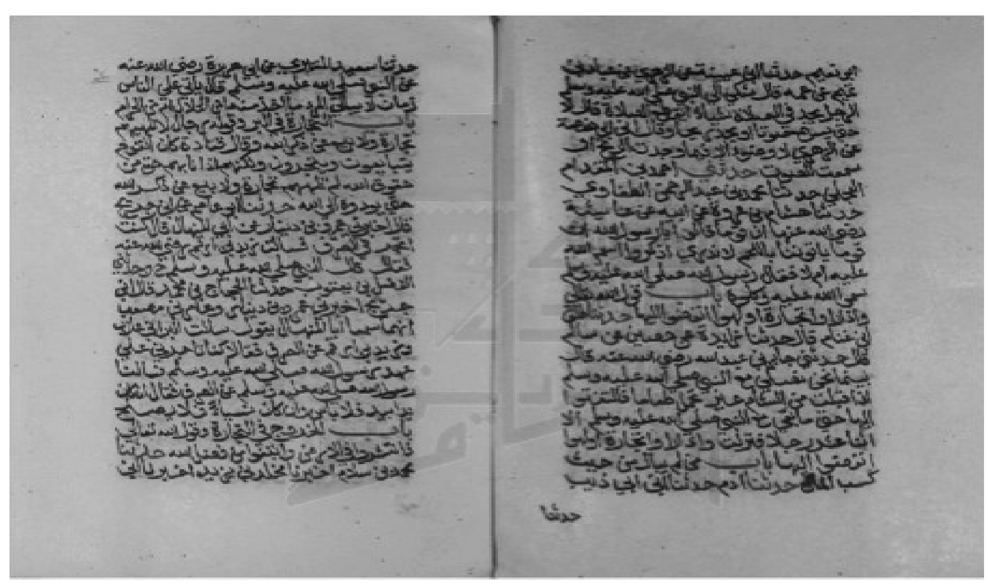
» **رقم الحفظ:** 1941

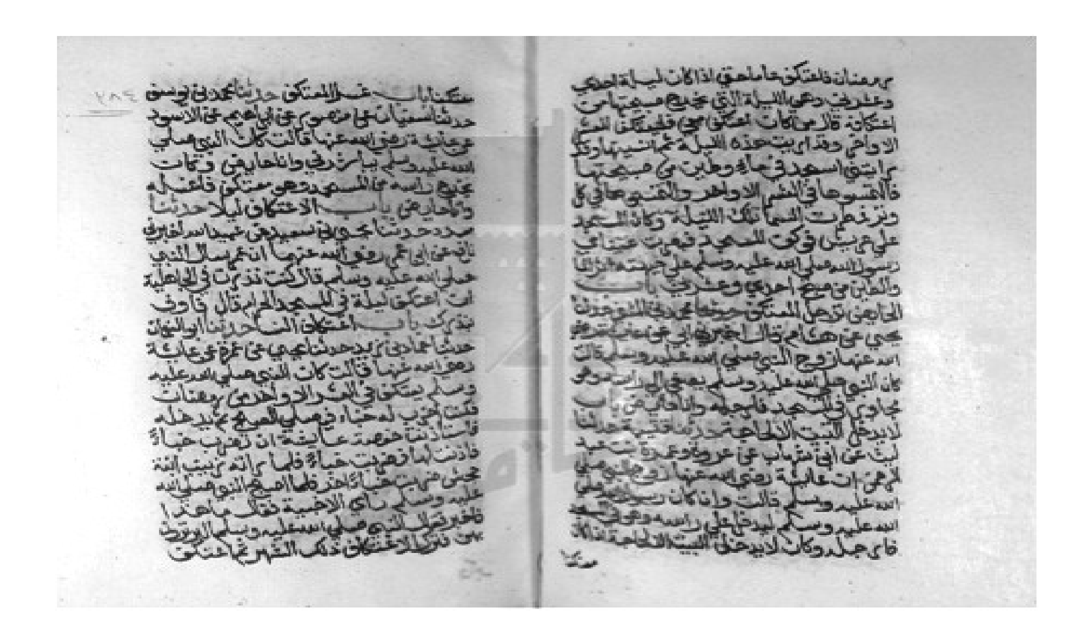


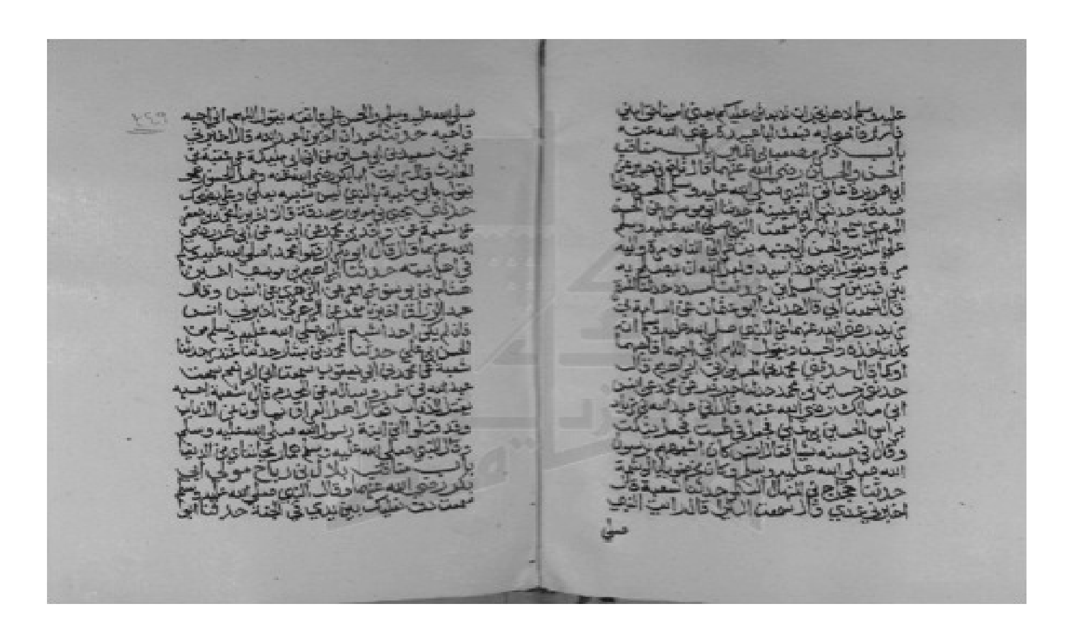


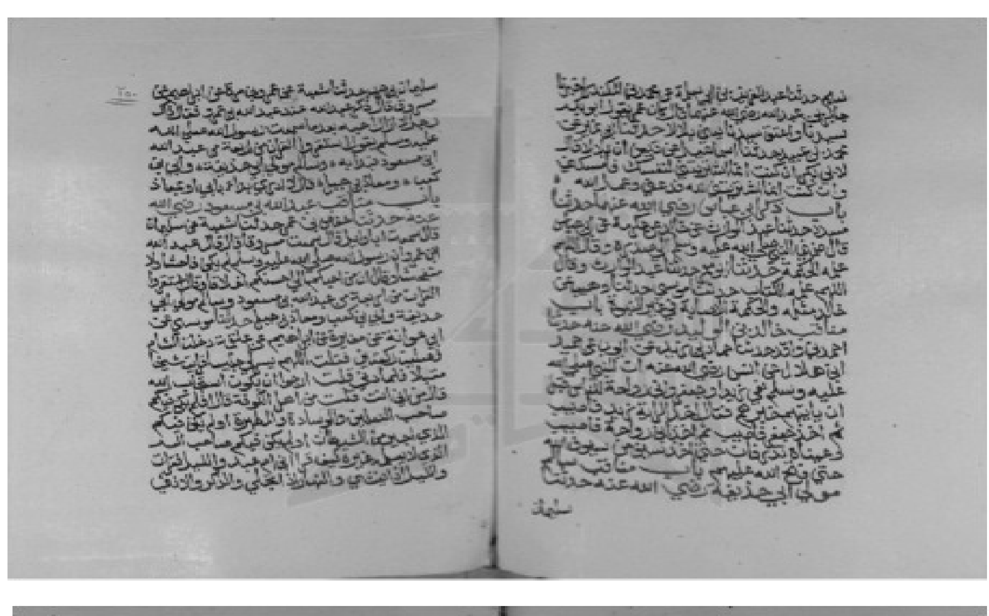


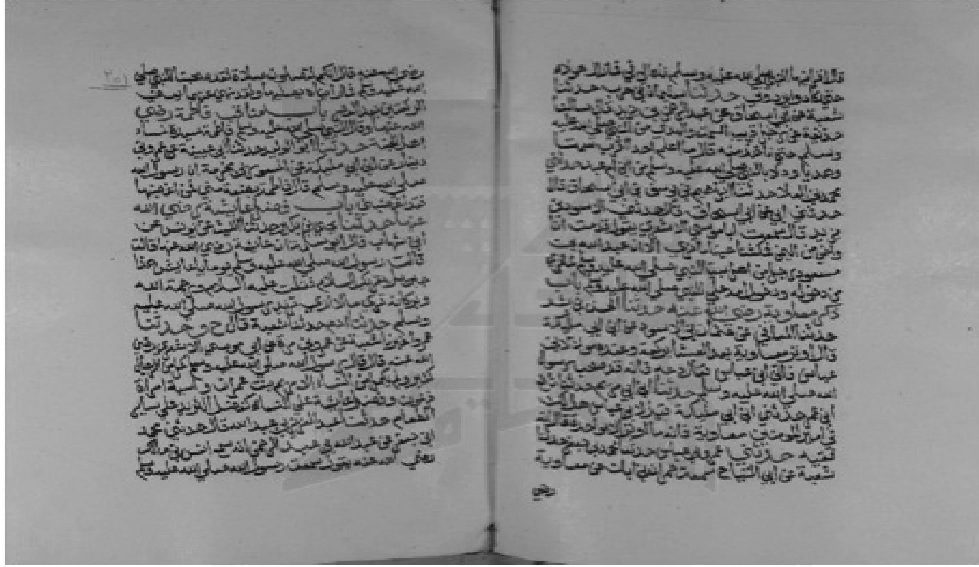


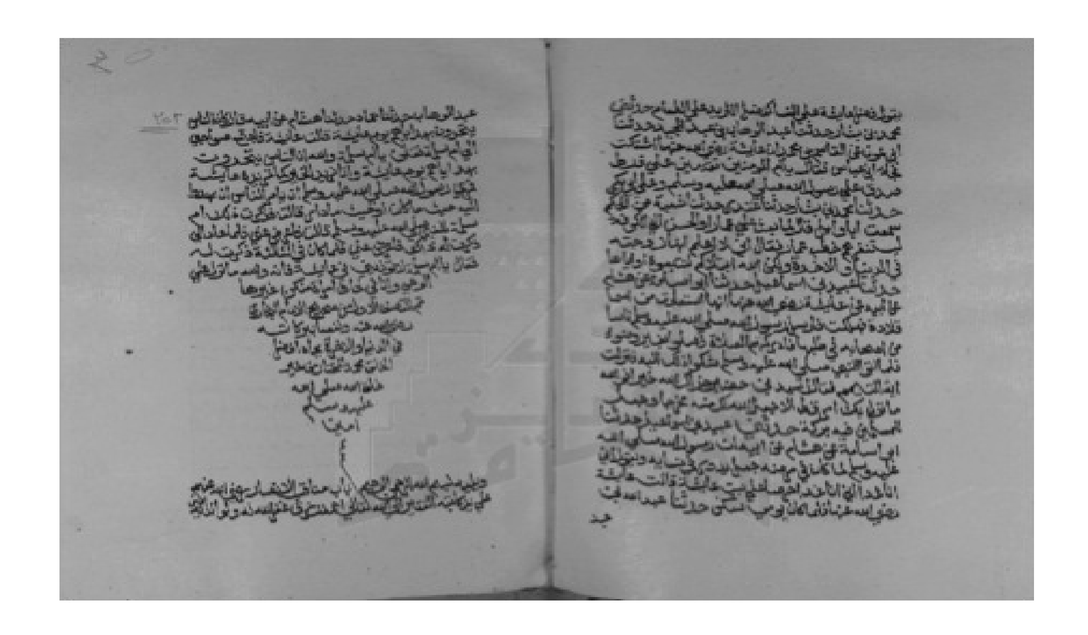










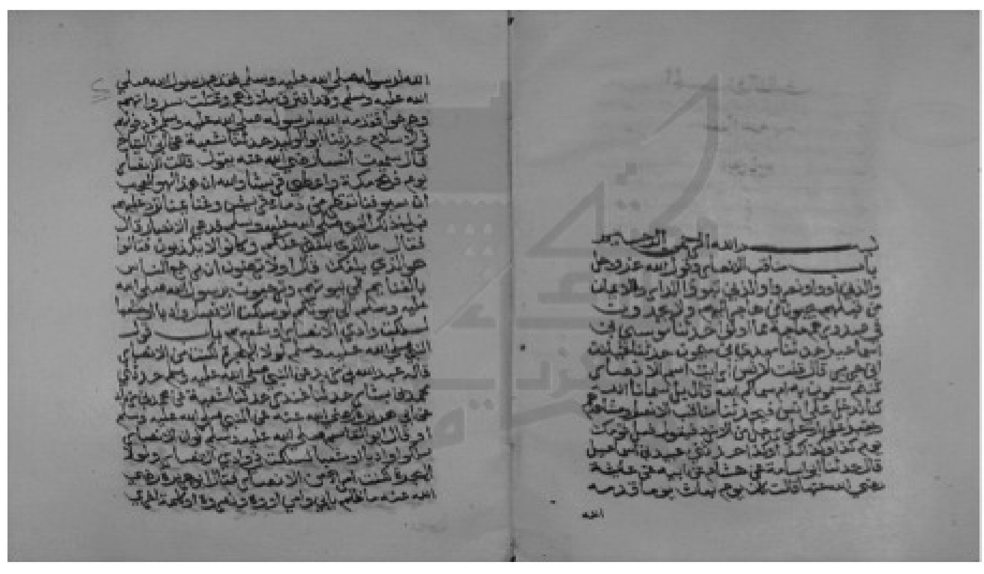


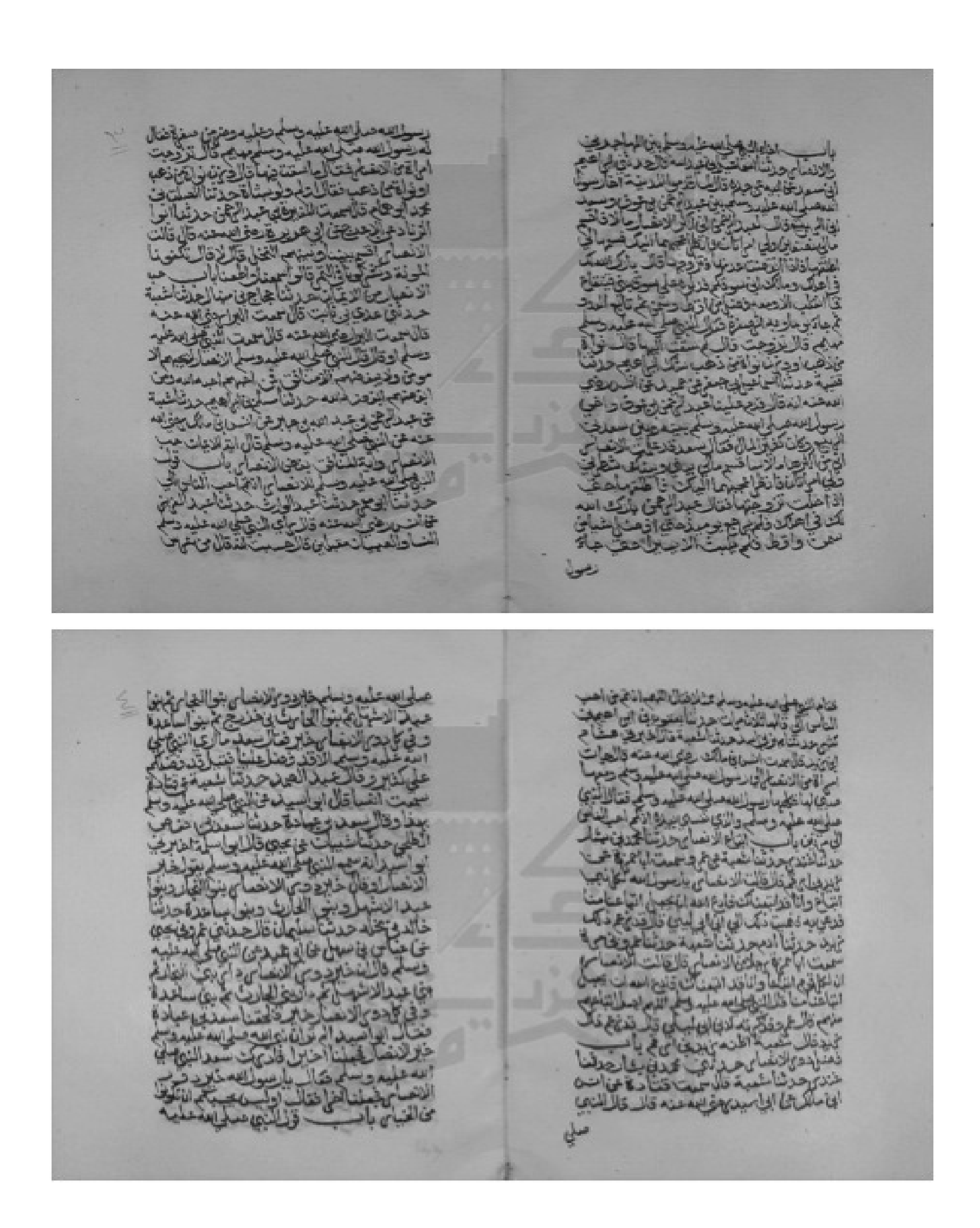
الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج2
عنوان آخر: صحيح البخاري ج2
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ

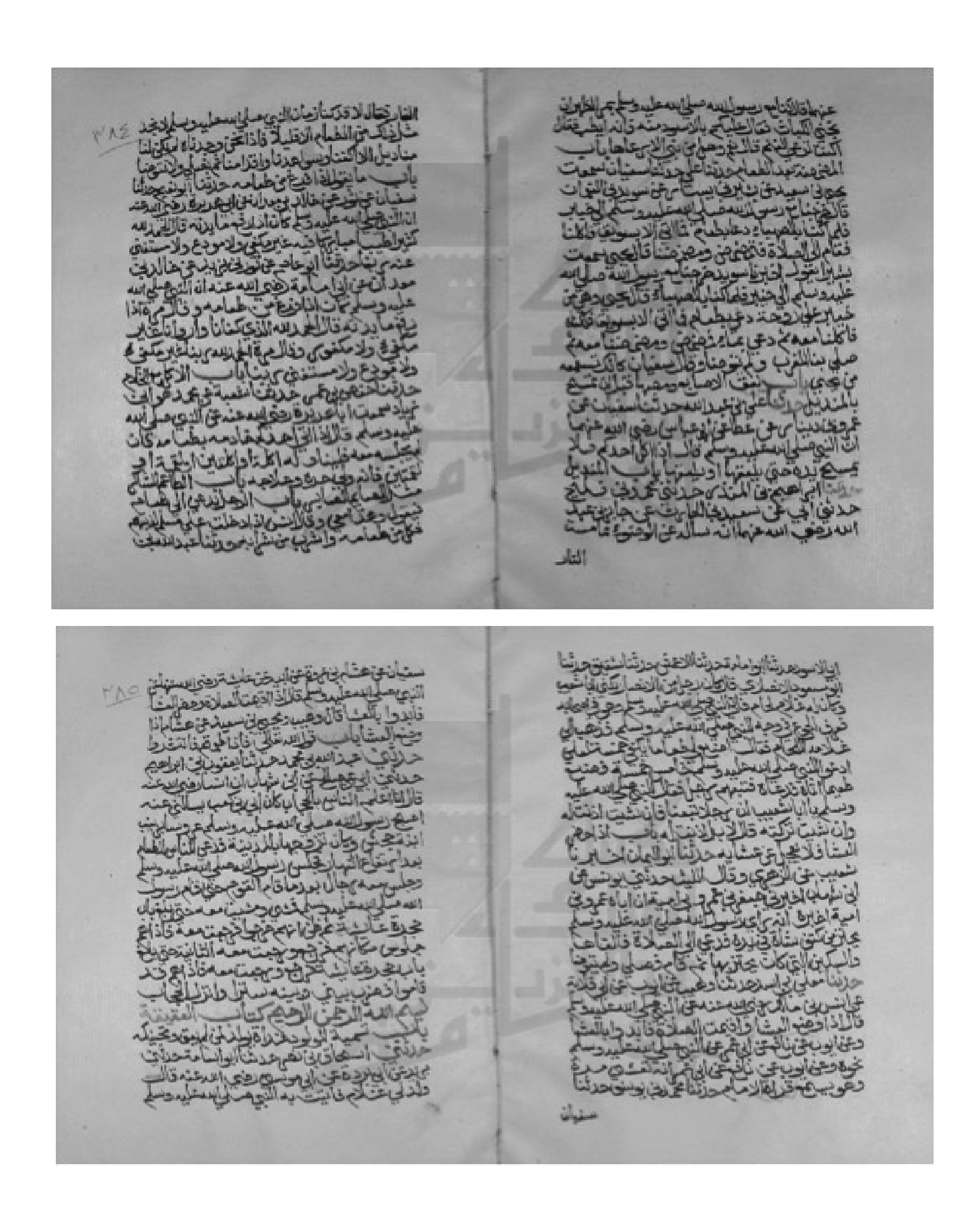
عدد الأوراق: 352ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:
كتاب البيوع:
باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون(10) وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾
نهاية المخطوط:
آخر فضائل الصحابة:
3775 -..... فلما عاد إلى ذكرت له ذاك فأعرض عنى، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها».
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان.

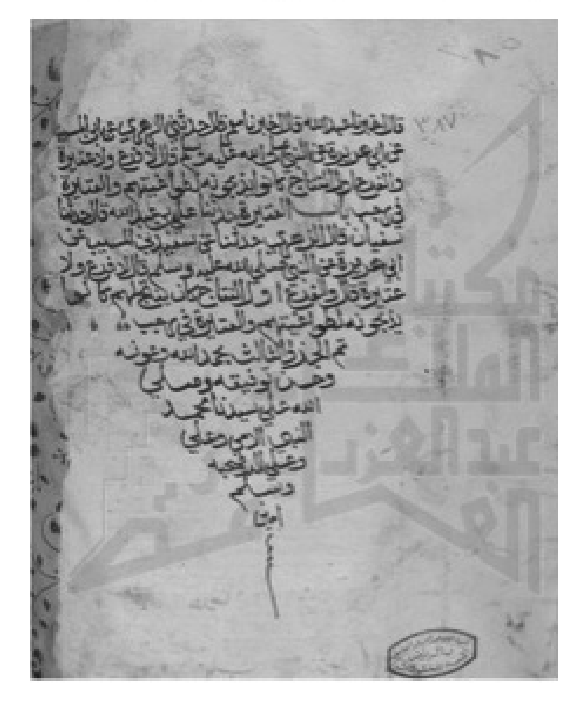
» **رقم الحفظ:** 1942











الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج3
عنوان آخر: صحيح البخاري ج3
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م
نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 386ق
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:

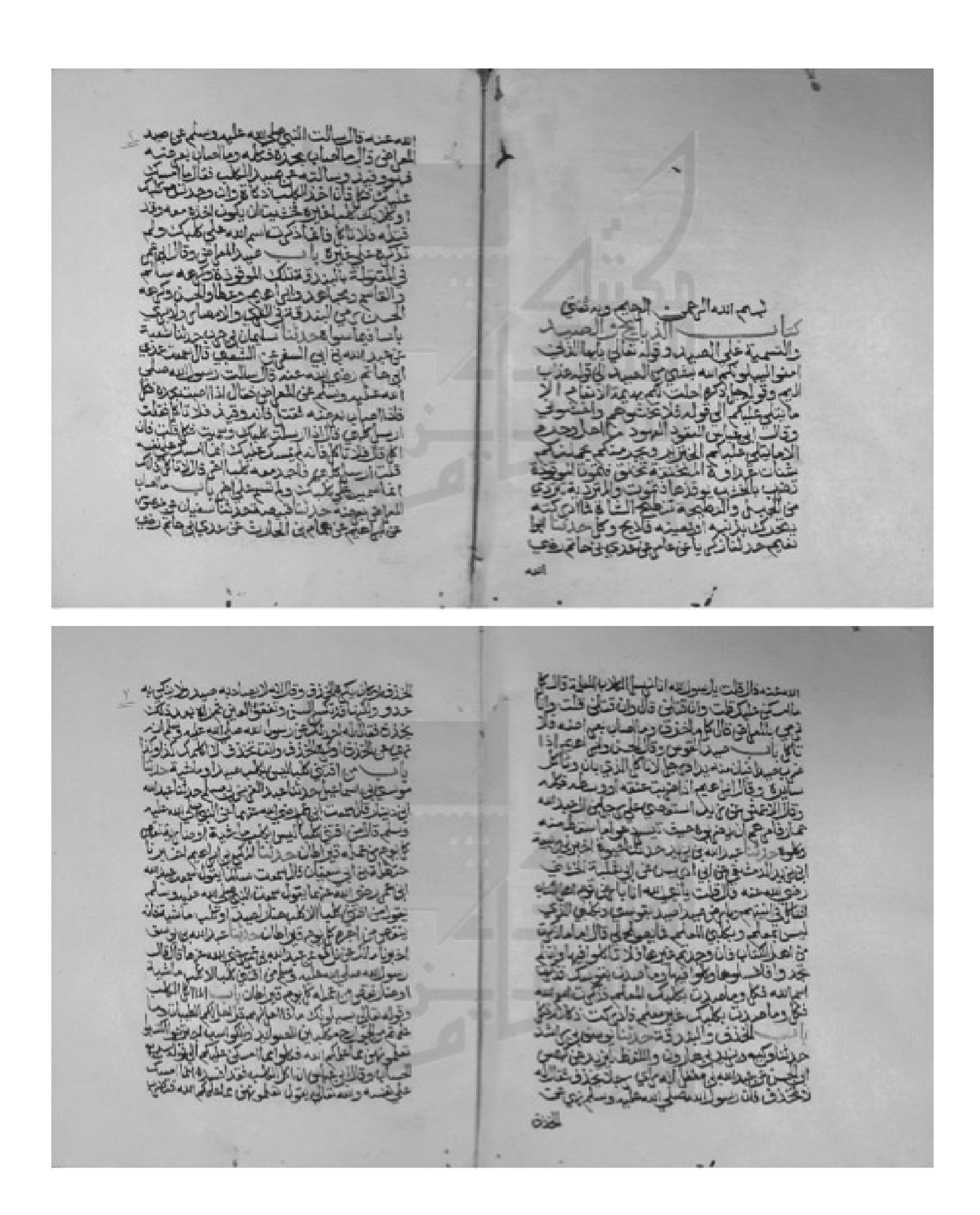
باب مناقب الأنصار وقول الله تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾
نهاية المخطوط:

... باب قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾ وإن أعمال بني آدم وقولهم يوزن وقال مجاهد القسط من العدل بالرومية... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)..
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/

541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان

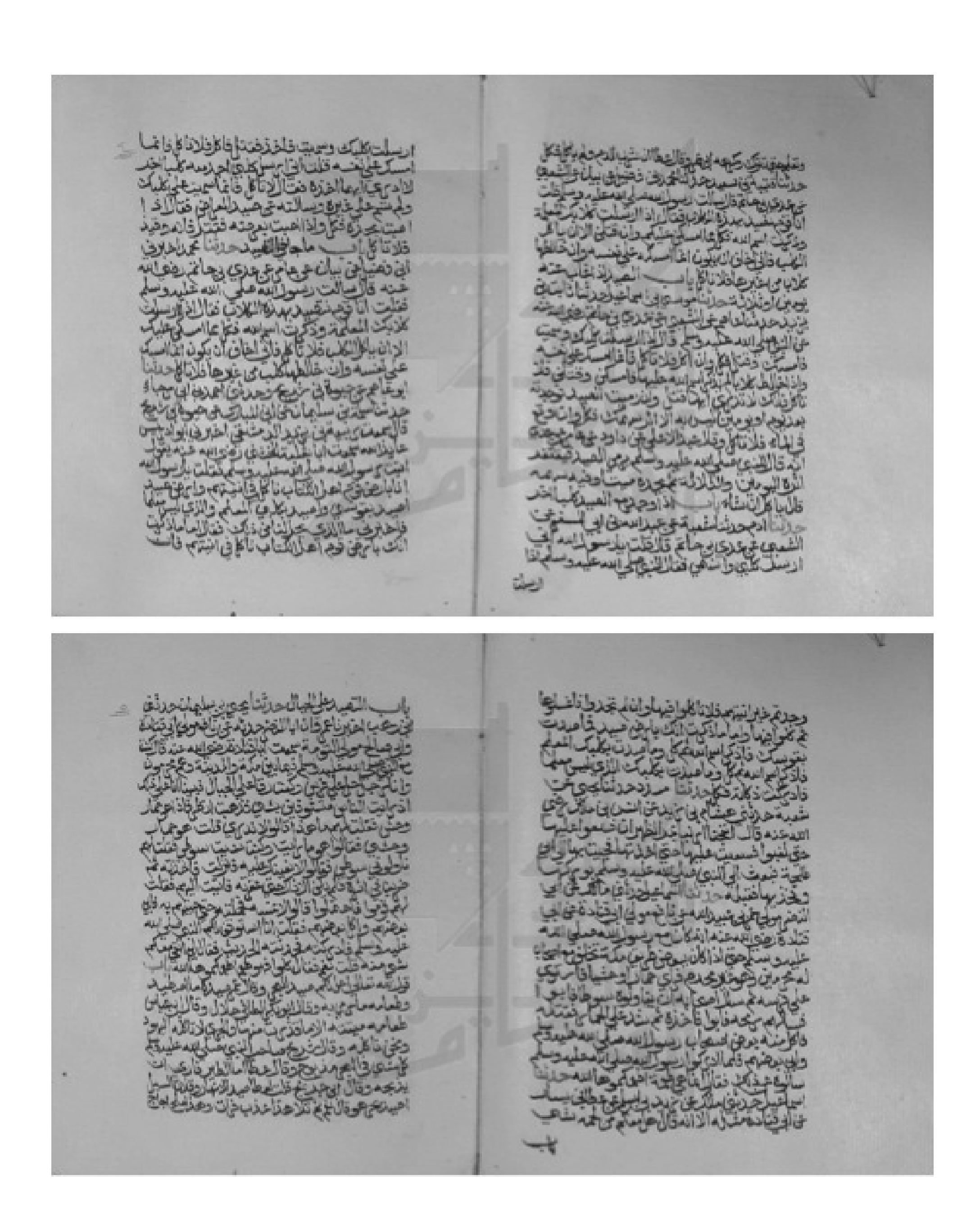
» **رقم الحفظ:** 1943

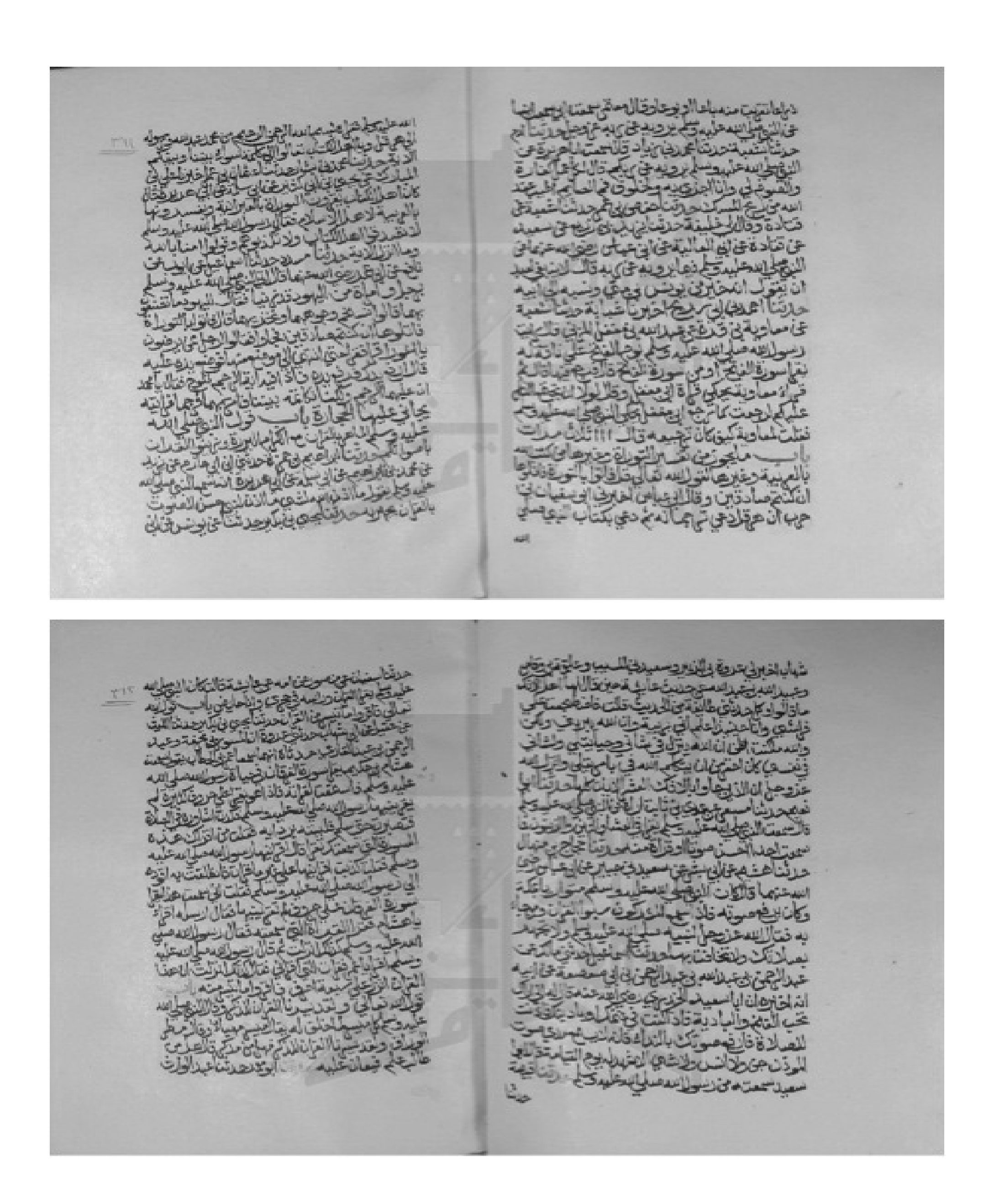


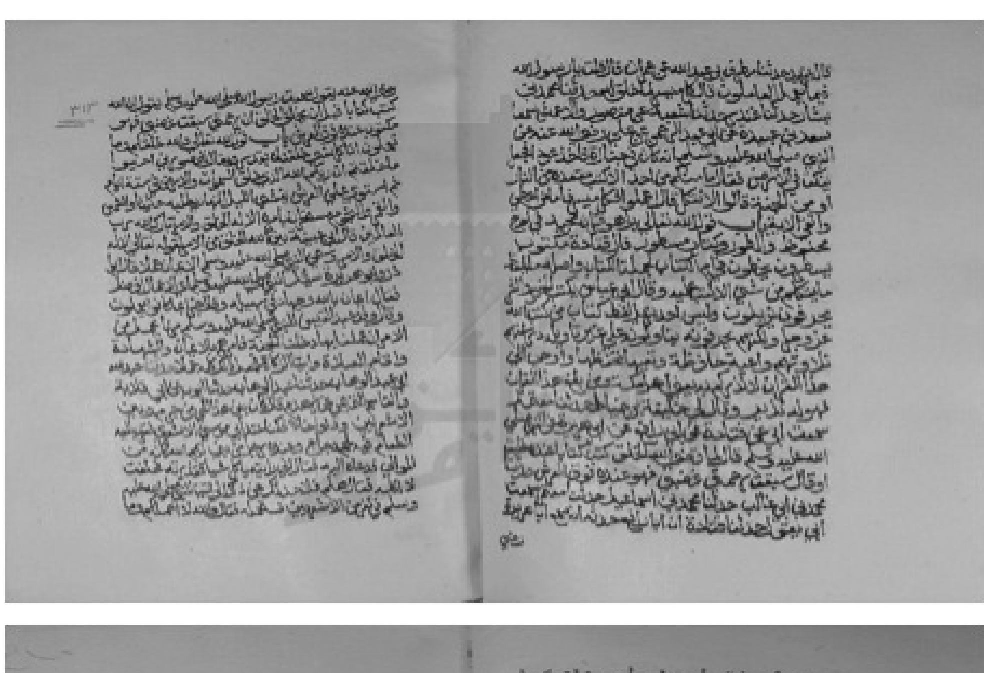


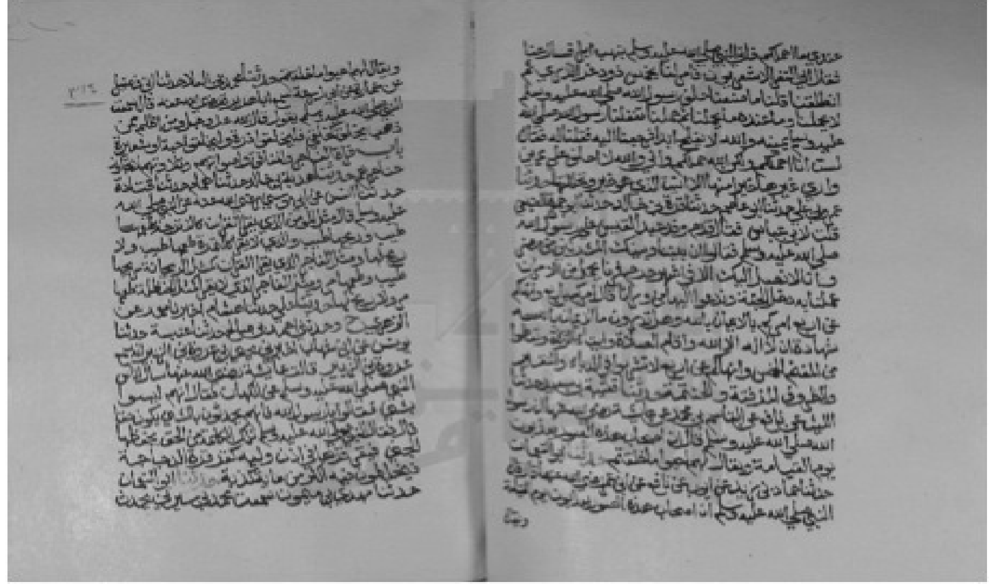
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

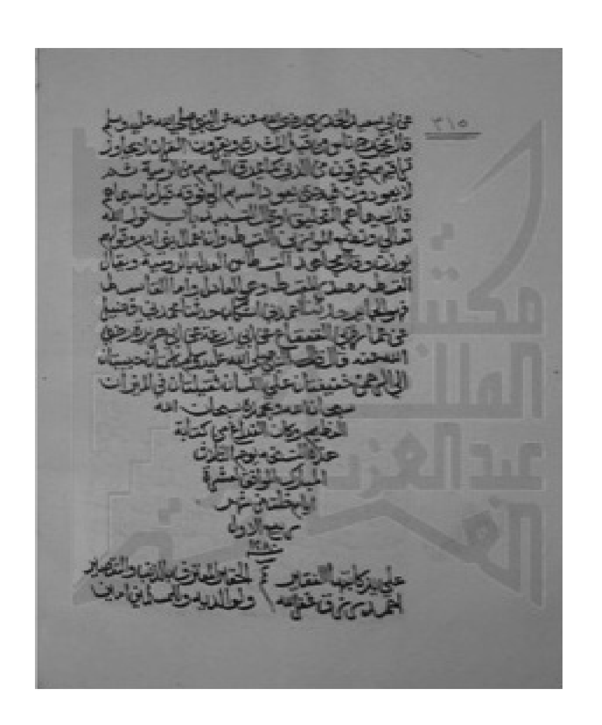
كتاب الذبائح والصيد











الفن: الحديث
العنوان: الجامع الصحيح ج4
عنوان آخر: صحيح البخاري
المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي
تاريخ وفاته: 256هـ / 870 م
شهرته: البخاري
لغة المخطوط: عربي
اسم الناسخ: أحمد رزق
تاريخ النسخ: 1280هـ / 1863 م

نوع الخط: نسخ
عدد الأوراق: 314
المقاس: 22 × 15سم
عدد الأسطر: 21س
بداية المخطوط:

الذبائح والصيد والتسمية على الصيد وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ إلى قوله ﴿عذاب أليم﴾
نهاية المخطوط:

... باب قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾ وإن أعمال بني آدم وقولهم يوزن وقال مجاهد القسط من العدل بالرومية... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)..
المراجع:
مداخل المؤلفين / 50 ؛ الإعلام 6/ 34 ؛ معجم المؤلفين 9/ 52 ؛ كشف الظنون 1/ 541 ؛ هدية العارفين 2/ 16 ؛ الأزهرية 1/ 439 ؛ الورد 1146 ؛ كوبريلي 1/ 181
بيانات الطبع والنشر:
معجم المطبوعات 1/ 535
بيانات أخرى:
كتب النص بالمداد الأسود وعناوين الأبواب والفصول وكلمة حدثنا بالأحمر، مصححة، مجلدة بالجلد الطبيعي المزخرف بزخارف هندسية ونباتية بالضغط، عليها آثار أرضة ولها لسان».انتهى

إذن بعـد تقديمنا لهذا العرض المفصل لمؤرشف مكتبـة الملك عبد العزيز العامة في بيان بالنسـخ الأصلية للجامع الصحيح للبخاري، المحفوظة بمكتبة الملك عبد العزيـز العامة بالرياض، يتأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك، أن هناك تغليط للرأي العام عندما يدعي المؤرشف أن هاته هي النسخ الأصلية لصحيح البخاري، لأنها كلهـا نسخ تبعد عـن التاريخ المعروف لكتابـة صحيح البخاري بمئـات السنين، فكيف إذن يقوم المؤرشف بوصفها بأنها نسخ أصلية لصحيح البخاري، فالنسخة الأصليـة لكتـاب ما هي المخطوطة التي كتبها المؤلف بخـط يده، باعتبار أن ذلك العصر الذي ألف فيه الصحيح، كانت الوسيلة الوحيدة للكتابة هي الخط اليدوي علـى رقعة ما، لكن المؤرشف يصف هاته النسخ التي تبعد بمئات السنين عن وفاة الشيـخ محمد بن اسماعيل البخـاري بأنها نسخ أصلية، رغم أن العديد من هاته المخطوطـات نساخها مجهولـون، والبعض منها يتم فيه تقديـر سنة كتابتها، أو تقدير من قام بخطها، وأغلبها مخطوطات مجزأة من الكتاب، وليست مخطوطات للجامع الصحيح برمته كاملة مكتملة، كما تلاحظون.

إذن لا وجود لنسخة أصلية لصحيح البخاري بخط «مؤلفه»، لا يوجد في جميع مكتبات العالم نسخة مخطوطة بخط من ألف هذا الكتاب، وهاته هي الحقيقة التي يحـاول الشيـوخ إخفاءها عن الناس، ويوهمونهم بأن هاتـه هي النسخ الأصلية لصحيح البخاري، في حين أن هاته نسخ مخطوطة بيد نساخ، ولا نعرف حقا عن أي أصـل آخر تم نسخها، وسنقف على هذا الأمر لنوضحه أيضا في ما تبقى من هذا الكتاب.

ورب سائـل يسـأل، أو معترض يعترض، ليقول إن ما حاولـت نقله إليكم من هاتـه المخطوطات ليس إلا في مكتبـة واحدة من مكتبات العالم الإسلامي الممتد الأطراف، ولربما تكون هناك مخطوطة بخط يد الشيخ البخاري للجامع الصحيح، في إحـدى هاته المكتبات، والرد علـى هذا سآخذه من المؤرشف إبراهيم اليحيى الذي عرض لنا هاته المخطوطات، حيث أكد أن مكتبة الملك عبد العزيز لها اِتصال

وتعامل مع كل مكتبات العالم، ومنها مكتبة الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، وكل مكتبـات العالم الإسلامـي، وستلاحظون أن النســخ المعروضة من خلال عرض مؤرشــف مكتبة الرياض لصحيح البخاري تتقدمهــا النسخ المجلوبة من المغرب بالخــط المغربي الأصيل، وبهذا يتضح جليا أنــه لو كان في إحدى مكتبات العالم مخطوطة واحدة لصحيح البخاري بخط الشيخ البخاري لوجدنا نسخة عنها في هاتــه المكتبة، وهذا ما سنجده مستدلا عليــه في البحث الشائق الرائق الذي قام بــه الباحث العراقي الدكتور كوركيس عواد، بعنــوان: «أقدم المخطوطات العربية في مكتبــات العــالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة 500 هـ = 1106 م» من منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية لسنة 1982.

حيث قــام الدكتور كوركيس عــواد بجرد عام للمخطوطــات العربية الموجودة في جميــع مكتبــات العالم، والغريب أنه ومن خلال هــذا البحث القيم، نجد أنه لا وجــود لأي مخطوطة لأي كتاب عربي خــلال القرون الثلاثة الأولى الهجرية إلا مخطوطــات القرآن الكريم وكتاب لسبويه، حيث يوجد فى صفحة (112) من هذا الكتاب تحت رقم مسلســل:[303] بيانات عن مخطوط:الجامع الصحيح، المشهور بــ:» صحيح البخارى»: تأليف: الإمام محمد بــن إسماعيل البخاري، المولود عام 194هـ-والمتوفى عام 256هـ=870م. الجزء الثالث من تجزئة أربعة أجزاء من الكتاب، فــى مدينة صوفية، تاريخه:407هــ =1016م، فى (109) ورقات برقم[op.801] وهو رمــز إلى القسم الشرقى فــى دار الكتب الشعبية وهما حرفــان باللغة البلغارية السلافيــة، ويقابلها بالكتابــة اللاتينيــة [OR.راجع:د.عدنــان درويش: فهرس المخطوطــات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية (كيريل وميتودى) بصوفية فى بلغاريا [دمشق1969]ص209،تسلسل 27/حديث.ا.هـ].

إذن مــن خلال هذا النقل فأول مخطوطة تاريخيــة لصحيح البخاري تعود إلى سنــة 407 هجرية، أي بعــد وفاة محمد بن إسماعيلٍ البخــاري ب 151 سنة، ولا تمثــل كتاب الجامع الصحيح برمته بــل جزءا يسيراً منه، وهذه مسافة زمنية كبيرة

تفصــل هاتــه المخطوطة عن وفاة البخاري، أي لأكثر مــن ثلاثة أجيال، حيث لا يوجــد ولم يبق على قيد الحياة أي شخص التقــى بالبخاري، أو حتى عاصره مما يطرح السؤال المحــرج، حول ما الذي يثبت علاقة البخاري بهذا الكتاب؟ وأقدم مخطوطــة لجزء جد بسيط من صحيح البخاري يبعد تاريخ نسخها بقرن ونصف عن وفاة البخاري؟.

لم يقــف هذا البحــث القيم لكوركيس عــواد عند هذا الحد ففــي صفحة(113) مــن نفس الكتاب نجــد تحت رقم مسلســل: [304] بيانات عــن مخطوط: الجامع الصحيــح: للبخاري، الجــزء الثانى من نسخــة فى مكتبة برلــين، ب رقم 1156، تاريخه 424هـ=1033م. ا.هـ.

أيضا من خلال هاته المخطوطة سنعرف أن تاريخ نسخها يعود إلى 424 هجرية، أي بعــد وفاة الشيخ محمد بــن اسماعيل البخاري ب 168 سنة، وهاته المخطوطة لاتشمــل صحيــح البخاري برمته، بل هــي أيضا جزء يسير منــه، وبالتالي فهي تبعــد بمسافــة زمنية حرجة عن تاريــخ وفاة البخاري، ووفــاة كل تلامذته أيضا، مما يجعلنا نستغرب حقــا، سيما أن الشيوخ والفقهاء يتحدثون بثقة تامة على أن صحيــح البخــاري الذي بين أيدينا هو للشيخ محمد بــن إسماعيل البخاري، في حــين أن لا دليل قوي لدى هؤلاء علــى ذلك، بل الشواهد والأدلة التي بين أيدينا الآن، ونقدمهــا لك أيها القــارئ من خلال كتابنا هذا، تعاكس ما يتبجح به هؤلاء الشيوخ، وهم لا يعلمون شيئا عن هاته المخوطات.

ويوجد فى صفحة (113) من كتاب الدكتور كوركيس عواد، تحت رقم مسلسل: [305] بيانــات عن مخطوط: الجامع الصحيح: للبخــارى، نسخة فى دار الكتب، عليهــا سمــاع تاريخه[495هــ=1102م]. وقــد نشــر موريتز نموذجا مــن خطها. (MORITZ،PL،128). ا.هـ.

أمــا هاته المخطوطة وهــي التي تمثل نسخة عن صحيح البخــاري برمته، لكنها توجــد في أواخر القــرن الخامس الهجري أي بعد وفــاة الشيخ البخاري بحوالي

239 سنــة، وهاته مسافة كبــيرة جدا تفوق الستة أجيال، ومــع ذلك ما زال لدينا مــن يتحدث بثقة صارمة على أن صحيح البخاري هو من جمع وتأليف وتصنيف محمد بن إسماعيل البخاري، وهذا أمر أضحى من اليقينيات التي لا تقبل الجدل، في حين لا توجد في العالم أجمع نسخة لصحيح البخاري، بخط الإمام البخاري، أو بخــط أحد تلامذته، حتى إذا تساهلنا، وقلنا بضياع النسخة التي ألفها الشيخ البخــاري، وخطها بيده، فكتــب التراث كما في مقدمة كتــاب الفتح للحافظ بن حجــر العسقلاني، تقول أنه أخذ صحيــح البخاري عن الشيخ البخاري أزيد من سبعــين ألف تلميذ، أي أن هؤلاء خلفــوا لنا سبعين ألف نسخة لصحيح البخاري، غــير أن الحقيقة المرة، التي لا يعرفها مقدسو هذا الكتاب هي أنه لا توجد نسخة واحــدة في العالم أجمع من سبعين ألف نسخــة مفترضة لصحيح البخاري بخط هؤلاء التلاميذ السبعين ألفا، مما يجعلنا نتساءل بحرقة وبشك هو أقرب إلى اليقين، من ألف صحيح البخاري حقا؟ وهل يمكن أن ننسب كتابا لشخص ما وليس هناك أي أثر يدل على علاقته من قريب أو بعيد بهذا الكتاب؟.

وللإشــارة فقط فمــا قلناه حول مخطوطات صحيح البخــاري ينطبق على كل كتب الحديث بلا استثناء، ونحن اتخذنا صحيح البخاري نموذجا فقط لباقي هاته الكتب المسماة كتب الحديث.

نسخة منجانا:

كنت كتبت قبل خمس سنوات مقالا بعنوان «هل صحيح البخاري ألفه الشيخ البخاري؟» تحدثت فيه عن عدم وجود أية مخطوطة لصحيح البخاري بخط الشيخ البخاري أو بخط أحد تلامذته أو أحد تلامذة تلامذته، فانبرى العديد ممن تثيرهم الحماسة للرد علي، فبعد أن أشبعوني شتما وسبا، واتهموني في عقيدتي وإيماني، بعد هذا كله اعترفوا بأنني صادق في قولي أنه لاتوجد نسخة لصحيح البخاري بخطه أو بخط أحد تلامذته، لكنهم قالوا بأن هذا لا يمنع أن يكون صحيح البخاري هو من تأليف البخاري!!

تعجبت حقا من تكلس هاته العقول وتحجرها، وحاولت أن أناقش كلامهم جاهدا، وأنا أقلب أوجه الكلام، عسى أن يحدث تواصل بيننا، لكن العديد من هؤلاء الشيوخ حاول التغني بوجود مخطوطة عجائبية لصحيح البخاري اكتشفها المستشرق الإنجليزي «منجانا»، وهي برواية المروزي حسب ما يدعي مؤيدو هاته النسخة، وأنها تعد أقدم نسخة مخوطة لصحيح البخاري، حيث يؤكدون أنها كتبت سنة 370 هجرية، أي سنة قبل وفاة المروزي المتوفى سنة 371 هجرية، أي أنها كتبت بعد وفاة الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري ب 114 سنة، وأنا أكاد أكون متأكدا، من أن هؤلاء لا يعرفون شيئا عن نسخة المستشرق منجانا برواية المروزي، لأنهم لو بحثوا حقا في هاته النسخة، لوقفوا على أمور لا تخدم حقا ما يحاولون إثباته، بل هي تخدم عكس ما يطمحون إليه، وما يحاولون الاحتجاج له، والإستدلال عليه، ونحن من خلال هذه الفقرة سنحاول أن نساعدهم على معرفة الحقيقة المتعلقة بنسخة «منجانا».

عندما جاء المستشرق الإنجليزي منجانا بهاته المخطوطة فقد كان يهدف بالأساس إلى الطعن في صحيح البخاري، ويمكن لكل من يريد أن يتأكد من ذلك أن يرجع إلى البحث المقدم من طرف الدكتور أحمد بن فارس السلوم وهو

شيخ سلفي وهابي، في الرد على الطعون التي قدمها منجانا اعتمادا على نسخته المشهورة، والتي يعتبرها أنصار صحيـح البخاري أقدم نسخة مخطوطة للجامع الصحيـح، ويفتخرون بهـا، وقد عنون الدكتـور أحمد بن فارس السلوم بحثه بعنوان:» رسالة في الرد على شبه منجانا حول صحيح البخاري» وقد صدر بحثة المنشور على المدونة الشخصية له بهذه الفقرة»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

حضرة الأخ المكرم: أحمد نافع، نفع الله به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقـد وصلتني رسالتـك المتضمنة بعضـ شبه المستشرق منجانـا الطاعنة في صحيـح البخاري، وطلبتم الجواب عليها، وقد تلكأتُ قليلاً في الجواب لانشغالي ببعضـ الأعمال، إلا أني لم أجد بداً مـن الإستجابة لطلبكم، نصحاً لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم، وذباً عن الجامع الصحيح للإمام البخاري.. ولما ذكرتم مـن رغبتكم ترجمـةَ ما نكتب إلى اللغة الإنجليزية، فلعلـه يطلع عليه طالب حق فيهتدي، أو مبتغي نَصَف فيسترشد».

إذن هـذا شيخ من شيوخ الوهابية يؤكد تأكيـدا جازما أن مكتشف أقدم نسخة من صحيح البخاري في العالم أجمع قد جاء بها مكتشفها «منجانا» ليطعن أصلا في صحيـح البخاري، فالدراسـة التي صاحبت هاته النسخـة، كانت ترمي إلى الطعـن في صحيح البخاري الذي بـين أيدينا، لكن من يتلقف أي شيء ليدعم به تقديسه لكتاب الجامع الصحيح، ويسميه دليلا، لا يتحقق مما يقدمه من أدلة وهل تخدمه أم تخدم عكس ما يرمي إليه ويهدف؟

ويضيـف أحمد بن فارس السلوم في مستهل رسالته في الرد على شبه منجانا بقوله: «هذا وقد وقفتُ على دراسة منجانا ونُسْخَته تلك منذ زمن طويل، على يد أخينـا الشيخ المفضال أبي أحمد نظام يعقوبـي البحريني، وفقه الله، فإنه زودني

بمصورة من نسخة منجانا من الصحيح وبدراسته عليه، كي أفيد منها في دراساتي عن الصحيح، حيث كنت أشتغل بالمختصر النصيح آنذاك.

وقبــل أن أستعرض مــا أورده منجانا أنبه على أمر غفل عنه بعض الباحثين ممن تصدى للرد على المستشرقين وتفنيد شبههم، ألا وهو:

إنَّ عامة من ألف أو بحث في شبه المستشرقين فإنه يتناول شبههم شبهةً شُبهة بالتفنيد والإبطال، وهذا أمر حسن، إلا أنَّ الأحسن منه أن يبين منهج المستشرقين الذي يبنون عليه شبههم، ويقدحون منه أباطيلهم، فإذا أبطلنا هذا المنهج وبيَّنَا زيفه وبهرجه أبطلنا ما بُني عليه من شبه واهية، بُنيت على شفا جرف هار من منهج علمي زائف، وكشفنا حقدهم وحسدهم الذي أخبرنا به الباري سبحانه وتعالى في غير آية، كقوله تعالى ﴿حسداً من عند أنفسهم﴾ وأكده النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث.

وسأشير لك – أخي المكرم-إلى هذا المنهج الذي تبنوه، والسراب الذي اقتفوه في إيراد أباطيلهم، وترويج شبههم، ثم أورد الحق على شبه منجانا بالتفصيل شبهة شبهة لندمغها به، ونزهق باطلها فـ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾»..

الملاحــظ هنا أن أحمد بــن فارس السلوم غاضب جدا مــن منجانا ومخطوطة البخاري، حيث قام بإضافة النسخة إلى منجانا بتعبير يبرز أنه رافض رفضا باتا هاته النسخة والدراسة المرافقة لها، فهو يعتبر أن ما جاء به منجانا مجرد أباطيل وحقد وحسد تندرج في إطار منهج المستشرقين المزيف.

في الوقــت الذي يحاول من يرد علــي في مسألة أنه لا توجد أي آثار تدل على أن الشيخ البخاري له أي ارتباط أو علاقة بكتاب صحيح البخاري المنسوب إليه كما هو بيدنا الآن، في هذا الوقت بالذات نجد باحثا عارفا بحقائق الأمور المتعلقة بنسخــة منجانا برواية المروزي لصحيح البخاري يواجــه هاته النسخة، ويواجه الطعــون المقدمة من صاحبها، ضد صحيح البخاري، وهذا يدل دلالة قطعية على أن هؤلاء لا يعرفون شيئا عن هاته النسخة ويتبجحون بالافتخار والاستدلال بها.

الدكتــور أحمد بــن فارس السلوم يــورد فقرات من كلام منجانــا في دراسته المقدمــة لنسخته المشهــورة، والتي قدم لها الدكتور بوصفهــا بالشبهة الأولى ما نصــه: «نص كلام منجانا» كل حديث سواء كان طويــلًا أوقصيرًا مبدوء بعبارة: «أخبرنــا البخاري قــال حدثنا فلان «وفي أي كتاب آخر ســوف يستنتج القارئ مباشــرًة مــن هذه الكلمات المبدوء بهــا كل حديث أنه لم يكــن المؤلف نفسه هو الذي كتب الكتاب بل هو أحد تلاميذه، ويؤكد هذا الافتراض أنه في بداية كتاب الصوم يذكر في صفحة 26 ب أسماء الرواة أو المحدثين الذين أخبروا كاتب هذه المخطوطــة كأبي زيد محمد بن أحمد المــروزي ومحمد بن يوسف الفربري، وهذا الافتراض يتعذر الدفاع عنــه لمن يهتم ببحث هذه المخطوطة بعناية، ففى الواقع، كاتــب هذه المخطوطة لا يقول «أجازنى شيخي المــروزي المجاز من الفربري، أنِ أكتــب نص البخاري على طريقة كذا وكذا، ولكنه ببساطة يقدم لنا النص كاملاً مبدوءًا بعبارة: حدثنا المروزي الذي حدثه الفربري أن البخاري حدث فلان... ولا تتنــاول المعلومات المنقولة شفهيا بهــذه الطريقة سوى ذكر الحقيقة التاريخية، أن البخاري تلفظ بهذه العبارة كما هو مذكور فى المخطوطة» أهـ.

منجانــا هنا يحاول تقــديم الدليل من الأسانيد الــواردة في النسخ مما يثبت أن صحيــح البخاري لا وجــود لنسخة أصلية لــه بخط الشيخ البخــاري، وهذا ما استنتجه منجانا أيضا من خلال نسخته التي يشيد بها هؤلاء المدافعين عن فكرة أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو نفسه الذي ألفه البخاري كما يحاول أن يناقشــ إسناد نسخته، فالقول ب: حدثنا فلان أن فلانا قال، لا تعني بأي حال مــن الأحوال أن هناك إجازة من الراوي لمــن يروي عنه بنسخ النص أو الكتاب، بــل هي روايات تاريخية «قد تكون صحيحة وقد تكــون غير صحيحة» على أن البخاري قال هذا الكلام.

ثم إن منجانــا أيضا يناقش بداية كل إسناد حديث بعبارة حدثنا البخاري عن غــيره، فهل يعقل أن يكون البخاري مؤلف هذا الكلام؟ البداهة تقتضي أن يكون

مؤلف الكتاب هو أحد التلاميذ وليس البخاري نفسه وإلا بدأت العبارة بحدثنا فلان، ولن تجد اسم البخاري ضمن سند كل حديث.

ويوضح منجانا من خلال دراسته لمخطوطته الشهيرة باسمه أن مخطوطته تلك تختلف عن باقي مخطوطات صحيح البخاري الموجودة لدينا وذلك بقوله: «ميزة تميزت بها هذه المخطوطة عن غيرها: وتنعكس أيضا الاختلافات التي تميز نص هذه المخطوطة مقارنة بما هو موجود في المخطوطات الأخرى في النصوص المطبوعة في الصياغات لصحيح البخاري التي تظهر كمًّا كبيرًا من الاختلافات في الألفاظ، وسوف أستشهد بنص باب من أبواب صحيح البخاري من كتاب الحج، كما في نقل صحيح البخاري ومذكور في النسخة الموثقة والمشكّلة التي طبعت في القاهرة عام 1345 هـ جانبًا إلى جانب، مع نفس الباب كما هو مذكور في مخطوطتنا، وميزة رابعة ظهرت في هذه المخطوطة وهى أن الكتب تختلف عن الترتيب الموجود فى المخطوطات الأخرى والمطبوع...إلخ».

إذن لهؤلاء الذين يتغنون بمخطوطة منجانا لصحيح البخاري، هاهو منجانا يصدمهم بالحقيقة المرة، وهي أن أقدم مخطوطة لصحيح البخاري في العالم تختلف عن باقي مخطوطات الصحيح، فأي المخطوطات نصدق على أساس أنها هي من ألف محمد بن إسماعيل البخاري، وهنا يجد الشيوخ أنفسهم في ورطة، حيث يحاولون الاستدلال بمخطوطة لا تخدم أهدافهم وأغراضهم، بل تعاكس هاته الأهداف والأغراض.

وحتى الدكتور السلفي أحمد بن فارس السلوم، وهو يحاول الرد على ما أسماه شُبه منجانا لم يستطع تكذيب هذا الكلام بل أقره، وحاول تبريره بكلام ركيك غريب وذلك بقوله: «أقول: نعم، هناك اختلاف بين روايات ونسخ صحيح البخاري، سببه ما ذكرته، من أن البخاري كان يحدث به في أماكن كثيرة، وليس كل الرواة سمعوه في مجلس واحد، بل يختلف التاريخ والمكان والظروف التي سمع منها رواة الصحيح من البخاري، وما يقال عن رواة الصحيح عن البخاري

يقال عن رواتهم».

وكأنــه يحــاول أن يقول بأن البخــاري، كان في كل مجلــس يحدث بصحيحه علــى شاكلة وعلى طريقة تغاير الأخرى، فالاختــلاف وارد من الأصل، يعني أن الشيــخ البخاري لم يكن يقرأ من كتاب بــل كان يسرد صحيحه مشافهة، وكان يقدم ويؤخر، بشكل مغاير في مجلس عن سابقه، وهذا الكلام فيه خبء معناه أنه ليست لنا عقول، فالكل يعرف أن البخاري –حسب الروايات المنقولة إلينا- ألف كتابا وخط مخطوطة، وسماها «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللــه صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامــه» وشهرتها الجامع الصحيح أو صحيح البخــاري، فلا معنى للحديــث عن اختلاف الرواية باختــلاف مجلس التحديث، وسنتكلــم عن اختلاف النسخ بشــكل تفصيلي في المسألة المتعلقة بذلك من هذا الفصل.

ويؤكــد منجانا على أن شــراح صحيح البخاري كلهــم لم تتوفر لديهم نسخة أصلية وأصيلة لصحيح البخاري، بل لم تتوفر لديهم حتى نسخة من نسخ التلاميذ وذلك بقوله: «وقد اطلعتُ على النصوص المطبوعة لهذه الشروح وفوجئت بأنهم لم يكن لديهم النصوص القديمة للصحيح، سوى ما أعده السمعاني وابن عساكر والصغاني واليونيني، ومن المعلوم أنهم غالبًا ما يشيرون إلى الفربري والكشميهني ورواة قدامــى آخرين، ولكنهم لم يتوفر لديهم نصٌّ مكتوبٌ بأيديهم، ويبدو أنهم تعلموا هذه النصوص فقط على الطريقة التقليدية ومن أعمال محدثين متأخرين مثل أبي ذر وأبي الوقت وغيرهم.

ومــن بين ال 27 شارحًا الذين ذكرهم بروكلمان يحــدد تاريخ وفياتهم جميعًا- باستثنــاء واحدًا منهم-بعد عام 559 هـ، وهــى الفترة التي قد استقر خلالها نص البخاري في شكله النهائي تقريبًا على يد أفضل الرواة المحققين الأوائل للنص: وهمــا أبــو ذر وأبــو الوقت، ولذلك يعتــبر عملهم من ناحية النقــل القديم لنص البخاري ليس له قيمة كبيرة.» أهـ.

فكل متمعــن في هذا الكلام يرى كيف حاول منجانا من خلال دراسته أن يبرز أن صحيــح البخــاري كان تأليفه تدريجيا وعبر العصــور، فكل شيخ من شيوخ الحديث الذين تعاملوا مع هذا الكتاب زادو فيه أو نقصوا ليستقر بشكله النهائي -حسب منجانا- خلال أواسط القــرن السادس الهجري، أي بعد مرور أزيد من 300 سنة على وفاة البخاري.

ويؤكــد كلامــه بتقديم مجموعة من الأدلــة المتعلقة بتلامذته ونذكــر منها قوله: "ولكــن على حد علمــي ليس هناك أي لفظ يشير إلى وجود وثيقة مكتوبة بخط يــد هذا الراوي...وثمة نقطة هامة أخرى ينبغي الانتباه لها هنا وهي أنه كان هناك العديــد من الأقــوال الشفهية للفربري، الذي كان قــد رأى البخاري وسمع منه، تلقاهــا كل من تلاميذه المروزي والكشميهنــي وانتقل عن طريقهم إما مكتوبًا أو شفهيًا إلى المحدثين ممن بعدهم وقد لفتنا الانتباه إلى ثلاثة روايات شفهية اثنتان من النص المطبوع وواحدة من المخطوطة الحالية..ثم قام رواة متأخرون بدمجٍ هذه الأقوال الشفهية للفربري داخل نص الصحيح نفسه وبهذا بات يحوي كثيراً من الألفــاظ التي لم تنشأ عن البخاري نفسه، بعض هذه الألفاظ يحتمل أنها كتبت بواسطة بعض الرواة القدامى على الملاحظات الهامشية في النص والتي يحتمل أنها تجسدت مؤخرا في نص الصحيح عن طريق رواة متأخرين كثر مثل أبي ذر وأبــي الوقت، وبخصوص المخطوطة التي نحن بصددها يشير الكاتب إلى أقوال شفهيةٍ للفربري على أنها أقوال مأثورة طارئة على نص البخاري ومع ذلك تُدمج كثــيراً من المخطوطات الحديثة أقوال الفربري علــى أنها جزء من نص البخاري (الأصلــي) تحــت كنية الفربري (أبو عبــد الله) بدون تفسير لذلــك، وربما لم يكن النســاخ علــى دراية بأيهما كان هو أبو عبد الله، ويحتمــل أنه كان أحد المصادر الشفويــة للبخاري نفسه وترك الأمر إلى المحققين النقاد والشراح للصحيح مثل السمعاني وبالأخص العسقلاني لإتمــام عملية التميز في نصوصهم بين الألفاظ الأصليــة التي هي من البخــاري وبين الإقحامات المزيفة التــي أدخلت فيه على

شكل تعليقات شفوية للرواة الأوائل" أهـ.

هاتــه الزيادات لم ينكرها الدكتور محمد بــن فارس السلوم في معرض تفنيده لشبهات منجانا بل حاول جاهداً أن يهون من أمرها معترفا بوجودها وذلك بقوله: «هــذه الزيــادات قليلة جداً، وعامتها في تعيين مهمــل، أو رواية كلمة سمعها من البخاري خارجة عن الحديث».

وبعد هذا نطرح السؤال المجهري هنا، حول ما إذا كانت هاته النسخة التي جاء بها منجانا هي فعلا للمروزي تلميذ الفربري وصاحب الحلم الشهير الذي أوردناه في فصــل أسطورة البخــاري، حينما رأى الرسول في المنام وطلب منه أن يدرس كتابــه ولما سأله عن كتابه أخبره الرسول في المنام، أن كتابه هو صحيح البخاري، إذن مــا هي الأدلــة المتبعة لمعرفة من هو صاحب هاتــه النسخة؟ يجيبنا على هذا الســؤال الشيخ الدكتور أحمد بن فارس السلوم أيضا في دراسة لنسخة منجانا هاته نشرها على موقع أهل الحديث يقول في مقتطف منها: «لم يتضح لي من هو كاتب النسخة، ولا يوجد في النسخة ما يدل عليه، إلا أنه متقن للغاية، فقد قابلها وراجعها، كما تدل على ذلك التصحيحات على هامش النسخة، والعلامات الدالة على بلوغ المقابلة.

ولم أستطع كذلك تحديد تاريخ نسخها إلا أن السماعات والأسانيد المثبتة على طــرة النسخة، والتملــكات في أولها قد دلت على الحقبة التــي تلي كتابتها، كما ستراه قريبــا، وبشكل عام فإن الخط أشبه ما يكون بخطــوط القرن الرابع، والله تعالى أعلم» انتهى.

إذن فالشيخ السلفي احمد بن فارس السلوم يؤكد تأكيدا تاما واضحا لا لبس فيــه على أن نسخــة منجانا هاته ليس عليها اسم من قــام بنسخها، وليس هناك في هاتــه النسخــة ما يدل عليه، فلماذا يشبعنا هؤلاء كلامــا انشائيا حول نسخة منجانــا برواية المروزي؟ في حين أن ناسخها غير موجــود عليها، وليس هناك ما يدل عليه، بل يتضح أنه حتى تاريخ نسخ هاته المخطوطة غير موجود عليها وغير

معـروف، فكيف تعرف هؤلاء على أنهـا للمروزي أو بروايته؟ وكيف حددوا تاريخ المخطوطـة؟ هل اعتمدوا على الوسائل العلمية الكيميائية في التعرف على تاريخ المخطوطـات؟ لا، أبداً فقد اعتمدوا التخمين فقـط، واعتمدوا على الظن الذي لا يغنـي عن الحق شيئا، وفي هذا يقول الشيخ أحمـد بن فارس السلوم وهو يدافع عن نسخة منجانـا لصحيح البخاري، وأرجو أن ينظر الجميع طريقته الرقيقة في فضـح نفسـه وفضح كل من يتبجح بهاتـه المخطوطة: «وأما مـا ورد في دراسة منجانـا وتبعه سزكين وغيره من تحديد تاريخ كتابتها سنة 370هـ فهذا لم أجد في النسخـة ما يدل عليه، وقد استنتجـه منجانا استنتاجا كما يظهر من دراسته ولم يجـده نصًا، حيث جعله قبل تاريخ وفـاة أبي زيد بسنة واحدة، فإن أبا زيد توفي سنـة 371هـ، فافترض أن النسخة مكتوبـة في زمانه لأجل التصريح باسمه فيها فجعله قبيل وفاته بسنة.

ولكـن قـدم الخـط أولا، وسـوق الإسنـاد من أبـي زيـد ثانيا قد يـدل على هـذا التاريـخ، وعلـى أن النسخـة كتبـت في حيـاة أبـي زيـد أو علـى الأقل في حيـاة راو عـن أبـي زيـد، والأول أرجـح لأن النسخـة لو كانت لـراو عنه لصـرح باسمـه، مـع أنـه لا يمكننـا الجـزم بشـيء لأن الكتـاب ناقـص، فربما كان في الأوراق الساقطـة مـا يحـدد تاريـخ النسـخ واسم الناسـخ والراوي. إلا أن أقـدم سماع على النسخة مقروء مؤرخ في رمضان من عام 464هـ أي بعد وفاة أبي زيد بنحو 94 سنة» انتهى.

هـل يمكننا أن نضيف على هذا الكلام كلاما آخر؟ فهذا النقل من كلام الدكتور أحمـد بن فارس السلـوم، يوضح لنا بأن نسخة منجانـا ليس هناك ما يدل على تاريخ نسخها، ولا ما يدل على من قام بنسخها، وأنهم اعتمدوا على الظن فقط، للقول بأنها نسخت على عهد المروزي، وأن تحديد تاريخ نسخها هو تخمين فقط، لكن الشيـوخ يوهمون العامة أنها فعلا نسخت سنة قبـل وفاة المروزي أي سنة 370هـ أي بعد وفاة البخاري ب 114 سنة، لكن الحقيقة الماثلة أمامنا، فأقدم سماع

موجود على هاته النسخة هو بعد وفاة المروزي ب 94 سنة، أي بعد وفاة البخاري بأزيد من 200 سنة، ولكم أن تعجبوا من هاته الشقلبات التي تحاول إيهام الناس، بدل قول الحقيقة لهم.

ثم إن هاته المخطوطة التي نتحدث عنها لاتغطي صحيح البخاري بتمامه وكماله، بل تغطي جزءا يسيرا منه حسب ما أكده شيخنا السلفي السلوم بقوله إن هاته النسخة تضم 52 ورقة فقط وهي وريقات يسيرة وقليلة، بل لا تكاد تذكر، بالمقارنة مع صحيح البخاري الذي نتداوله اليوم.

أيضا من الأمور التي لا يعرفها الكثيرون عن نسخة منجانا أنه مثبت عليها إسم غير الذي نعرفه لصحيح البخاري، ولنترك أحمد بن فارس السلوم يقدم لنا شهادة شاهد من أهلها عسى أن يصدقه السلفيون فهو أحد شيوخهم المعتمدين، يقول في نفس الدراسة لنسخة منجانا: «أما هذه النسخة – نسخة أبي زيد – فالموجود منها إثنتان وخمسون ورقة، ثبت في الورقة الأولى ما صورته:

الجزء الثاني من الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه.

تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

واستفدنا اسم الكتاب كاملا، وأنه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وسننه، هكذا ثبت في هذه النسخة.

بينما قال النووي في تهذيب الأسماء: أما اسمه: فسماه مؤلفه البخارى، رحمه الله: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه أهـ»

إذن فهاته المخطوطة الشهيرة بنسخة منجانا هي جزء يسير من صحيح البخاري، ومكتوب عليها اسم آخر غير الاسم الذي نعرفه لصحيح البخاري، والذي يعرفه الشيخ السلوم وكل الفقهاء والمحدثين، لنقف على حقيقة هاته النسخة المضطربة والتي يعتبرها الشيوخ والفقهاء بأنها أقدم نسخة لصحيح

البخاري في العالم أجمع.

أظن بأن هذا القدر يكفي في التعريف بهاته النسخة المنسوبة لأبي زيد المروزي والشهيرة بنسخة منجانا، لنقف على حقائق تؤكد وتسير في اتجاه أن هذا الكتاب لا يتصل اتصالا قاطعا وجازما بمحمد بن إسماعيل البخاري، وسنتحدث في المسألة المتعلقة باختلاف نسخ صحيح البخاري عن هاته النسخة واختلافها عن باقي النسخ الأخرى في هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب.

صحيح البخاري والتلاميذ:

لا يمكــن أن نتحدث عن صحيح البخاري ونسبتــه للشيخ محمد بن إسماعيل البخــاري، بدون أن نتحدث عن همزة الوصل، التي تؤكد نسبة هذا الكتاب لهذا الرجل، وهم التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، فالمشهور المعروف أن الشيخ البخاري كان لــه آلاف التلاميذ الذين أخذوا عنــه صحيح البخاري، لذلك خصصنا هذا الباب مــن هذا الفصل لنقف على مــا أخبرنا به التلاميذ من نقــول وأقوال حول كتاب الجامــع الصحيح، لنعرف هل صحيح البخــاري الذي بين أيدينا الآن هو فعلا من تأليــف هذا الرجل، أو على الأقل، بقي على حالــه كما ألفه البخاري، إن كان قد ألفــه أصلا؟ أم لحقت به تغييرات وزيادات أدخلهــا فيه كتَّاب آخرون حتى تحول إلى ما هو عليه الآن؟.

مقدســو البخاري يتغنــون دائما، حينما يحاولون الرد علــى من ينتقد صحيح البخاري، بأن هــذا الصحيح أخذه عن محمد بن إسماعيل البخاري تسعون ألف تلميــذ، فكتاب «صحيح البخاري» سمعه تسعون ألف رجل» من الإمام البخاري نفسه، كما أخبر بذلك أحد أشهر تلاميذه، وهو محمد بن يوسف الفربري (المتوفى سنة 320هـ). ينظر «تاريخ بغداد» (2/9)، «تاريخ الإسلام» (7/375).

إذن فصحيح البخاري- وفقا لهاتــه الرواية- تواتر عن البخاري نفسه، وبذلك فتواتــر صحيح البخاري عن البخاري، ينافس تواتر القرآن الكريم، حسب ادعاء هــؤلاء، وسيصبــح البخــاري أشهر أستاذ حديــث في التاريــخ الإسلامي، فهو الوحيد الــذي علم خلال سنوات قليلة تسعين ألف تلميــذ سمعوا منه الصحيح، ولو افترضنا جدلا، أن البخاري كان يدرس كتابه الضخم لمائة تلميذ في الشهر، فسيحتاج البخاري إلى 75 سنة ليتعلم هذا العدد الكبير كتاب صحيح البخاري، أي سيحتــاج البخاري إلى سنوات أكثر مــن السنوات التي عاشها، كي يتمكن من تعليم كتابه وتلقينه لتسعين ألفا من التلاميذ.

لكن الأغرب من ذلك أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، لم يتركوا لنا نسخة واحدة لصحيح البخاري، فالمفروض أن نجد في مكتبات العالم الآن آلاف المخطوطات التي تركها هؤلاء التلاميذ، لكن الحقيقة الماثلة لدينا هي أن تلاميذ البخاري التسعون ألفا لم يتركوا لنا أية نسخة، وتلميذ البخاري الفربري يؤكد أن البخاري تلقى عنه هذا العدد من التلاميذ كتاب الجامع الصحيح.

بل الأدهى والأمر والأغرب أن هؤلاء التلاميذ التسعين ألفا، من المفترض أن يكون لديهم تلاميذ أيضا، فلو أن كل واحد منهم، علم عشرة تلاميذ فقط صحيح البخاري، لأصبح لدينا تسعمائة ألف تلميذ، وبالتالي فسيكون لدينا تسعمائة ألف مخطوطة لصحيح البخاري في الجيل الثاني بعد جيل تلامذة البخاري، لكن لا يوجد في العالم أجمع نسخة واحدة بخط أحد تلامذة تلامذة البخاري، ومن حقنا هنا أن نتساءل عن حقيقة هذا الكلام، الذي يدعيه من يتعلقون بقشة، أمام سيل الأدلة الجارفة الماحقة، التي تجعل الهوة كبيرة بين البخاري وهذا الكتاب المنسوب إليه، فالحقيقة الواضحة الجلية، تؤكد أنه لا يوجد أي تواتر لهذا الكتاب عن محمد بن إسماعيل البخاري، مما يجعلنا نقف وقفة أمام الادعاء القاضي بانتساب الجامع الصحيح لهذا الرجل.

وحتى لا نسترسل كثيرا في مناقشة حكاية التسعين ألف تلميذ الذين أخذوا صحيح البخاري عن البخاري، نجد أن الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء الجزء الخامس عشر، الصفحة 12 يؤكد على أن هاته الرواية غير صحيحة وذلك بقوله: « ويروى -ولم يصح-أن الفربري قال: سمع «الصحيح» من البخاري تسعون ألف رجل، ما بقي أحد يرويه غيري. قلت: قد رواه بعد الفربري أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي النسفي، وبقي إلى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة».

لكن رغم تضعيف الحافظ الذهبي هذا الخبر فقد اعتمد في تضعيفه على أن النسفي وهو تلميذ البخاري أيضا قد روى الصحيح عن شيخه البخاري،

ولم يشــكك في مسألة تسعين ألف تلميذ، بل شــكك في أنه لم يرو الصحيح عن البخاري غير الفربري، لكن الحقيقة الماثلة أمامنا الآن أيضا أنه لا توجد في العالم أجمع نسخة واحدة لصحيح البخاري بخط الفربري أو عديله النسفي، كما يوهم بعضهم الناس بسرد مثل هاته الروايات.

وبمــا أن الشيــوخ الذين يمثلون الكهنــوت الديني، مغرمــون بالاستدلال بأقوال الرجــال، واعتبارها كلامــا مقدسا لا يناقش، وبما أن الشيــوخ يحبون عند انتقاد البخاري الاستشهاد بتلاميذ البخــاري، فنحن أيضا سنحتكم وإياهم إلى هؤلاء التلاميــذ، وسنقبل بحكمهم مادام شيوخنا لا يقبلــون عند النقاش إلا بتصريف أقــوال سلفهــم، واعتمادهــا عند كل نقاش حجــة ما بعدها حجــة، فنحن أيضا يسعدنــا أن نجاريهــم في ذلك، عســى أن نلتقي وإياهم علــى صعيد أمر مشترك، لذلك يسعدني هنا أن أنقل شهادة هؤلاء التلاميذ في صحيح البخاري.

ورد في مقدمة كتــاب الفتح ما يلي: «وقال الحافظ أبو إسحاق: انتسخت كتاب البخارى من أصله الذي عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى فرأيت فيه أشياء لم تتــم وأشياء مبيضه منها تراجم لم يثبــت بعدها شىء وأحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض».

إذن وبحســب هــذا النص نجــد أن المستملــي يؤكد أنه انتســخ كتاب صحيح البخــاري من أصلــه، أي من مخطوطة البخاري نفسه، والتــي كانت عند تلميذه الفربــري، لكنه بعد ذلــك يؤكد لنا على أنه وجد هذا الكتــاب لم يتم بعد، أي أن البخاري مات قبل أن يكمل كتابه الصحيح، ويبين ذلك المستملي بالتفصيل حين يؤكــد ذلك بقولــه «فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشيــاء مبيضه منها تراجم لم يثبت بعدها شيء وأحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض» إذن فالبخاري لم يتمــم كتابه، ولم يبيضه حيث كان مسودة فقط، وأن التلاميذ وتلاميذ التلاميذ تدخلوا في الكتاب حينما وجدوا تراجم لم يثبت بعدها شيء، وأحاديث لم يترجم لهــا، فأضافوا بعض ذلك إلى بعض، فهاته الشهــادة للمستملي والتي نقلها عنه

الباجي، ونقلها عن الباجي ابن حجر العسقلاني، تؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك علــى أن التلاميذ تدخلوا في الكتاب وبدلــوا فيه وغيروا، بعدما قدروا أنه لم يتم بعد، لكن الشيوخ يبحثون عن تبريرات غريبة لتفسير هذا الكلام الجلي الواضح البين، والذي بمقتضاه يمكن أن نفهم أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن:

1- البخاري مات قبل أن يبيض كتابه.

2- صحيح البخاري لم يتم.

3- وجود تراجم في صحيح البخاري لم يثبت بعدها شيء.

4- وجود أحاديث في صحيح البخاري لم يترجم لها

5- أضاف التلاميذ بعض الأحاديث التي لم يترجم لها إلى بعض التراجم التي لم يثبت بعدها شيء.

مــن خــلال هذا الكلام نتأكــد أن صحيح البخاري الذي بــين أيدينا الآن ليس هو صحيح البخاري الــذي ألفه محمد بن إسماعيل البخاري –على الأقل- فقد تدخل التلاميذ وتلاميذ التلاميذ في الكتاب بالزيادة والنقصان والإضافة.

لا أعــرف كيف سيتقبل الشيوخ هــذا الكلام، الصادر من شيوخ يعتبر كلامهم فيصلا لديهم، ولا نقاش فيه أو عليه في هذا الباب، ولتزكية كلامنا وتأكيده، ننقل لكم ما قاله أبو الوليد الباجي لتأكيد كلام هؤلاء التلاميذ حيث ورد في (التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ج1 ص310) : "قال أبو الوليد الباجــي: ومما يدل على صحة هذا القول رواية أبي إسحاق المستملي، ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرّة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث".

الغريــب في الأمــر أن الفقيــه المحــدث المالكــي أبــو الوليد الباجــي 15(ذي القعدة 403هـ - 19 رجب 474 هـ) يؤكد أن هؤلاء التلاميذ جاءت نسخهم مختلفة،

مع أنهم انتسخوا نسخهــم من أصل واحد، وهو صحيح البخاري بخط صاحبه، أي من أصله، فكيف يعقل أن تنسخ جماعة من الناس- وهم ليسوا أناسا عاديين - من أصل واحد وتأتي هاته النسخ مختلفة؟!

لكــن الباجي يفسر الأمر بقوله: «وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طــرة أو رقعة مضافة أنه مــن موضع ما، فأضافه إليه، ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث».

إذن فحتــى هذا العلــم من أعلام «علــم» الحديث،يؤكد تأكيــدا جازما على أن التلاميذ أضافوا وتدخلوا في كتاب الجامع الصحيح، حتى سار إلى شكله النهائي الذي بين أيدينا الآن، لكن من يعقل هذا الكلام، وينتهي عن تقديس كتاب اعتبر زورا وبهتانــا أصح كتاب بعد كتــاب الله، حيث يكسونه حلل القداسة والتنزيه، بــل ويكفرون أهل القبلة إن أنكروا رواية من مروياته، ولا يتورعون، ولا يراعون للــه ولا لخلقه حرمة، ولا يستعملون عقولهم التي وهبها الله لهم، كي يقفوا على الحقيقة التي تضع الشيخ البخاري وهذا الكتاب المنسوب إليه ظلما، في مكانهما النسبي، البشري، الذي يجري عليه ما يجري على البشر من خطإ ونسيان وسهو وإصابــة، لكن ابتلينــا في القرن الواحد والعشرين من أنــاس من أمتنا لا يزالون يؤمنــون بمثل هاته الخرافات والضــلالات، ولا يفسحون مجالا للبحث والتنقيب والتأكــد من المعلومة عــبر مصادر كثيرة وقوية، وكلها تؤكــد وتسير في اتجاه أن محمد بن إسماعيل البخاري بريء من هذا الكتاب، براءة تامة أو جزئية، بشهادة التلاميــذ الذين قالــوا حسب ما نقلناه بــأن صحيح البخــاري لم يكتمل، وأنهم تدخلــوا في الكتاب وأضافوا فيه إضافات تعبر عن تقديراتهم الشخصية، فكيف يمكــن القول إن صحيــح البخاري الذي بــين أيدينا اليوم، هو مــا ألفه البخاري، والشيــوخ الذين وصــل إلينا هذا الكتاب عن طريقهم يؤكــدون أنهم أضافوا ما أضافوه لهذا الكتاب.

ومــع هذا كلــه يجب أن نسجل للقــارئ الكريم والقارئة الكريمــة، أن ما تحدث

عنه هؤلاء التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، مــن النسخ التي انتسخوها، وأضافوا إليها وتصرفوا فيها، حتى هاتــه النسخ فهي غير موجودة بين أيدينا الآن، وقد فصلنا بإسهاب في هذا الأمر، بالباب المتعلق بالنسخة الأصلية لصحيح البخاري وأكدنا أن أقدم نسخة لصحيح البخاري توجد على مسافة أزيد من مائتي عام على وفاة البخــاري، وهي نسخة لا تحمل اسم من نسخها، ولا ما يدل عليه، ولازالت لدينا حجج أخرى سنوردها في الأبواب المتبقية من هذا الفصل.

صحيح البخاري والحافظ بن حجر العسقلاني:

يعتبر الحافظ ابن حجر العسقلاني، من أشد المنافحين والمدافعين عن كتاب الجامع الصحيح عبر التاريخ، وشرحه «فتح الباري» من أشهر الشروح، وأكثرها اعتمادا لدى الشيوخ المعاصرين، وابن حجر تحمل عبء تبرير مجموعة من المتناقضات التي تعتمل في هذا الكتاب، كما حاول جاهدا أن يتصدى لحجم الانتقادات التي تم توجيهها لكتاب صحيح البخاري، لكن رغم ذلك كله، وجد نفسه مرات عدة في ورطة، جعلته يحار في الدفاع عن هذا الكتاب، واعترف مرّات عدة أنه كان يتكلف أحيانا في الرد على المنتقدين، وسنقوم في هذا الفصل بتوضيح مجموعة من الأمور التي وجد ابن حجر نفسه غارقا فيها وهو يدافع عن الجامع الصحيح، المنسوب لمحمد بن إسماعيل البخاري.

وقد أوضح الإشكالات التي عاناها مع الكتاب معترفا بالانتقادات الكثيرة الموجهة إليه وذلك بقوله في خطبة مقدمة الفتح «وَقد استخرت الله تعالى فِي أن أضم إليه نبذا شارحة لفوائده مُوضحَة لمقاصده كاشفة عَن مغزاه فِي تَقْيِيد أوابده واقتناص شوارده وأقدم بَين يَدي ذَلِك كُله مُقَدّمَة فِي تَبْيِين قَوَاعِدَه وتزيين فرائده جَامعَة وجيزة دون الإسهاب وَفَوقَ الْقُصُور سهلةَ المأخذ تفتحَ المستغلق وتذلل الصِعاب وتشرح الصُّدُور وينحصر القَوْل فِيهَا إِن شَاءَ الله تعالى فِي عشرَة فُصُول:

الأول فِي بَيَان السَّبَب الْبَاعث لَهُ على تصنيف هَذَا الْكتاب.

الثَّانِيَ فِي بَيَان مَوْضُوعه وَالكشف عَن مغزاه فِيه وَالْكَلَام على تَحْقِيق شُرُوطه وَتَقْرِير كَونَه من أصح الْكتب المصنفة فِي الحَدِيث النَّبَوِيّ ويلتحق به الْكَلَام على تراجمه البديعة المنال المنيعة الْمِثَال الَّتِيَ انْفَرَد بتدقيقه فِيهَا عَن نظَرائه واشتهر بتحقيقه لَهَا عَن قرنائه.

الثَّالِث فِي بَيَان الْحِكْمَة فِي تقطيعه للْحَدِيث واختصاره وَفَائِدَة إعادته للْحَدِيث

وتكراره.

الرَّابِع فِي بَيَان السَّبَب فِي إيرَاده الأحاديث الْمُعَلقَة والآثار الْمَوْقُوفَة مَعَ أَنَّهَا تبَاين أصل مَوْضُوع الْكتاب وَالحقت فِيهِ سِيَاق الأحاديث المرفوعة الْمُعَلقَة وَالإشَارَة لمن وَصلهَا على سَبِيل الإخْتِصَار.

الْخَامِس فِي ضبط الْغَرِيب الْوَاقِع فِي متونه مُرَتبا لَهُ على حُرُوف المعجم بألخص عبارَة وأخلص إِشَارَة لتسهل مُرَاجعَته ويخف تكراره.

السَّادِس فِي ضبط الأسْمَاء المشكلة التي فِيهِ وَكَذَا الكنى والأنساب، وَهِي على قسمَيْنِ الأولَ المؤتلفة والمختلفة الْوَاقِعَة فِيهِ حَيْثُ تدخل تحت ضَابِط كلي لتسهل مراجعَتهَا ويخف تكرارها وَمَا عدا ذَلِك فَيذكر فِي الأصْل وَالثَّانِي الْمُفْردَات من ذَلك.

السَّابِع فِي تَعْرِيف شُيُوخه الذين أهمل نسبهم إِذا كَانَت يكثر اشتراكها كمحمد لَا من يقل اشتراكه كمسدد وَفِيه الْكَلَام على جَمِيع مَا فِيهِ من مهمل ومبهم على سِيَاق الْكتاب مُخْتَصرا.

الثَّامِن فِي سِيَاق الأحاديث الَّتِي انتقدها عَلَيْهِ حَافظ عصره أَبُو الْحسن الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيره من النقاد وَالْجَوَاب عَنْهَا حَدِيثا حَدِيثا وإيضاح أنه لَيْسَ فِيهَا مَا يخل بشرطه الَّذِي حققناه.

التَّاسِع فِي سَيَاق أسمَاء جَمِيع من طعن فيه من رِجَاله على تَرْتِيب الْحُرُوف وَالْجَوَاب عَن ذَلك الطعْن بطرِيق الإنصَاف وَالْعدْل والاعتذار عَن الْمُصَنّف فِي التَّخْرِيج لبَعْضهمَ مِمَّن يُقَوي جَانب الْقدح فيه إما لكَونه تجنب مَا طعن فيه بسَبَبِه وَإما لكونه أخْرَجَ مَا وَافقه عَلَيْه من هُوَ أقوى مِنْهُ وَإما لغير ذَلك من الأسْبَاب.

الْعَاشر فِي سِيَاق فهرسة كتَابه الْمَذْكُور بَابا بَابا وعدة مَا فِي كل بَاب من الحَدِيث وَمِنْه تَظهر عدَّة أَحَادِيثه بالمكرر أوردته تبعا لشيخ الإسلام أبي زَكَرِيَّا النَّوَوِيّ رَضِي الله عَنهُ تبركا بِهِ ثمَّ أضفت إليه مُنَاسبَة ذَلك مِمَّا استفدته من شيخ الإسلام أبي حَفْص البُلْقينِيّ رَضِي الله عَنهُ ثمَّ أردفته بسَيَاق أسمَاء الصَّحَابَة الَّذين

اشْتَمَــل عَلَيْهِم كتَابــه مُرَتبا لَهُم على الْحُرُوف وعد مَا لــكل وَاحد منْهُم عنْده من الحَديــث وَمنْه يظْهر تَحْريــر مَا اشْتَمَل عَلَيْه كتَابه من غــير تَكْرير ثمَّ ختمت هَذه الْمُقدمَــة بترجمة كاشفة عَن خَصَائصه ومناقبه جَامعَة لمآثره ومناقبه ليَكُون ذكره وَاسطَة عقــد نظامها وسرة مسك ختامها فَإذا تحررت هَذه الفصُول وتقررت هَذه الأصُــول افتتحت شرح الْكتاب مستعينــا بالفتاح الْوَهَّاب فأســوق إن شَاءَ الله الْبَاب وَحَديثه أولا ثمَّ أذكر وَجه الْمُنَاسبَة بَينهمَا إن كَانَت خفية ثمَّ أستخرج ثَانيًا مَــا يتَعَلَّق بِه غَرَضــ صَحيح في ذَلك الحَديث من الفوَائــد المتنية والإسنادية من تتمات وزيادَات وكشف غَامض وتَصريح مُدَلّس بسَمَاع ومتابعة سامع من شيخ اخْتَلَط قبل ذَلــك منتزعا كل ذَلك من أُمَّهَات المسانيــد والجوامع والمستخرجات والأجــزاء والفوائد بشَرْط الصِّحَّة أو الْحســن فيمَا أورده من ذَلك وثالثا أصل مَا انْقَطــع من معلقاته وموقوفاته وَهُنَاكَ تلتئــم زَوَائد الفوَائد وتنتظم شوارد الفرائد ورابعــا أضبط مَــا يشكل من جَميع مَا تقــدم أسَمَاء وأوصافا مَــعَ إيضَاح مَعَاني الألفاظ اللُّغَويَّة والتنبيه على النكت البيانية وَنَحْو ذَلك وخامسا أورد مَا استفدته من كَلَام الأئمة ممَّا استنبطوه من ذَلك الْخَبَر من الأحْكَام الفقْهيَّة والمواعظ الزهدية والآداب المرعية مُقْتَصرا على الرَّاجح من ذَلك متحريا للواضح دون المستغلق في تلْكَ المسالك مَعَ الاعتناء بالْجمع بَين مَا ظَاهره التَّعَارُض مَعَ غَيره» انتهى.

هاته أهــم الإشكالات التي حــاول ابن حجر الإجابة عنهــا في عصره، وكلها إشكالات تتعلق بصحيح البخاري، وفيها اعترافات ضمنية وبعضها تصريحية، علــى أن صحيح البخاري يعاني من عدة طعون ومشاكل، وانتقادات وإشكالات، وفيه الغريب والتدليس والشاذ أيضا، بل هناك مشكل في رجال البخاري والذين تم الطعــن فيهم حسب قــول ابن حجر العسقلاني، كل هذا الــكلام يضعنا، أمام حقيقــة يحاول الشيوخ إخفاءها، وهي أن هذا الكتاب الذي يقدسونه أيما تقديس قــد لقي معارضــة شديدة على مر التاريــخ، منذ تأليفه، وهــذا يتضح من خلال كل النقــول التي أوردناها، ومنها الانتقــادات الكبيرة التي وجهها حافظ عصره

-حسب تعبير ابن حجر- الإمام الدارقطني لصحيح البخاري.

بـل من الأمور الخطيرة التـي أوردها ابن حجر في مقدمـة الفتح والتي عنونها بهدي الساري أنه توجد في صحيح البخاري أبواب لا يوجد فيها شيء، بما يؤكد تأكيـدا قويا على أن الشيخ البخاري مـات دون أن يكمل هذا الكتاب المنسوب إليه فيقول ابن حجر «قَالَ الشَّيْخ محيي الدّين نفع الله به لَيْسَ مَقْصُود البُخَارِيّ الاقْتصَـار على الأحاديث فَقَـط بل مُرَاده الاستنباط منْهَـا وَالاسْتدْلَال لأبوَاب أرادهَا وَلهَذَا الْمَعْنى أخلى كثيرا من الأبْوَاب عَن إسْنَاد الحَدِيث وَاقْتَصر فِيهِ على قَوْلـه فِيهِ فلَان عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ أَو نَحْوُ ذَلِكَ وَقد يذكر الْمَتْن بغَيْر إسْنَـاد وَقد يُورده مُعَلّقا وَإِنَّمَا يفعل هَذَا لِأَنَّـهُ أَرَادَ الاحْتجَاج للمسألة الَّتِي ترْجم لَهَا وَأَشَارَ إِلَى الحَدِيث لكَونه مَعْلُوما وَقد يكون مِمَّا تقدم وَرُبمَا تقدم قَرِيبا وَيَقَع فِي كثـير من أبوابه الْأَحَاديث الْكَثِـيرَة وَفِي بَعْضهَا مَا فِيهِ حَدِيث وَاحِد وَفِي بَعْضهَا مَـا فِيهِ آيَة من كتاب الله وَبَعضهَا لَا شَيْء فِيـه الْبَتَّةَ وَقد ادّعى بَعضهم أَنه صنع ذَلِك عمدا وغرضه أن يبين أَنه لم يثبت عِنْده حَدِيث بشَرْطه فِي الْمَعْنى الَّذِي ترْجم عَلَيْـه وَمن ثمَّة وَقع من بعض من نسخ الْكتاب ضم بَاب لم يذكر فِيهِ حَدِيث إِلَى حَدِيث لم يذكر فِيهِ بَاب فأشكل فهمه على النَّاظر فِيهِ» مقدمة كتاب الفتح ص8.

هـذه أيضا من الإشكالات التي راودت ابن حجـر العسقلاني في مقدمة كتابه فتـح الباري، وهي إشكالية أن صحيح البخاري فيه أبواب لا أحاديث فيها، وفيه أبواب لا توجد فيها ولا آية قرآنية، بل هناك أبواب لا يوجد فيها شيء البتة، وهذا مـن الأمور التي أثارت جدلا في الساحـة الفكرية المهتمة بدراسة كتب التراث، فكل هاته الزوبعة التـي أثيرت حول الكتاب من تمجيد له يفوق الخيال، ويتجاوز الوصف، حتى نظمت فيه أشعار ترفعه إلى ما فوق عنان السماء، لكن عند التدقيق والتمحيصـ، نكتشف أنها زوبعة في فنجان، وأن قيمة الكتاب لا يجب أن تصل إلى ما وصلت إليه من تقديس، وأنه كتاب عادي جدا، وكل الآثار التي بين أيدينا والمرويـات لا تقوى على أن تكـون دليلا قاطعا على أن الشيخ البخاري ألف هذا

الكتاب كما هو بين أيدينا الآن.

بـل إن ابـن حجر اتهم البخاري بأنـه يورد حديثا في الباب مـن أبواب الجامع الصحيح رغم أن الحديث لاعلاقة له بذلك الباب، (....وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديـث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا ليبين سمـاع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا) مقدمة فتح الباري- ابن حجر ص 9.

من الإشـكالات التي وجدها ابن حجر أيضا، مشـكل تفضيل بعض الأعلام لصحيـح مسلم على صحيح البخاري، وانتقادهـم كون الحديث الواحد تجده في كتـاب الجامع الصحيح مقطعا على أبواب الكتاب، فـلا تتم كتابة الحديث بنصه الكامـل، بل يتم تقطيعه تقطيعا يفقـد فيه قيمته ومعناه، ويبتر عن سياقه بشكل غريـب، يقول ابن حجر: "قَالَ أَبُو علي النَّيْسَابُورِي وَبَعض عُلَمَاء الْمغرب صَحِيح مُسلـم أصح. انْتهى. وَمُقْتَضى كَلَام أبي عَلِي نفي الأصحيه عَن غير كتاب مُسلم عَلَيْه إما إِثْبَاتهَا لَهُ فَلَا لأن إِطْلَاقه يحْتَمل أن يُرِيد ذَلِك وَيحْتَمل أن يُرِيد الْمُسَاوَاة وَاللـه أعلم وَالَّذِي يظْهر لي مـن كَلَام أبي علي أنه إِنَّمَا قـدم صَحِيح مُسلم لِمَعْنى غـير مَا يرجع إِلَى مَا نَحن بصـدده من الشَّرَائِط الْمَطْلُوبَة فِي الصِّحَّة بل ذَلِك لأن مُسلمـا صنـف كِتَابه فِي بَلَده بِحُضُـور أُصُوله فِي حَيَاة كثير مـن مشايخه فَكَانَ يتحـرز فِي الألفاظ ويتحرى فِي السِّيَـاق وَلَا يتَصَدَّى لما تصدى لَهُ البُخَارِيّ من استنباط الأحكام ليبّوب عَلَيْهَا وَلزمَ من ذَلِك تقطيعه للْحَدِيث فِي أبوابه بل جمع مُسلـم الطّرق كلهَا فِي مَكَان وَاحِد وَاقْتصر علـى الأحاديث دون الْمَوْقُوفَات فَلم يعـرج عَلَيْهَا إلا فِي بَعْضـ الْمَوَاضِع على سَبِيل الندور تبعا لَا مَقْصُودا فَلِهَذَا قَالَ أَبُو علي مَا قَالَ مَعَ أَنِّي رَأَيْت بعض أئمتنا يجوز أن يكون أَبُو علي مَا رأى صَحِيح البُخَارِيّ وَعِنْدِي فِي ذَلِك بعد والأقرب مَا ذكرته وَأَبُو علي لَو صرح بِمَا نسب إِلَيه لَكَانَ محجوجا بِمَا قدمْنَـاهُ مُجملا ومفصلا وَالله الْمُوفق وَأما بعض شُيُوخ المغاربة فَـلا يحفظ عَن أحد مِنْهُم تَقْيِيد الأفضَلِيَّة بالأصحية بل أطلق بَعضهم الأفضَلِيَّة وَذَلِـك فِيمَا حَكَاهُ القَاضِي أَبُو الفضل عِيَاضـ فِي الإلماع عَن أبي مَرْوَان الطبني

بِضَـم الطَّـاء الْمُهْملَة ثمَّ اسكان الْبَاء الْمُوَحدَة بعْدهَا نـون قَالَ كَانَ بعض شيوخي يفضل صَحِيح مُسلم على صَحِيح البُخَارِيّ انْتهى" مقدمة الفتح ص12.

وقولـه: «وَقد رَأيت كثـيرا من المغاربة مِمَّن صنف في الأحْـكَام بِحَذْف الأسانيد كَعبد الْحق في احكامه وَجمعه يعتمدون على كتاب مُسلم في نقل الْمُتُون وسياقها دون البُخَارِيّ لوجودها عنْد مُسلم تَامَّة وتقطيع البُخَارِيّ لَهَا فَهَذِه جِهَة أُخْرَى من التَّفْضِيل لَا ترجع إِلَى مَا يتَعَلَّق بِنَفس الصَّحِيح وَالله أعلم» مقَدمَة الفتح ص13.

وقولـه: «قَـالَ الْحَافِظ أَبُو الْفضل مُحَمَّد بن طَاهِر الْمَقْدِسِـي فِيمَا روينَاهُ عَنهُ فِي جُـزْء سَمَّاهُ جَوَاب المتعنت اعلـم أن البُخَارِيّ رَحمَه اللَّـه كَانَ يذكر الحَدِيث فِي كِتَابـه فِي مَوَاضِـع ويستدل بِهِ فِي كل بَـاب بِإِسْنَاد آخر ويستخـرج مِنْهُ بِحسن استنباطـه وغزارة فقهه معنى يَقْتَضِيهِ الْبَاب الَّذِي أخرجه فِيهِ وقلما يُورد حَدِيثا فِي موضعـين بِإِسْنَاد وَاحِد وَلَفظ وَاحِد وَإِنَّمَا يُورِدهُ من طَرِيق أُخْرَى لمعان نذكرها وَالله أعلم بمراده مِنْهَا».

الملاحـظ أن ابنَ حجر أسهب في النقول في أمـر تقطيع الحديث بكتاب الجامع الصحيـح، وإيراد نفس الحديث بطـرق مختلفة، وأحيانا يتم إيراد الحديث بنفس السنـد لكـن بألفـاظ مغايرة، وهذا مـن الأمـور التي حيرت الحافـظ بن حجر العسقـلاني، وحـاول أن يجد لها تبريـرات، لكن إيراده النقـول الكثيرة في هذا الأمر له دلالته، التي توضح أن هذا النقاش في هاته المسألة كان نقاشا واسعا في القرن التاسع الهجري وهو العصر الذي تم فيه تاليف كتاب فتح الباري.

أما بالنسبة لي فاختلاف لفظ الحديث بنفس السند، أو روايته من طرق مختلفة، بنفس اللفظ، ليدل على أن هذا الكتاب تدخل في كتابته أكثر من شخص واحد، فـلا يمكن أن يورد نفس المؤلف نفس الحديث بنفس اللفظ لكن بأسانيد مختلفة، أو يروي نفس الحديث بنفس الإسناد لكن بألفاظ مختلفة، إلا إذا كان المؤلف غير المؤلف، أي من أورد الحديث الأول ليس هو من أورد الثاني وهكذا.

وقد اعترف ابن حجر في كتابه فتح الباري بتدخل النساخ في صحيح البخاري

حينما قال: «ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف، ولا لسعيد بن زيد، وهما من العشرة. وإن كان قد أفرد ذكر إسلام سعيد بن زيد بترجمة في أوائل السيرة النبوية. وأظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري. كما تقدم مراراً أنه ترك الكتاب مسوّدة، فإن أسماء من ذكرهم هنا لم يقع فيهم مراعاة الأفضلية، ولا السابقية، ولا الأسنية. وهذه جهات التقديم في الترتيب. فلما لم يراع واحداً منها دل على أنه كتب كل ترجمة على حدة، فضم بعض النقلة بعضها إلى بعض حسبما اتفق»! (مقدمة فتح الباري ج7 ص93).

لكن الإشكال الأكبر الذي عانى منه ابن حجر العسقلاني، وبينه في مقدمة كتاب الفتح، هو أنه حتى القرن التاسع الهجري أي بعد مرور ستة قرون على وفاة محمد بن اسماعيل البخاري، فإلى ذلك العهد لم تكن هناك نسخة واحدة موحدة لصحيح البخاري بل وجد ابن حجر ثلاث عشرة نسخة، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى، وبعد أن أورد هاته النسخ وذكر رواتها وأسانيدها قال: «فليقع الشروع في الشرح والاقتصار على أتقن الروايات عندنا وهي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها "مقدمة الفتح ص6"

وهذا معناه أن النسخ الأخرى كانت بالنسبة للبخاري غير موثوق بها، مثل نسخة أبي ذر، وأن شرحه لصحيح البخاري سيعتمد بالأساس على نسخة أبي ذر الهروي، مع الاعتماد على النسخ الأخرى فيما يخالف نسخته، وهذا يعني أن ابن حجر صنع نسخة أخرى جديدة، تعتمد في جوهرها على نسخة أبي ذر، مع نفحة مختلطة من باقي النسخ التي لم تصل لدرجة الأوثق عنده.

فالكثير من العامة يظن أن هناك نسخة واحدة وموحدة لصحيح البخاري، لكن الحقيقة الماثلة أمامنا الآن وبشهادة أحد أعمدة هذه الصناعة، أنه لم يكن هناك صحيح بخاري واحد، بل نسخ مختلفة اختلافا، جعل ابن حجر يعتمد بالأساس على واحدة من هاته النسخ مع مراعاة ما يخالفها، من النسخ الأخرى، فأي

نسخة من النسخ المتعددة للجامع الصحيح، والتي تحدث عنها ابن حجر هي من ألفه الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري؟!

إن الذي تسبب في هاته الفوضى التي نعرضها من خلال هذا الكتاب، هو انعدام مخطوطة أصلية كتبت بيد الشيخ البخاري، أو بخط أحد تلامذته المعلومين، مما يجعل فرضية أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا الآن هو من تأليف الشيخ البخاري، خرافة أخرى من الخرافات المتعلقة بهذا الكتاب، وأسطورة من الأساطير المؤسسة له، وهاته المسألة تحيلنا على الباب التالي من هذا الكتاب، المتعلق باختلاف نسخ صحيح البخاري.

اختلاف نسخ صحيح البخاري:

من الضربات القاصمة الموجهة لكتاب صحيح البخاري مسألة اختلاف النسخ يقــول ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتاب الفتح، «قَالَ أَبُــو الْوَلِيد الْبَاجِيّ وَمِمَّا يــدل على صِحَــة هَذَا القَوْل أَن روايــة أبي إِسْحَاق المستملــي وَرِوَايَة أبي مُحَمَّد السَّرخســيّ وَرِوَايَة أبــي الْهَيْثَم الكشمهينــي وَرِوَايَة أبي زيد الْمــروزِي مُخْتَلفَة بالتقــديم وَالتَّأْخِير مَعَ أَنَّهُم انتسخوا من أصل وَاحِد وَإِنَّمَا ذَلِك بِحَسب مَا قدر كل وَاحِد مِنْهُم فِيمَا كَانَ فِي طرة أَو رقْعَة مُضَافَة أَنه من مَوضِع مَا فأضافه إِلَيْهِ وَيبين ذَلِك أَنَّك تَجِد ترجمتين وَأكْثر من ذَلِك مُتَّصِلَة لَيْسَ بَينهَا أَحَادِيث قَالَ الباجي وَإِنَّمَا أوردت هَــذَا هُنَا لما عني بِهِ أهل بِلَادنَا من طلب معنى يجمع بَين التَّرْجَمَة والْحَدِيث الَّذِي يَلِيهَا وتكلفهم من ذَلِك من تعسف التَّأْوِيل مَا لَا يسوغ انْتهى» مقدمة الفتح ص8

إن اختــلاف نسخ أو روايات صحيح البخــاري، لمن الأمور التي لا تقبل الجدل ولا يمكــن أن ينكرهــا أي باحث، واختلاف هاته الروايــات اختلافا كبيرا بشكل لا يمكــن تجاهلــه، وإن حاول ابن حجر وغيره التقليل مــن شأن هاته المسألة لكن اختلاف النســخ له دلالة قوية، على أن صحيح البخاري الذي بين أيدينا لا يمكن الجــزم بنسبته للشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، بل الاختلاف في هاته النسخ لمــن الشواهــد القوية، التي تبرهن لنــا عن براءة البخاري من هــذا الكتاب، كما أن ذكرهــم لحقيقة أن هاتــه النسخ جاءت مختلفة مــن أشخاص انتسخوا كتاب البخــاري من نفســ المخطوطة، وهــذا مستحيل أن يتقبله العقــل الراجح، لكن الشيوخ لا يرون أي مشكل في تقبل هذا التناقض.

وقــد أقر بذلك أيضا الشيخ محمود أبو رية في كتابه الشهير أضواء على السنة المحمدية بقوله: "روايات البخاري تختلف في العدد: فعدد أحاديث البخاري يزيد في روايــة الفربري على عدده في رواية إبراهيــم بن معقل النسفي بمائتين، ويزيد

عــدد النسفي على عــدد حماد بن شاكــر النسفي بمائة كما ذكــره العراقي، وقد حــرر الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح البــاري أن عدة ما في البخاري من المتون الموصولة بلا تكرار 2602، ومن المتون المعلقة المرفوعة 159، فمجموع ذلك 2761، وقــال في شرح البخاري إن عدته على التحرير 2513 حديث «أضواء على السنة المحمدية ص307»".

إن هــذا الإختلاف بهذا الشكل ليجعــل الباحث يحار في ما أحيط به البخاري من تقديس، ومن شن حرب التكفير على كل من أراد أن يبين للناس هاته الحقيقة التي لا تخفى على كل من اهتم بهذا الكتاب.

ويؤكــد ابن حجر نفس الأمر في كتابه فتح الباري «باب القراءة والعرض على المحــدث» قولــه: "(تنبيه): وقــع في النسخة البغدادية - التــي صححها العلامة أبــو محمد بن الصغــاني اللغوي بعد أن سمعها من أصحــاب أبي الوقت وقابلها علــى عدة نسخ وجعل لها علامــات عقب قوله رواه موسى وعلي بن عبد الحميد عــن سليمان بــن المغيرة عن ثابت ما نصــه: حدثنا موسى بــن إسماعيل حدثنا سليمــان بن المغيرة حدثنا ثابت عــن أنس، وساق الحديث بتمامه. وقال الصغاني في الهامش: هذا الحديث ساقط من النسخ كلها إلا في النسخة التي قرئت على الفربري صاحب البخاري وعليها خطه. قلت: وكذا سقطت في جميع النسخ التي وقفت عليها. والله تعالى أعلم بالصواب".

ومن هذا أيضا ما ورد في فتح الباري ص 501 (قوله باب انتقام الرب عز وجل من خلقه بالقحط إذا انتهكت محارمه)

«هكذا وقعــت هذه الترجمة في رواية الحموي وحده خالية من حديث ومن أثر قال ابن رشيد كأنها كانت في رقعة مفردة فاهملها الباقون وكأنه وضعها ليدخل تحتهــا حديث وأليق شيء بها حديث عبــد الله بن مسعود يعني المذكور في ثاني باب من الاستسقاء وآخر ذلك ليقع له التغيير في بعض سنده كما جرت به عادته غالبا فعاقه عن ذلك عائق والله أعلم».

وقـد جاء في بحث صادر عن جامعـة الأردن بعنوان: "الروايات المنتقدة بسبب اختـلاف نسخ صحيـح البخاري" ما نصـه: "إن اختلاف نسـخ الصحيح تعبير يقصـد به تلـك الاختلافات التي وقعت بين رواة الصحيـح عن الإمام البخاري، سـواء أكانَ سببها الرواة عـن البخاري مباشرة، أو رواة الحلقـة الثانية أوالثالثة لصحيـح البخاري، ذلـك أن العلماء لم يكتفـوا بالتنبيه علـى الاختلافات التي وقعـت بين أصحاب الطبقـة الأولى عن البخاري ومن أشهرهـم ممن نبه العلماء علـى الاختلافـات التـي وقعت في نسخهـم: إبراهيـم بن معقـل النسفي(294 هجريـة)، وحماد بن شاكر (ت 311 هجرية)، و أبـو عبدالله محمد بن يوسف بن مطـر الفربري المتوفـى (320 هجرية). وإنما أشاروا كذلـك إلى الاختلافات التي وقعـت بين أصحاب الفربري-وهم أصحاب الطبقـة الثانية- كأبي زيد محمد بن أحمـد المروزي(ت 371 هجرية)، وأبي أحمد محمد بن مكي الجرجاني، و أبو علي سعيد بـن السكن(ت 353 هجريـة)، وأبي محمد الحمـوي (ت 381 هجرية) أبو الهيثـم محمـد بن مكي الكشميهنـي(ت 389 هجرية)، وأبو إسحـاق إبراهيم بن أحمـد بن إبراهيم المستملي(ت 376 هجرية) وغيرهم من أصحاب الطبقة الثانية، وكذلـك نبهوا على الاختلافات التي وقعت لأصحـاب الطبقة الثالثة للرواة عن الإمـام الفربري ويشمل ذلك الاختلافات التي وقعت في السند أو في المتن أو في العناوين أو في التراجم، أو غيرها من صور الاختلاف، المتعددة".

ويضيـف نفس المصدر «ومـن أشهر رواة الصحيح في الطبقـة الثالثة ممن نبه العلماء على الاختلافات في نسخهم للصحيح:

1- الإمام أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الإصيلي (ت 392 هجرية): و يروي عن اثنين من أصحاب الفربري وهم أبو زيد المروزي، وأبو أحمد الجرجاني.

2- والإمـام أبو الحسـن علي بن محمد القابسـي (ت 403 هجرية، ويروي عن اثنين من أصحاب الفربري،وهم أبو زيد المروزي، وأبو احمد الجرجاني، وغيرهم.

3- والإمـام أبـو ذر الهـروي عبد بن أحمـد(434 هجرية)، ويـروي الصحيح

عــن ثلاثة من أصحاب الفربري وهم أبو إسحــاق المستملي، وأبو محمد الحموي السرخسي، و ابو الهيثم الكشميهني.

وسبــب وقوع الاختلافات بين هؤلاء الرواة تحديدا، يعود إلى أن رواية الفربري اشتهرت على بقية الروايات الأخرى، فقد امتازت رواية الإمام الفربري عن غيره مــن رواة الصحيح بأنــه سمع الصحيح مرتين عن الإمــام البخاري، المرة الأولى كانــت بفربر في سنة ثمان وأربعين ومئتين، ومرة بِبُخارى في سنة اثنتين وخمسين ومئتين».

ما وقع في كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حيث وقع أكثر من اختلاف منها:

1- سقوط ترجمة مضافة لنفس ترجمة الباب، مع سقوط حديث معلق عن فاطمة. قال ابن حجر: "زاد غير أبي ذر في هذا الموضع "وَمَنْقَبَة فَاطِمَةَ عَلَيها السلَام بِنْت النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: "فَاطِمَةُ سَيدَةُ نسَاء أهــلِ الْجَنَّة" وهذا الحديث سيأتــي موصولاً في باب مفرد ترجمته: "منقبة فاطمة" وهو يقتضي أن يكون ما اعتمده أبو ذر أولى".

2- وسقط حديث مسور بن مخرمة، وحديث عائشة من نفس الباب من نسخة أبــي ذر والنسفي، ولكنهما أوردا الحديث في باب مناقب فاطمة.قال ابن حجر:«.. ثم ذكر حديث المسور: "فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني" وهو طرف ثم يعلل البحث هذه الاختلافات وإنما هو تصرف من رواة النّسخ في مسألة الترتيب في بعض المواضع، واجتهادهم في ذلك، و يعتبر هذا من باب الاختلاف في التقديم والتأخير في النسخ».

ويضيــف ذات المصــدر «السبــب السادس: وقــوع الوهم أو الخطــأ من راوي الصحيح دون وجود تعليل لهذا الخطأ: ومن صور ذلك:

1- مــا وقــع في نسخة عن النسفي وأبي زيد المروزي عــن الفربري، من تعليق حديث بدل وصله بسبب حذف سماع البخاري من ثابت وهو ابن محمد العابد.

2- وهــم في نسخة ابــن السكن إذ التبســ عليه اسم شيخ البخــاري: فجعله إسماعيــل بن زرارة، وليس في شيوخ البخاري على الراجح إسماعيل بن زرارة، وإنما هو عمرو بن زرارة.

3- تفرد أبو الحسن القابسي في إضافة صيغة تحديث قبل المتابعة: فقال: "حدثنا محمد بن فليح" قبل المتابعة، فأوهمٍ وصلها، و البخاري لم يدرك محمد بن فليح، والصــواب كما روت الجماعة معلقاً. وقــد أشرت إلى صور الاختلاف ومواضعها في كتاب الجياني من خلال الجــدول، ومن الاختلافات والانتقادات التي وجهت لصحيــح البخاري في كتاب الإمام أبــي علي الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجيــاني 498هـ(والمسمى تقييد المهمل) وفي الصفحة الموالية جدول يوضح هاته الاختلافات.

جـدول (أ) يوضح صور الاختلافات التي نبه عليهـا أبو علي الجياني في كتابه ووقعـت لـرواة صحيح البخاري، مع بيـان ترتيب الحديث الـذي نبه على وقوع الاختلاف فيه بحسب تسلسله في كتابه:

الرقم	صورة الإختلاف التي نبه عليها أبو علي الجياني	الأحاديث التي ورد فيها الإختلاف في كتاب تقييد المهمل (قسم البخاري التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين)
1	إبدال راو براو	وقع هذا النوع من إلاختلاف في ثلاثين حديث وهي: 9/10/20/21/36/38/39/46/48/ 51/52/53/54/58/68/69/74/78/80/82/ 91/94/95/96/97/98/100/101/107/113
2	حذف راو من السند	في أربعة عشر موضعًا: 3/ 8/14/18/30/44/45/ 49/73/85/87/99/102/124/129
2	حذف راويان من الإسناد	حديث واحد: 76 من نسخة أبي زيد المروزي حذف راويان من بداية الإسناد.
3	زيادة راو في السند	في عشرة أحاديث: 17/22/33/34/61/92/123/127/134/105
4	زيادة واو العطف في السند	في حديث: 90: حدثنا محمد بن سيرين وحدثني معبد بن سيرين، والصواب حدثنا محمد بن سيرين، حدثنا معبد بن سيرين.
5	الاختلاف في تقييد مهمل	في حديثين: 6/59
6	وهم(خطأ) في تسمية راو في السند	في سبعة أحاديث: 1/15/23/25/65/88/112/118
7	وهم(خطأ) في نسبة راو في السند	في ثمانية أحاديث: 19/27/28/31/32/55/57/ 118
8	اختلاف في ضبط اسم راو في السند	في خمسة أحاديث: 29/33/72/125/133
9	تسمية راو مبهم في السند	في حديث: 64

10	وهم(خطأ) في وصل الحديث بدل إرساله	في حديثين: 47/26
11	قلب إسناد	في حديثين: 93/43
12	وقوع سقط في المتابعة	في حديث: 16
13	تعليق حديث بدل وصله	في حديث: 35، حذف صيغة التحديث بين البخاري وشيخه
14	وصل حديث بدل تعليقه	في حديث: 37 زاد صيغة تحديث فأوهم الإتصال ولا يصح.
15	قلب اسم راو	في حديثين: 89/43
16	شك في تحديد راو في السند	في ثلاثة أحاديث: 135/63/60
17	تنبيه على نسبة راو في السند	في أربعة أحاديث: ثلاثة منها نبه فيها ابن السكن على نسبة راو: 119/109/75، وموضع نبه فيه الأصيلي على نسبة راو: 79.
18	اختلاف في تقييد اسم راو أو في نسبته	في ثلاثة أحاديث: 122/110/59
19	إبدال حرف بحرف (عن بواو العطف) والعكس	في حديثين: 116/90
20	إبدال في صيغة المتابعة (عن) بدل (في).	في حديث:(13) من التنبيهات
21	تصحيف في اسم راو	في تسعة أحاديث: 106/81/72/56/49/11/7 121/120/115
22	حذف في المتن	حذف حرف العطف فتغير المعنى في حديث واحد: 66
23	تصحيف في المتن	في ثلاثة أحاديث نبه عليها: 111/103/84.

جدول (ب) يبين أهم نسخ صحيح البخاري وعدد الروايات التي انتقدها الإمام الجياني لكل منها:

الرقم	اسم راو النسخة	عدد الروايات المنتقدة التي وقعت فيها بعض الأوهام ونبه عليها الجياني، وأصاب في ذلك، مع ذكر موضع كل منها من كتاب الجياني بحسب ترتيبها المتسلسل في الكتاب:
1	نسخة الفربري	خمس روايات نبه عليها الجياني: الثالث والرابع منها نسبها الجياني للبخاري، ولكن استدرك عليه ابن حجر وبين أنها من الفربري. -حذفت عبارة من رواية الفربري في المتابعة التي ساقها البخاري بعد الحديث (16) -سقط من نسخة الفربري رجل في الإسناد وهو (أبو جمرة(49)) -إبدال راو براوي (روى الحديث عن ابن عمر) والصواب عن ابن عباس (51). (نبه على ذلك ابن حجر في الفتح). تسمية راو، لم يسمه البخاري، وهو أبو جعفر المنادى (88) نبه على ذلك ابن حجر في الفتح، واستدل برواية النسفي. -نسب (الفضل بن دكين) وهو معروف بنسبه إلى جده، إلى والده فقال (الفضل بن زهير) (110).
2	إبراهيم بن معقل النسفي	ثلاث روايات: 74/42/35
3	أبو علي بن السكن	عشرون رواية: 6/10/12/17/ 21/ 29/ 36/ 52/ 53/ 54/ 64/ 68/ 69/ 80/ 101/ 102/ 107/ 108/ 113/ 134

4	أبو زيد المروزي	تسع عشرة رواية: 1/ 5/ 15/ 18/ 30/ 34/ 35/ 39/ 42/ 45/ 52/ 76/ 77/ 87/ 103/ 121/ 125/ 127/ 135
5	أبو الحسن القابسي عن أبي زيد المروزي	خمس روايات: 7/ 20/ 58/ 98 وفي نسختي القابسي وعبدوس عن أبي زيد نبه الجياني على وهم وقع في نسختهما (92)
6	أبو محمد الأصيلي عن أبي زيد المروزي	موضعان: 22/98
7	أبو أحمد الجرجاني	إحدى عشرة رواية: 12 34/42/47/52/65/82/92/93/94/103
8	الأصيلي عن أبي أحمد الجرجاني	خمس عشرة رواية: 9/ 46/ 66/ 74/ 78/ 79/ 84/ 89/ 95/ 96/ 106/ 111/ 117/ 124
9	أبو محمد الأصيلي	ست عشرة رواية: 25/ 26/ 27/ 28/ 32/ 48/ 60/ 61/ 73/ 100/ 109/ 114/ 118/ 120/ 126
10	أبو الحسن القابسي	خمس عشرة رواية: 11/ 31/ 37/ 38/ 43/ 44/ 56/ 57/ 81/ 90/ 97/ 99/ 119/ 120/ 133/
11	أبو ذر الهروي	نبه الجياني على ثلاثة أوهام وقعت في رواية أبي ذر (33/70/104) وفي نسخته عن الكشميهني خمسة أوهام (1/3/13/49/98) وعن أبي محمد الحموي أربعة (3/8/19/84)، وعن المستملي اثنان (55/116).

مـع الإشارة إلى أن هاته النسخ كلها لا وجـود لنسخة أصلية لها أي لا وجود لمخطوطة بخط يد أصحابها المنسوبة إليهم، بل هي مجرد نسخ منسوبة إليهم من نساخ أغلبهم مجهولين، ورغم ذلك يصر هؤلاء الشيوخ بأن صحيح البخاري من تأليـف محمد بن اسماعيل البخاري، رغـم كل هاته الحقائق التي بين أيدينا الآن والتـي نعرضها أمام القراء من كل الأمصار، ليحكمـوا بيننا وبين هؤلاء، من منا المصيب ومن المخطئ؟

من ألف صحيح البخاري؟

أظــن أنه بعد هاته الجولة التي قمنا بهــا، وباعتماد الأدلة القوية التي بين أيدينا، يحــق لنــا أن نتساءل، ونكــرر السؤال المحــرج، من هو المؤلــف الحقيقي لكتاب صحيــح البخاري؟ لنخلصــ باعتماد نفس الأدلة المقدمــة في كتابنا هذا، إلى أن مؤلفــه مجهول، فلا وجود لمخطوطة واحــدة، أو حتى جزء من مخطوطة لصحيح البخــاري بخط محمد بن اسماعيل البخاري، ولا وجود لمخطوطة واحدة أو جزء من مخطوطة لنفس الكتاب بخط أحد تلامذة البخاري، ولا وجود أيضا في العالم أجمــع لمخطوطة واحدة أو جزء مــن مخطوطة بخط أحد تلامذة تلامذة البخاري، لنجــد أنفسنا أمام كتاب غريب المصدر مجهــول الأثر، وحتى أولئك الذين يظن أنهــم من أوصلوا لنا صحيح البخــاري أونقل عبرهم إلى باقي الأجيال، يؤكدون علــى أن ما ألفــه الشيخ البخاري هــو كتاب لم يكتمل، ويشهــدون أيضا وبملء إرادتهــم حسب نفس المرويات التي وصلت إلينا من كتبهم، ومن كتب شيوخهم الذيــن يعتبر كلامهم فيصلا في هذا البــاب، أنهم تصرفوا في ذلك الكتاب الذي مــات البخاري دون أن يكملــه، بالإضافة والبتر وجمع هــذا إلى ذاك، وأن نفس الكتــب تقول لنا بأن نسخ من نقل الينا مــن خلالهم هذا الكتاب جاءت مختلفة ومتضاربة، إننا إزاء معضلة حقيقية، فكل المحدثين يعرفون هذا لكنهم يتجاهلونه، ويغلطــون الناس، ويخفون الحقيقــة المرة، كل هذا فقط ليعيشــ الكهنوت، فهو يقتــات على مثل هاته الخرافات، ويحقق وجوده منهــا وبها، وبالتالي لا يمكن أن يستغنــي عن هذا التراث المليــء بمنابع الإرهاب، التي وجــب تجفيفها، والقضاء عليهــا قضاء مبرما، بمثل هاتــه البحوث التي تنبش في حقيقــة ما يحاول هؤلاء ترويجــه بديــلا لنا عن كتاب الله، حتــى لأني استمع الساعــات الطوال لخطب هــؤلاء الشيوخ، فلا يــكادون يستدلون بآية من كلام اللــه واحدة، بينما تجد قال فلان عن فلتان هي المسيطر على كلامهم، ليرفعوا تلك الأقوال إلى مكانة القداسة

ويسدلون عليها من حلل العصمة ما تيسر لهم، وما لم يتيسر.

من حقنا إذن أن نقول لهم إن صحيح البخاري كتاب مجهول المؤلف، لا أصول لـه، ولا حقيقة لوجوده، فهو كتـاب لقيط، جمع بين طياته أهـواء أناس، وضعوا فيه مـا أرادوا ليبرروا أفعالهم، ويؤسسوا عليهـا كهنوتهم، ونحن نعلم أن هؤلاء سيضيعـون بضيـاع هاتـه المرويات، فلا وجـود حقيقي لهم إلا بهـا، ولا عيش لهـم بدونها، فهي قوتهم الـذي عليه يعيشون، لذلك فهـم يستميتون في الدفاع عنهـا أيما استماتـة، لأن إسلامهم إسـلام هاته المرويات، لا إسـلام القرآن الذي قـال عنه الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (9) مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (11)﴾ (الجاثية: من الآية 6 إلى الآية 11).

والله المستعان عما تصفون.

الفهرس